

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

الخطاب القرآني للأنبياء (دراسة لغوية بلاغية موازنة)

*The Quranic Discourse To Prophets: a
Comparative, Rhetorical and Linguistic Study*

إعداد

مازن محمود شتيوي أبوزيتون

٢٠٠٦٢٠٠٠٣٦

إشرافه

الأستاذ الدكتور مخيمر صالح يحيى

حقل التخصص

اللغويات العربية التطبيقية

٢٠ / شعبان / ١٤٣١ هـ

١ / ٨ / ٢٠١٠ م

الخطاب القرآني للأنبياء

(دراسة لغوية بلاغية موازنة)

*The Quranic Discourse To Prophets: a Comparative,
Rhetorical and Linguistic Study*

إعداد

مازن محمود شتيوي أبوزيتون

ماجستير لغة عربية، جامعة اليرموك 2006م

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص اللغويات

العربية، جامعة اليرموك، إربد

وافق عليهما

الأستاذ الدكتور مخيمر صالح يحيى مشرفاً ورئيساً

الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية عضواً

الأستاذ الدكتور فايز عارف القرعان عضواً

الأستاذ الدكتور شحادة احميدي العمري عضواً

الدكتور عودة خليل أبو عودة عضواً

20/ شعبان / 1431هـ - 1/ 8 / 2010م

إلى من أحببتهم

إلى المجاهدين في فلسطين والعراق، وفي كل بقعة من أرض الإسلام، الذين حملوا السلاح والكلمة الصادقة في وجه الكفرة والطواغيت، وتصدوا وأحبطوا مكائد الأعداء والمنافقين، وحطموا أهدافهم ومآربهم ومخططاتهم.

إلى.....

أرواح الشهداء الذين قضوا نحبهم في الدفاع عن دينهم وأوطانهم، ورفضوا كل أساليب وأشكال الاستسلام والخنوع والتركييع والتجويع.

إلى.....

العلماء العاملين الذين يدافعون بالكلمة الصادقة عن الإسلام والمسلمين، ويقرعون المتآمرين والمتربصين والقاعدين للغة كل مرصد.

إلى.....

من ربياني صغيراً، وعلماني كبيراً، إلى من يعجزُ الوصف عن وصفهما، ويجف المداد عن الإحاطة بفضلهما أُمي وأبي.

إلى.....

من طوقني بفضله، وغمرني بعطائه، وآثرني على نفسه أخي المرحوم جادالله

إلى.....

إخواني، وأخواتي، وزوجتي وأبنائي.

مازن محمود شتيوي

قائمة المحتويات

الموضوع.....	الصفحة
الإهداء.....	ج
فهرس المحتويات.....	د
الملخص باللغة العربية.....	هـ
الملخص باللغة الإنجليزية.....	ز
المقدمة.....	١
التمهيد.....	٤
الخطاب لغة.....	٤
الخطاب اصطلاحاً.....	٦
الفصل الأول: تحليل الخطاب القرآني للأنبياء ٧٩-١٤	
١. أساليب الخطاب القرآني للأنبياء.....	١٥
٢. أهداف الخطاب القرآني للأنبياء.....	٣٥
٣. صور من ترابط سياق الخطاب القرآني مع الإعراب.....	٤٦
الفصل الثاني: مضامين الخطاب القرآني للأنبياء..... ١٣٩-٨٠	
١. المضمون الاجتماعي.....	٨١
٢. المضمون الإقناعي؛ التأثيري.....	٩٧
٣. المضمون النفسي.....	١١٨
الفصل الثالث: الصيغ اللغوية للخطاب القرآني للأنبياء ودلالاتها والموازنة بينها ٢٠٢-١٤٠	
١. صيغة الأمر.....	١٤١
٢. صيغة النهي.....	١٦٠
٣. صيغة النداء.....	١٨١
الفصل الرابع: الصورة البلاغية في الخطاب القرآني للأنبياء..... ٢٦٣-٢٠٣	
١. الصورة التشبيهية.....	٢٠٤
٢. الصورة الاستعارية.....	٢٣٠
٣. الصورة المجازية.....	٢٤٩
٤. الصورة الكنائية.....	٢٤٩
الخاتمة.....	٢٦٤
فهرس الآيات.....	٢٧١
المصادر والمراجع.....	٢٨٤

ملخص

أبو زيتون، مازن محمود. (الخطاب القرآني للأنبياء دراسة لغوية بلاغية موازنة). أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠١٠م (المشرف: أ.د. مخيمر صالح يحيى).

تحمل هذه الدراسة عنوان (الخطاب القرآني للأنبياء) دراسة لغوية بلاغية موازنة،

وهي دراسة وصفية تحليلية وقد توزعت الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة.

ناقش التمهيد مفهوم الخطاب والنص لغة واصطلاحاً، ثم تحدث عن تحليل الخطاب

ومكانته في الدرس اللغوي، إذ إنه قد حل محل لسانيات النص، الذي كان علم اللغة النصي،

أو نحو النص فرعاً منه.

وقد انتظم الفصل الأول من الأطروحة للحديث عن أساليب الخطاب القرآني للأنبياء،

وأهدافه، وصور من ترابط سياق الخطاب القرآني للأنبياء مع الإعراب مبيناً ذلك بأمثلة من

القرآن الكريم، حيث كان الأنبياء جميعهم قد خوطبوا بتبليغ الرسالة الربانية التي ركزت على

أهداف واحدة هي وحدانية الله، والتلطف بالدعوة، والحوار الهادئ المتزن، والانقياد

لأمر الله - عز وجل -.

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان (مضامين الخطاب القرآني للأنبياء)، وهي: المضمون

الاجتماعي، والمضمون الإقناعي التأثيري، والمضمون النفسي.

كما تضمنت هذه المضامين وسائل وأساليب لغوية تواصلية إقناعية في خطاب الأنبياء

لأقوامهم، ولم يخلُ الفصل من آراء المفسرين .

بينت في هذا الفصل أثر هذه المضامين في تثبيت قلوب الأنبياء والرسول - عليهم

السلام - وصبرهم في تحمل مشاق الدعوة إلى الله.

وتحدث الفصل الثالث عن الصيغ اللغوية للخطاب القرآني للأنبياء ودلالاتها والموازنة بينها، وتفرع من هذا الفصل صيغ الأمر، والنهي، والنداء، وتحدث الفصل عن دلالة تلك الصيغ في الخطاب القرآني.

أما الفصل الأخير من هذه الدراسة فكان بعنوان (الصورة البلاغية في الخطاب القرآني للأنبياء) تحدث فيه عن الصورة التشبيهية (مفهومها وأقسامها وأشكالها) والصورة الاستعارية (مفهومها وأشكالها)، والصورة المجازية وعلاقتها، والصورة الكنائية (مفهومها وأقسامها)، ولم يخل هذا الفصل من ذكر آراء المفسرين والبلاغيين حول تلك الصور ومواقفهم منها، وانتهت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

Abu Zaitoun, mazen Mahmoud. Koranic Discourse with Prophets: Rhetoric Linguistic Study. Ph.D. Dissertation, yarmouk University, 2010 A.D. (Supervisor Professor Dr. Mkhaimer Saleh)

This dissertation entitled Koranic Discourse with Prophets: Rhetoric Linguistic Study is organized into a preface (introductory koranic discourse) four chapters and conclusion.

The preface first identified the concepts of discourse and text linguistically and technically, then discussed the discourse analysis that replaced text linguistics or text as a branch of text linguistics.

Chapter one discussed forms and goals of koranic discourse with prophets providing examples of contextual coherence of koranic discourse with prophets and the inflection as shown by the koranic examples, stressing that all prophets were addressed and instructed to deliver the divine mission that when calling others, *Da'wa* shall be focused on the same objectives of Oneness of Allah, tenderness, quiet and balanced debate, and submissive to Allah's ordains.

Next, the second chapter entitled "Contents of Koranic Discourse with Prophets) demonstrated psychological, social, and influential contents. This chapter concluded the significant role of such contents maintenance of prophet's hearts and supporting their patience on the hardships of *Da'wa* to the path of Allah. Those contents included linguistic means used by prophets to communicate and persuade their peoples.

Chapter three entitled: "Matching between linguistic moods of Koranic discourse with Prophets and denotations", including such moods as imperative, prohibitive, vocative and their denotation in the koranic discourse.

The last chapter entitled "Rhetoric Images of Koranic Discourse to Prophets) addressed the simile image in terms of concept, types and

forms, figurative image in terms of concept and forms, and metaphoric image in terms of concept and types. This chapter also discussed arguments by rhetoricians and exegesis scholars regarding such images. The dissertation finally concluded with various results and recommendations.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

فقد جاءت هذه الدراسة بعنوان (الخطاب القرآني للأنبياء دراسة لغوية بلاغية)، فقرأت آيات الخطاب من القرآن الكريم، واقتضى هذا البحث أن يشتمل على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة؛ ركز التمهيد على تحديد مفهومي الخطاب والنص لغة واصطلاحاً، ومدلولهما عند الأوائل والمحدثين، وذلك لأن حد المصطلح يعد من أجدليات الدراسة.

أما الفصل الأول فقد تضمن أساليب الخطاب القرآني للأنبياء وصوره وأهدافه، إذ جاء خطاب الأنبياء متعدد الأساليب فمنه ما كان خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِأَحْشَاءٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا" (الطلاق: ١). وخطاب العين لقوله تعالى: " يَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " (البقرة: ٣٥) وخطاب الواحد بلفظ الإثنين كقوله تعالى: " قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ " (يونس: ٨٩) ثم ذكرت أن من أشكال الخطاب ما كان مسبقاً ببياء النداء نحو قوله تعالى: " يَا حَيُّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " (مريم: ١٢) وقوله تعالى: " يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ " (هود: ٤٨).

وما كان مسبقاً بلفظ الأمر والنهي إذ كان مقصد هذا الخطاب هو التكليف الرباني

لرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

أما أهداف الخطاب فقد ذكرتُ أن الخطاب كان دعوة إلى وحدانية الله، وتغييراً جذرياً للمعتقدات الباطلة، وداعياً إلى وحدانيته -عز وجل- لإخراج تلك الأمم، والأقوام من زيف الضلال، وظلمة الأفكار إلى نور الإسلام، واستقامة الأفكار.

كما يرينا ذلك الخطاب الرباني، صوراً من أخبار، وقصص الأنبياء السابقين، التي كانت تسلية وتسرية لسيد البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين - سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم.

ثم ختم الفصل بصور من ترابط سياق الخطاب القرآني للأنبياء مع الإعراب، وخصص الفصل الثاني، لدراسة مضامين الخطاب القرآني للأنبياء، ناقشتُ فيه دور كل من المضمون الاجتماعي، و المضمون الإقناعي التأثيري، و المضمون النفسي، كما عالجت تلك المضامين التي خوطب بها الأنبياء طرائق دعوية متعددة قام بها الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الله بالحسنى، ولعل إعداد الأنبياء وتهيئتهم لحمل الرسالة من خلال تلك المحتويات تدل على تواصل وقرب المرسل إلى المرسل إليه، ويعد إعداد الأنبياء مقصداً بالغ الأهمية في الخطاب وفي تواصل الأنبياء مع أقوامهم عند تلقيهم للخطاب.

أما الفصل الثالث؛ فقد تحدثت فيه عن الموازنة بين الصيغ اللغوية في الخطاب، وكان من أبرز تلك الصيغ الأمر والنهي والنداء.

وإن كثرة تلك الصيغ اللغوية في الخطاب قد خرجت في معظمها عن الدلالة الحقيقية إلى معان بلاغية ولغوية مختلفة.

فصيغة الأمر جاءت بألفاظ متعددة، منها ما أفاد الوجوب من خلال قرينة دالة على ذلك، والآخر ما فهم منها التكليف والتنبيه، أما النهي فقد جاء في الخطاب على طريقتين؛ الأولى، الطريقة القياسية وهي: صيغة (لا تفعل)، حيث رأيت أن علماء اللغة والبلاغة

والمفسرين قد تتبعوا تلك الصيغة شارحين وموضحين معناها ومنطلقين من المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

أما الطريقة الثانية للنهي؛ فقد جاءت بألفاظ الأمر والرجاء والتزيه والتأديب والتسوية.

كما لقيت صيغة النداء اهتماماً واضحاً من النحويين والبلاغيين والمفسرين، إذ بحثوا دلالة النداء في فواتح سور القرآن، وفي الآيات الأخرى.

وتكلمت في الفصل الرابع عن الصورة البلاغية في الخطاب القرآني للأنبياء، إذ شمل الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية والصورة المجازية والصورة الكنائية، ثم بينت أثر ومجال تلك الصور البيانية في النفس والوجدان، ولا يخفى على أحد أن صور الخطاب كانت منتزعة من الواقع.

هذا ولم يلتزم الباحث بعدد محدد من الأمثلة والشواهد القرآنية الدالة على كل جزئية في البحث.

ثم أجملتُ الخاتمة، بأهم التوصيات والأفكار التي توصلت إليها عند الدراسة، وقد اعتمدت في دراستي على عدد من المصادر العربية القديمة والحديثة، وكان من أبرز تلك المصادر كتب النحو والنقد والبلاغة وكتب التفسير.

وختاماً ما أنا إلا مجتهد فإن أصبت فمن الله وحده، فله الحمد والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي التي تخطئ وتصيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد:

قبل الحديث عن تحليل الخطاب القرآني للأنبياء أرى من المناسب أن أف على حد مصطلحي الخطاب والنص لغة واصطلاحاً ومدلولهما لدى القدامى والمحدثين، لأن حد المصطلح من أبجديات البحث، وأن أستعرض ما ورد حول هذين المفهومين من آي القرآن الكريم وأقوال علماء المسلمين المفسرين، ومن ثم تلمس آراء المحدثين الذين شغل الخطاب جُلَّ اهتمامهم في الدرس اللغوي، وغداً تحليل الخطاب عندهم قاعدة وركناً أساسياً في الدراسات النصية التي شملت نحو النص ولسانيات النص.

فلفظ الخطاب في المعاجم اللغوية تعود إلى جنر الفعل (خَطَبَ) ومصدرها (خَطَبٌ)، (فَالْخُطْبُ): الشأن أو الأمر صغراً أو عظم^(١). كما في قوله تعالى: "فَمَا خَطْبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الحجر: ٥٧) وقوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الأنبياء: ١٠١) وقوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الأنبياء: ١٠١) ونحو قوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الأنبياء: ١٠١) (القصص: ٢٣)، ونحو قوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ" (الأنبياء: ١٠١) (يوسف: ٥١)

وقوله تعالى: "قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ" (طه: ٩٥) أما الفعل: (خَطَبَ) و (خاطب) فقد ورد في المعاجم بمعنى "كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاماً، وحديثه بشأنه"^(٢). ولهذا جاءت الكلمة (خاطب) في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي نفسه نحو قوله تعالى: "وَإِذَا خَاطَبَهُ الْجَاهِلُونَ قَالَ أُولُوا سَلَامًا" (الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالى: "رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" (الأنبياء: ٣٧) (والخطبة) اسم للكلام الذي يتكلم به

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٨، المجلد الأول، مادة (خطب).

(٢) إبراهيم مصطفى (وآخرون): المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٧٢، ط ٢، مادة (خطب).

الخطيب على المنبر، وفي اللسان جاءت بمعنى: الكلام المنثور المُسجَع ونحوه، والخطبةُ مثل الرسالة التي لها أولٌ وآخرٌ^(١).

(والخطابُ) عند ابن منظور: مصدر الفعل (خَاطَبَ) بمعنى "مراجعة الكلام"^(٢)، أما في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ" (ص: ٢٠) فكانت بمعنى "البيان من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب لا يلتبس عليه، ويجوز أن يكون الخطاب: هو القصد الذي ليس فيه اختصار مغل ولا إشباع ممل"^(٣)، أما سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن فذكر أن (فصل الخطاب) هو: "قطعه والجزم فيه برأي لا تردد فيه، وذلك مع الحكمة ومع القوة، غاية الكمال في الحكم والسلطان في عالم الإنسان"^(٤).

ويشير الكفوي في معجمه (الكليات) إلى أن الخطاب: "هو الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو (الغير) للإفهام"^(٥).

وإذا ما أنعمنا النظر في هذا التعريف أي تعريف الكفوي فإننا نجد به توسعة لمصطلح الخطاب وأكثر شمولية ووضوحاً لما ورد، لأنه يراعي عنصر السياق، والأثر النفسي لذلك الخطاب عند تحليله إلى عناصره المرتبطة بالاستعمال التواصلي، وفي تعريف الخطاب مؤشر يتعلق بهدف الخطاب عند تركيزه على (اللفظي، النفسي، الإفهام)، ويبدو أن التواصل يكون بأحسن حال، حين يكون المرسل (الباث) قد أنتج رسالة واضحة إلى المتلقي، فيبدأ التحوار

(١) ابن منظور: لسان العرب، (مادة خَطَبَ).

(٢) المرجع نفسه: (مادة خَطَبَ).

(٣) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٣، ص٣٦٥.

(٤) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢، ط١٧، ج٢٣، ص٣٠١٧.

(٥) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (أبو البقاء): الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢، ط٢، القسم ٢، ص٤٨٦.

وتحليل فحوى الرسالة وتبيان مقصدها أو مقاصدها لدى المتلقي، ومن ثم يحدث الانسجام في عملية التخاطب.

ويقول الأمدي: والحق إن الخطاب، هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهين لفهمه^(١).

ونلاحظ أن الخطاب مرتبط بالخطابة على نحو ما ذكره أرسطو في كتابه (الخطابة)، حين حدد عناصر الخطابة "بمصادر الأدلة، والأسلوب، وترتيب أجزاء القول، وذكر أنه لا يكفي أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقول بل عليه أيضاً أن يعرف كيف يقول، وهذا يسهم كثيراً في جعل الكلام يظهر ذات طابع معين"^(٢).

وفي المعاجم العربية الحديثة نرى أن تعريف الخطاب قد جمع المعاني التي وردت في المعاجم القديمة واتخذ منحى آخر وإضافة جديدة في بعض الجزئيات، ومن هذه التعريفات ما ذكره (الخولي) في معجم علم اللغة النظري بقوله إن الخطاب هو: إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام"^(٣).

والخطاب أيضاً: نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه"^(٤).

ويقول (البعليكي) إنه: يطلق على الكلام المنطوق خاصة أو المكتوب وعلى الحوار أحياناً عندما يتجاوز الجملة الواحدة"^(٥).

(١) الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، كتب هوامشه إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، مج ٢، ص ٨٥.

(٢) أرسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٩٣.

(٣) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢، ص ٧٦.

(٤) مجدي وهبه وكامل المهندس: معجم المصطلحات اللغوية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٥٩.

(٥) رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٥٣.

أما (إبراهيم فتحي) في معجم المصطلحات الأدبية فيضيف إلى تعريف الخطاب عند الخولي الذي قال عنه بأنه إيصال المعنى إلى السامع عبارة جديدة "بحيث تتسلسل الكلمات وتترتب"^(١).

ولكن الخطاب الخطاب عند الدارسين اللسانيين المعاصرين قد تجاوز ما قاله القدامى، إذ استعانوا بنظريات علمية جديدة، وتوسعوا كثيراً في مفهوم الخطاب، وكان (بيسونس Buysens) عام ١٩٤٣م، (وفيرث firth) من أوائل من تحدثوا في الخطاب، غير أن (فيرث) تناول الخطاب من الجانب اللغوي، لهذا فقد حصل لبس كبير عند بعض اللسانيين في وضع حد جامع للخطاب.

وقد خلط بعض اللسانيين بين الخطاب والكلام فهذا (بول ريكود P. Recoud) يستخدم مفهوم الخطاب بدلاً من الكلام، ويعيد النظر في ثنائية (دي سوسير desoussur) (اللسان، الكلام)، بثنائية (اللسان، الخطاب)، وريكود من ناحيته يضع الخطاب بدلاً من الكلام، ليس ليؤكد على خصوصية الخطاب فقط، بل ليفرق بين علم الدلالة والسمياء؛ لأن السمياء في رأيه تدرس العلاقة، بينما علم الدلالة يدرس الخطاب أو الجملة"^(٢).

وعرف (ديان مكدونيل) الخطاب بقوله: "كل شيء يدل أو يحتوي على معنى يمكن أن يُعد جزءاً من الخطاب"^(٣).

(١) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحددين، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٧٢.

(٢) بول ريكود: نظرية التأويل، ترجمة، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٣، ص ١٠-١١.

(٣) ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية المصرية، ٢٠٠١م، ص ١٣٠.

ويقول (ميشيل فوكو) بأن الخطاب: "هو مصطلح لساني، يتميز من نص وكلام وكتابة وغيرها لشموله كل إنتاج ذهني، سواء أكان شعراً أم نثراً، منطوقاً أم مكتوباً، فردياً أم جماعياً ذاتياً أم مؤسسياً، في حين إن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد^(١). وبما أن الخطاب حدث كلامي فإنه يتضمن عناصر عدة، هي المرسل والمستقبل أو الجمهور، والرسالة أو الموضوع والهدف، ويؤثر الهدف تأثيراً واضحاً في إستراتيجية المرسل مما يتيح له اختيارات محددة البدائل كما يتيحها له النظام اللغوي.

والمح (فوكو) في كتابه (نظام الخطاب) بقوله إننا إذا أردنا أن نصنع خطاباً فلا بد من الترابط في نسق الجمل التي نصنعها، وتكون كلمات الجمل هي نفس بنيان اللغة المستعملة"^(٢). وقول (فوكو) هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الجمل يجب أن تكون متناسقة ومنتظمة، لكي يكون الخطاب واضحاً ومفهوماً وله معنى، وبالتالي يؤدي رسالة تواصلية معبرة بحيث يكون التأثير واضحاً وجلياً في ذهن المتلقي، ويخلص (فوكو) إلى أن مفهوم الخطاب كما عبر عنه بقوله: "هو مصطلح لساني، يتميز من نص وكلام وكتابة وغيرها، بشمله كل إنتاج ذهني سواء أكان نثراً أم شعراً، منطوقاً أم مكتوباً، فردياً أم جماعياً، ذاتياً أم مؤسسياً، إنما يكشف عن منطلق داخلي وارتباطات مؤسسية للخطاب، فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها، أو يحمل معناها، أو يميل إليها، بل هو خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما"^(٣).

(١) ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة، محمد سبيلا، دار التنوير، لبنان، ١٩٨٤، ص ٩.

(٢) ميشيل فوكو: نظام الخطاب: ص ٣١-٥٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ٩.

ويمكننا القول إذن: إن الخطاب لا يتكلم إلا من خلال النظر إلى قوانين اللغة الداخلية التي تحكمه في نسق معين، ومن ثم تكشف اللغة عن الجانب الفعلي والافتراضي الذي يعنيه الخطاب.

ومن هنا فإن رؤية دي سوسير للخطاب يتمثل في كونه رسالة لغوية يبيئها المتكلم إلى المتلقي، فيستقبلها المتلقي ويفك رموزها.

وهناك إسهام لامع وقيمة جلى لمفهوم الخطاب عند (استيتية) يقول فيه: الخطاب هو الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين، والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم، وهو بذلك يتجاوز المفهوم الضيق إلى مفهوم أوسع، ليدل على ما يصدر عن المرسل من كلام أو إشارة أو إبداع فني^(١).

ونستنتج من هذا التعريف: أن الخطاب يستمد مفهومه من عنصري اللغة والكلام، إذ إن اللغة كما عرفها أربابها بأنها نظام من الرموز يستعملها الأفراد للتعبير عن أغراضهم، أما الكلام فإنه إنجاز لغوي ينطق به المتكلم قاصداً بذلك إيصال رسالة إلى مستقبل، وتحمل هذه الرسالة بين ثناياها مقاصد المتكلم، وهكذا يظهر أن إنتاج الخطاب له أثر كبير ولديه قدرة تأثيرية حوارية وتعبوية قارة وثابتة في نفس المستمع.

والخطاب بتلك المعاني والمفاهيم المتعددة والمتشابكة أحياناً يتعدى اللغة المنطوقة إلى لغة أخرى غير منطوقة، ويكون مباشراً وغير مباشر.

(١) سمير استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢،

ويقول ريكود في هذا السياق إن الخطاب ليس مجرد لحظة وسيطة أو زائلة، بل إن
في وسعنا إعادة صياغتها بكلمات أخرى في اللغة نفسها، أو ترجمتها إلى لغة أخرى^(١).
لذلك نستطيع بالمعاني والمفاهيم السابقة أن نخلص إلى أن الخطاب: هو ما يحمل
دلالة الكلام المتصل بعضه بعضاً، وينقل رسالة من الباث(المرسل) إلى المستقبل عبر قناة
ركيزتها اللغة التواصلية في إطار سياق ما.

(١) بول ريكود: نظرية التأويل، ص ١٢.

الفصل الأول

تحليل الخطاب القرآني للأنبياء

ويشمل

أولاً: أساليب الخطاب القرآني للأنبياء.

ثانياً: أهداف الخطاب القرآني للأنبياء.

ثالثاً: صور من ترابط سياق الخطاب القرآني مع الإعراب وتشمل:

١- ترابط الحذف مع السياق.

٢- ترابط العطف مع السياق.

٣- ترابط التوكيد مع السياق.

أولاً: أساليب الخطاب القرآني للأنبياء.

ينتمي تحليل الخطاب إلى الدرس اللغوي الحديث، بعد أن كانت الجملة أكبر وحدة لغوية، ثم ما لبثت الدراسة اللغوية أن توسعت فظهر علم جديد اعتنى بالنص وترابطه وآليات تماسكه وانسجامه، وسُمي ذلك العلم؛ بعلم نحو النص، أو علم اللغة النصي وعرف بأنه " هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك، ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"^(١).

ويعد علم اللغة النصي أو نحو النص "فرعاً من لسانيات النص"^(٢)؛ كما أن تحليل الخطاب قد حل محل لسانيات النص، وغدا مقال هاريس (Harris) الذي نشر في أوائل ١٩٥٢م نقطة انطلاق للدراسات اللسانية في مجال تحليل الخطاب.

وعليه فإن تحليل الخطاب هو "دراسة الكيفية التي بها تتوصل المقاطع النصية المتتالية في الاتصال اللغوي إلى تأدية الدلالة والقصد من مستعملها"^(٣). وهذا يعني أن وسائل الانسجام والاتساق وعناصر السياق جميعها داخلة في إطار تحليل الخطاب وتواصلية.

غير أن ما يسعى إليه الباحث عند تحليل الخطاب القرآني هو تبيان أساليب وأهداف الخطاب القرآني للأنبياء وأساليبه، وكيفية تلقي وتبليغ الأنبياء للرسالة التواصلية، ثم دراسة خصائص وأساليب وطرق ترتيبها وتنظيمها وتناسب أجزائها وتناسقها، فلقد كان من نعم الله

(١) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٣٦.

(٢) المعجم الموسوعي لعلم اللغة التطبيقي: ص ٣٥٢.

(٣) المرجع نفسه: ص ٩٩.

وفضله على بني البشر، أنه لم يتركهم للظفرة والعقل كي يهتدوا إلى الطريق القويم وإلى الخير في هذه الحياة، بل بعث رب العزة بين كل فترة وأخرى رسلاً وتاراً، يبلغون الناس رسالة الله ويدعونهم إلى عبادته وحده لقوله تعالى: " رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ " (النساء: ١٦٥).

وظل خطاب الله للأنبياء مستمراً حتى آخر الأنبياء -محمد صلى الله عليه وسلم- إذ كلف الله كل نبي بتبليغ ما أنزل إليه وبلسان قومه وشاهد ذلك قوله تعالى: " وَمَا أُمِرُّكُمْ أَنْ تُرِثُوا " (إبراهيم: ٤)

حقاً لقد كانت اللغة على مر العصور وسيلة اتصال وتواصل وتخابط وذلك من أجل التفاهم وإقامة الحجة والمنطق، وكانت الرسل تتواصل مع أقوامهم فأضاءوا دياجير الظلمة وحملوا مشاعل، الهداية إنقاذاً لتلك النفوس من كل بهرج وعقائد فاسدة وملبسة للعقل ومدمرة للفكر.

كما يُعد أسلوب النص القرآني مادة غنية وغزيرة ورحبة وخصبة لدارسي تحليل الخطاب، وفي الخطاب القرآني أساليب بيانية رفيعة وغاية في الدقة والكمال والتماسك المتين، مما استحوذ على لب كل مفكر وعاقل ومحلل وخصوصاً إذا حلق ذلك الدارس مع النص القرآني وتفكر في آيات الله، فإنه سرعان ما أخذه المبنى والمعنى، وجعله يتتبع خيوط النص القرآني، ويكتشف شبكة من العلاقات التي يأخذ بعضها بتلابيب بعض محققة أقصى حالات التماسك والانسجام والترابط المذهل في النص، سواء أكان ذلك على المستوى النحوي، أو المعجمي، أو الدلالي، أو البلاغي أو التداولي.

وعليه فإن دراستي للفصل الأول من البحث ستركز على أساليب وأهداف وصور من ترابط السياق مع الإعراب في خطاب القرآن للأنبياء، وهو ذلك الخطاب المنزل في القرآن على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- إذ أخبره الله -عز وجل- عن دعوة الأنبياء السابقين في قصص القرآن، ونحن موقنون بأن خطاب القرآن خطاب إعجاز ابتداءً من رسمه إلى إعرابه إلى تفسير نصوصه اللغوية العربية، وجاء بأساليب متعددة ولن يأتي أحد بمثله هذا لقوله تعالى: " قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا " (الإسراء: ٨٨)

والخطاب في القرآن الكريم لا يمكن فهمه بمعزل عن اللغة لأن للصياغة اللغوية، طرائقها المتعددة في التأثير في المتلقي. من هنا فإن من أهم وأبرز ما نلاحظه في الخطاب القرآني للأنبياء يمكن تلخيصه في النقطتين الآتيتين:

أولاً: إن ابتداء الخطاب بالأمر أو النهي أو النداء في كثير من الآيات القرآنية، ليس كما يفهم منه عند بعض علماء اللغة والبلاغيين على أن دلالته الأمر أو النهي أو النداء فقط، بل يتعدى ذلك إلى مجالات لغوية وبلاغية أوسع وأرحب، وليس أيضاً كما يفهم منه في علم الأصول وعند بعض المفسرين والفقهاء أنه مجرد حرمة وكراهة واستحباب ووجوب، فهو يحيل المتلقي إلى اكتشاف عناصر لغوية جمالية ودلالية بلاغية في سياق الخطاب نفسه، أو يحيله إلى خطاب جرت أحداثه مع نبي آخر، نحو قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً-صلى الله عليه وسلم-: " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاكِبٌ مِنَ الدُّنْيَا " (الإسراء: ١١١).

فهذه الآية لا يستطيع أحد توجيه معنى الخطاب فيها إلا بعد العودة إلى سياق تنزيلها والإطار الذي قيلت فيه، فقد ذكر ابن كثير أن سبب نزول هذه الآية "إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولداً وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصائبون والمجوس: لولا أولياء الله لذل فنزلت هذه الآية"^(١).

من هنا فإن دلالة هذا الخطاب ومعناه لا يكون في المستوى المطلوب من الفهم والإدراك، حتى نلم الإماماً تاماً بحقيقة ما كان يقوله اليهود والنصارى لأنبيائهم ورسولهم، وهذا ما أكده أيضاً (بول ريكود) عند حديثه عن المحور التباعي فقال: "الكلمة المفردة ليس لها معنى في ذاتها، بل تستمد معناها من الوحدات أو الكلمات الأخرى المجاورة لها في السياق الذي ترد فيه"^(٢).

ثانياً: إن الخطاب في القرآن الكريم لا يقف عند زمان ومكان محددين بل يتجاوز حدث الزمانية والمكانية بغية تحقيق أهداف معينة منها إعداد الأنبياء والرسول وتربيتهم وتهيتهم للثبات وتحمل أعباء الدعوة والرسالة، ويكون ذلك باستخدام أسلوب الإخبار والقص، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "الْمُرَاغِبُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" (يس: ٦٠-٦١)

ونحو قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ" (المؤمنون: ٥١).

فالخطاب في قوله تعالى (يا أيها الرسل) خرج عن حدود الزمن والمكان ويتعين تقدير قول محذوف اكتفاء بالمقول، وهو استئناف ابتدائي، أي قلنا: يا أيها الرسل كلوا" والمحكي هنا حكي بالمعنى والخطاب هنا لم يكن موجهاً للرسول في وقت واحد بضرورة اختلاف

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار المفيد، بيروت، ١٩٨٤، ج ٣، ص ٧٠-٧١.

(٢) بول ريكود: نظرية التأويل، ص ٩.

عصورهم، والتقدير: قلنا لكل رسول ممن مضى نكرهم كل من الطيبات واعمل صالحاً إني بما تعمل عليم.

وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام، وهي شائعة في خطاب الجماعات، ومنه قولهم: ركب القوم دوابهم، والغرض من خطاب الرسل هو بيان كرامتهم عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانية والروحانية فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية والعمل الصالح نزاهة نفسانية^(١).

وقد جاء الخطاب القرآني للأنبياء بأساليب متعددة هي:

أولاً: الأسلوب المباشر والمسبوق بـ (يا أيها) كقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - : **« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »** (المائدة: ٦٤) ويسمى خطاب الخاص أو خطاب الكرامة^(٢).

ويكون المعنى بـ (يا أيها الرسول) هو "أن يبلغ الرسول إلى الخلق جميع ما أنزل إليه من ربه مالك أمره ومبلغه إلى كماله، ولا تخش يا محمداً في ذلك أحداً ولا تخف أن ينالك من ذلك مكروه.

والحكمة في التصريح بالأمر بالتبليغ وتأكيد، بجعل كتمان بعضه ككتمان كله، مع العلم بأن الرسل صلوات الله عليهم - معصومون من كتمان شيء مما أمرهم الله بتبليغه، وإلا بطلت حكمة الرسالة بعدم ثقة الناس بالتبليغ، وإن الحكمة في ذلك بالنظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - هو إعلامه بأن التبليغ حتماً لا يجوز كتمانها على أي حال بتأخير شيء عن

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧، ج ١٨، ص ٦٨.

(٢) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أحمد القيسية، مؤسسة النداء، الإمارات، ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ١١٠.

وقته على سبيل الاجتهاد، ولولا هذا النص لكان للرسول أن يجتهد بتأخير بعض الوحي إلى أن يقوى استعداد الناس لقبوله، ولا يحملهم سماعه على رده وإيذاء الرسول لأجله" (١).

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ" (المزمل: ١).

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" (المدثر: ١).

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ" (الأنفال: ٦٥).

إن هذا الأسلوب المباشر والمسبوق بـ (يا أيها) قد خص به سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- في القرآن وحده دون غيره من الأنبياء، وذلك تشريفاً وتعظيماً لمكانته عند الله.

وإن لكل خطاب من الخطابات السابقة معنى ودلالة، فمثلاً قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

حَسْبُكَ اللَّهُ" (الأنفال: ٦٤) فيها إخبار لرسوله بأنه كافيه إذ أيده بنصره فيما مضى

وبالمؤمنين، والآية أيضاً فيها تشريف لمقام النبي -صلى الله عليه وسلم- وذكر مكانته

العظيمة، وإن كان الظاهر من هذه الآية أنها اشتملت على مجموعة من الأوامر والتعليمات،

ثم جاءت الآية التي تلتها "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ" فهي تمهيد لأمر المؤمنين بالقتال ليحققوا

كفايتهم للرسول، وأعيد نداء النبي في هذه الآية للتبويه بشأن الكلام الوارد بعد النداء، وهذا

الكلام في معنى المقصد بالنسبة للجملة التي قبلها، لأنه لما تكفل الله له الكفاية، وعطف

المؤمنين في إسناد الكفاية إليهم، أحتيج إلى بيان كيفية كفايتهم، وتلك الكفاية هي قتال أعداء

الله" (٢).

(١) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج ٤-٦، ص ٤٧١.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٩، ص ١٥٤-١٥٥.

كما أن خطاب الله لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- قد جاء على غير ما خوطب به الأنبياء، فلم يذكر اسمه بصريح العبارة مثل "يا محمد، يا أحمد..". أما الأنبياء السابقون فخوطبوا بأسمائهم مثل "يا عيسى، يا يحيى، يا زكريا، يا موسى، يا نوح، يا داود".

ونلاحظ أيضاً أن القرآن قد خاطب سيدنا محمداً بالنبوة والرسالة والصفة كقوله تعالى: "يا أيها النبي" و "يا أيها الرسول" و "يا أيها المزمّل" و "يا أيها المدثر".

ولعل دلالة تلك الخطابات هو عظيم مكانته -صلى الله عليه وسلم- وتشريف الله له، ويظهر جلياً أن الخطابات بهذه الأساليب، إنما يعكس لغة العرب أي؛ عنايتهم باللقب والكنية لما في ذلك من فضل واستحباب عند المخاطبة، يقول أبو حيان في البحر المحيط: "إن نداءه صلى الله عليه وسلم بـ (أيها النبي) و (أيها الرسول) هو على سبيل التشريف والتكريم والتتويه بفضلته وتخصيصه بذلك عما سواه، وتعليماً للمؤمنين ألا ينادوه بأسمه، وحيث ذكره على سبيل الإخبار عنه بأنه رسول صرح باسمه فقال تعالى "مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ" وقوله تعالى "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ"^(١).

ثانياً: الأسلوب المباشر والمسبوق بـ (يا النداء) وحدها (ويسمى خطاب العين)

لقد كان هذا أسلوب الخطاب للأنبياء، ولم يرد مثله لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-

نحو قوله تعالى: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ" (مريم: ١٢).

وقوله: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص: ٢٦)

وقوله: "يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتِ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ" (المائدة: ١١٦)

وقوله تعالى: "يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ" (النمل: ٩)

(١) محمد بن يوسف (أبو حيان): البحر المحيط، تحقيق، زكريا النوتي (وآخرين)، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٧م، ج ٨، ص ٢٨٩.

وانظر: جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١١١.

وقوله تعالى: "يَا نَزَكَرَاتُ إِنَّا نَبُشْرِكُ بِغَلَامِ اسْمِهِ يَحْيَى لَنَجْعَلَ لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا" (مريم: ٧).

وقوله تعالى: "وَأَدْبَاهُ أَنْ يَأْتِ بِإِبْرَاهِيمَ * قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا" (الصافات: ١٠٤-١٠٥).

وقوله تعالى: "يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا" (هود: ٤٨).

فالنداء (بالياء) في الآيات السابقة حمل الدلالات الآتية:

١- التلطف والاستمالة والقرب.

٢- استرعاء الوعي والاهتمام بما سيقال.

٣- الإقبال على الله وعدم الخوف لأن من كان بحضرته فهو آمن.

٤- مكانة الأنبياء الرفيعة.

٥- التتويه بشأنهم بين الملأ.^(١)

وذهب سيبويه على أنها في الأصل لنداء البعيد، وقد ينادى بها القريب توكيداً إذا كان صاحبك قريباً منك مقبلاً عليك^(٢).

وقد جاء في كتاب "الجنى الداني" أن أداء النداء الياء هي أم باب النداء، وقد ينادى بها القريب توكيداً^(٣).

وذهب ابن هشام في المغني إلى أن (ياء) هي مشتركة بين القريب والبعيد، وهي أكثر

أحرف النداء استعمالاً، ولهذا لا يفتقر عند الحذف سواها نحو قوله تعالى: "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

" (يوسف: ٢٩)^(٤).

(١) أنظر: بن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٧، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٣.

(٢) عمرو بن عثمان (سيبويه): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٣) الحسن بن القاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٥٤.

(٤) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٣٤.

ويقول ابن الحاجب: إنها استعملت في جميع أحوال المنادى بلا استثناء فقد وردت في

نداء القريب^(١).

ثالثاً: أسلوب الخطاب بلفظ الأمر: ولقد خوطب جميع الأنبياء بهذا الأسلوب.

نحو قوله تعالى:

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" (النحل: ١٢٥)

"وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (مريم: ٣٩)

"فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" (الحجر: ٩٤)

"اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" (طه: ٢٤)

"قَالَ خذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى" (طه: ٢٠)

"وَاصْبِرْ لِفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" (هود: ٣٧)

"فَلَمَّا اخْتُلِفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ أَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ"

(هود: ٤٠).

وليست هذه الخطابات الربانية ذات الأساليب المختلفة إلا مدعاة للتفاعل مع المتلقين

في كل زمان ومكان، وإن "المزية هي في الجديد الذي لم يؤلف ولم يسبق به عهد، والمفاجأة

تكسر الرتابة والاعتیاد وتقود قطعاً إلى الجدة، ويلاحظ خصوصية التركيب الجمالي في القرآن

الكريم التي تعني المتلقي أولاً وآخر^(٢).

(١) جمال الدين (ابن الحاجب): كتاب الكافية في النحو، شرحه رضى الدين الأسترابادي، بيروت، دار

الكتب، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ١٨.

وفي توضيح لأحد الأساليب السابقة فقد عبر الخطابي عن مدلول (الصدع) في قوله تعالى: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " فقال: والصدع مستعار، وإنما يكون في الزجاج ونحوه من فلق الأرض، ودلالته المبالغة فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه^(١).

رابعاً: أسلوب الخطاب بحذف أداة النداء:

نحو قوله تعالى: "يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف: ٢٩) فأداة النداء في هذه الآية محذوفة، وقد جوز ابن يعيش في (المفصل) حذف حرف النداء فقال: "ويجوز حذف حرف النداء عما لا يوصف به، وذلك لأن حروف النداء نائبة عن أنادي، وورود حذف حرف النداء في القرآن إنما هو للدلالة على المحذوف فصارت القرائن الدالة كالتلفظ به"^(٢).

خامساً: أسلوب الخطاب الواحد بلفظ الجمع:

نحو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ " (المؤمنون: ٥١) فانه سبحانه وتعالى: "يتوجه بالخطاب إلى أمة الرسل، وكأنما هم مجتمعون في صعيد واحد، في وقت واحد، فهذه الفوارق الزمانية والمكانية لا اعتبار لها أمام وحدة الحقيقة التي تربط بينهم جميعاً، وإنه نداء الله للرسل ليمارسوا طبيعتهم البشرية التي ينكرها عليهم الغافلون، فالأكل من مقتضيات البشرية عامة، أما الأكل من الطيبات خاصة فهو الذي يرفع هذه البشرية ويزكيها ويصلها بالملأ الأعلى، وليس المطلوب من هذا النداء تجرد

(١) أبو سليمان الخطابي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل، دار صادر، مصر، دت، ج ٢، ص ١٥.

الرسول -صلى الله عليه وسلم- من بشريته، إنما الارتقاء بهذه البشرية، ولقد كان الأنبياء من قبل سيدنا محمد رواداً لهذا الأفق ومثلاً أعلى، وتتلاشى آماد الزمان، وأبعاد المكان، أمام وحدة الحقيقة التي جاء بها الرسل، ووحدة الطبيعة التي تميزهم، ووحدة الخالق الذي أرسلهم، ووحدة الاتجاه الذي يتجهونه أجمعين^(١).

ولا شك أن هذا الأسلوب من التخاطب في صورته يشير إلى علاقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالأنبياء السابقين، على الرغم من التباعد الزماني والمكاني، إذ لا فرق بين الأنبياء في ممارسة طبيعتهم البشرية، كما يحمل هذا الخطاب أيضاً بعداً جوهرياً يتمثل في أن الرسل جميعاً هم مكلفون بحمل رسالة الله إلى عباده.

ونظير ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم-: " فَذَرَهُمْ فِي غَمَرِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ " (المؤمنون: ٥٤).

فهذا الخطاب هو: خطاب الواحد بلفظ الجمع، إذ خاطب الله سيدنا محمداً وحده، حيث لا نبي معه ولا بعده^(٢).

وجاءت هذه الآية بعد أن ذكر الله -عز وجل- في آيتين سابقتين ما حدث لأمم أولئك الأنبياء السابقين من التفرق والانقسام، فيما كان يجب عليهم من اتفاق الكلمة، ومن فرحهم بما فعلوا، فأمر الله نبيه أن يترك الكفار في جهلهم الذي لا جهل فوقه، لأنه لم ينجح فيهم النصيح، ولا يجدي فيهم الإرشاد بقوله "فذرهم" في غيهم وضلالهم إلى حين يرون العذاب رأي العين^(٣).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ج١٩٩٢، ص١٨، ص٢٤٦٩.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج٣، ص١١٤.

(٣) أحمد المراغي: تفسير المراغي، ج١٨، ص٢٩٠.

كما كثر في القرآن الكريم مثل هذا الخطاب، خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو قوله

تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (النحل: ١٢٦) فهذا خطاب

لسيدنا محمد وحده بدليل قوله: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَخْزِنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

يَمْكُرُونَ" (النحل: ١٢٧)، وكذا قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (هود: ١٤)، بدليل قوله تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ

مُفْتَرَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (هود: ١٣)^(١).

(١) المرجع نفسه: تفسير المراغي، ص ١٤.

سادساً: أسلوب الحوار:

إن أسلوب الحوار في الخطاب القرآني للأنبياء هو أكثر أسلوب ورد في القصص القرآني، ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله قبل أن يخلق آدم كان وما زال لديه ملائكة يسبحونه ويقدسونه بإخلاص، وتشاء قدرة الله أن يجعل في الأرض خليفة فكان سيدنا آدم -عليه السلام- أول رسول مخاطب.

أما مشهد الحوار فإنه يتجلى بأبهى صورته في حوار الله مع الملائكة، حين أراد الله خلق آدم -عليه السلام- وذلك في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ كُنَّا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدُونُ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة: ٣٠-٣٥).

أن السياق -فيما سبق- يستعرض موكب الحياة بل، موكب الوجود كله، ثم يتحدث عن الأرض في معرض آلاء الله على الناس، فيقرر أن الله خلق كل ما فيها لهم... فهنا تجيء قضية استخلاف آدم في الأرض، ومنحه مقاليدها، على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة

التي يعالج بها هذه الخلافة، عندئذ جاء القرار من العليم بكل شيء " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

عَرَضَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (البقرة: ٣١). (١).

فالرسالة التي حاور الله بها سيدنا آدم -عليه السلام- بأن علمه الأسماء كلها في جو من التواصل اللغوي، فتلقى آدم تلك الرسالة متفهماً لها ولجزئياتها مدركاً لأهدافها، فعندما خاطبه الله بالنداء بقوله (يا آدم) إنه التكريم الرباني بأبهى صورة، ومن ثم لم ينقطع التواصل بل استمرت الرسالة بأن خاطبه مرة أخرى (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) وهنا إيضاح ثان لهدف الخطاب وهو السكن والاستقرار والتمتع بنعيم الجنة، ويستمر التواصل بالأمر والنهي في قوله تعالى " وَكَلَّمْتُمَا رِجَالًا بِأَسْمَاءٍ فَلَمَّا نَسُوا مَا يُنذَرُونَ كَانُوا فِي السُّجُودِ مُسْتَمِرِّينَ " (البقرة: ٣٥).

ويبين ابن عاشور في التحرير والتنوير قيمة النداء في قوله تعالى: " قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ

بِأَسْمَائِهِمْ " (البقرة: ٣٣)

يقول: "لما دخل هذا القول في جملة المحاورة جردت الجملة من (الفاء) في قوله تعالى: (قال يا آدم) كما تقدم في نظائره، لأنه وإن كان إقبالاً بالخطاب على غير المخاطبين بالأقوال التي قبله فهو بمثابة خطاب لهم، لأن المقصود من خطاب آدم بذلك أن يظهر فضله على الملائكة في العلم من هاته الناحية، فكان الخطاب بمنزلة أن يكون مسوقاً إليهم لقوله عقب ذلك: " قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (البقرة: ٣٣).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٦-٥٧.

وابتداء خطاب آدم بنداؤه مع أنه غير بعيد عن سماع الأمر الإلهي إنما هو: للتتويه بشأن آدم وإظهار اسمه في الملأ الأعلى، حتى ينال بذلك حسن السمعة مع ما فيه من التكريم عند الأمر، لأن شأن الأمر والمخاطب (بالكسر) إذا تلتطف مع المخاطب (بالفتح) أن يذكر اسمه ولا يقتصر على ضمير الخطاب حتى لا يساوي بخطابه كل خطاب، وهذه نكتة ذكر الاسم حتى في أثناء المخاطبة، ومما ورد بهذا الشأن عند الشاعر امرؤ القيس قوله:

أفأطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي^(١).

وربما جعلوا النداء طريقاً إلى إحضار اسمه الظاهر، لأنه لا طريق لإحضاره عند المخاطبة بواسطة النداء، فالنداء على كل تقدير مستعمل في معناه المجازي^(٢).

وأرى بأن الخطاب الذي جاء بأسلوب النداء حقق هدف التكريم أثناء حوار الله لآدم بقوله: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ وَكُلْ مِنْهَا مَرغَدًا حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة: ٣٥).

"نداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملأ الأعلى، لأن نداءه يسترعي إسماع أهل الملأ الأعلى، فيتطلعون لما سيخاطب به، وينتزع من هذه الآية أن العالم جدير بالإكرام بالعيش الهنيء، كما أخذ من التي قبلها أنه جدير بالتعظيم، والأمر بقوله (اسكن) مستعمل في الامتتان بالتمكين والتخويل وليس أمراً له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة إذ لا قدرة له على ذلك السعي فلا يكلف به"^(٣).

(١) امرؤ القيس: الديوان، شرحه عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، د.ت، ص ٩٨.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٤١٦-٤١٧.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٢٨.

وخطاب الله لأدم -عليه السلام- يجمع بين سكتين؛ سكن الجنة، وسكن الزوجة، وهذا

امتداد لتكريم سيدنا آدم بتمام الفضل والنعمة^(١)

ويظهر في سياق الآية مسألة لغوية تتعلق باستخدام العطف (بالواو) في سورة البقرة،
والعطف (بالفاء) في سورة الأعراف قوله تعالى "ويا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأعراف: ١٩): "فكلا من حيث شئتما" فعطف
(كلا) في سورة البقرة على (اسكن)، وعطف (بالفاء) في سورة الأعراف فما الحكمة من ذلك؟
قال الرازي: "الحكمة أن كل فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء
بمنزلة الجزء عطف الثاني على الأول (بالفاء) دون الواو كقوله تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ مَرْعَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَلِّمُوا لِلْمُحْسِنِينَ"
(البقرة: ٥٨).

فعطف كلوا على ادخلوا (بالفاء) لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها فكأنه قال:
إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصول إلى الأكل، والأكل متعلق بوجوده بوجوده يبين ذلك
قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف: "وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَلِّمُوا لِلْمُحْسِنِينَ" (الأعراف: ١٦١)

فعطف كلوا على قوله (اسكنوا) بالواو دون الفاء، لأن اسكنوا من السكنى وهي المقام
مع طول اللبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده، ولأن من دخل بستاناً قد يأكل منه، وإن
كان مجتازاً، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط، وجب العطف بالواو دون

(١) السيد أحمد السوداني: تحولات الخطاب القرآني ودلالاته، مجلة الشريعة، اليمن، حضرموت، ٢٠٠٤،
ص ٢٣٩.

(الفاء) إذا ثبت هذا فنقول: إن (اسكن) يقال: لمن دخل مكاناً فيراد منه إلزام المكان الذي دخلته ولا تنتقل عنه، ويقال أيضاً: لمن لم يدخل اسكن هذا المكان: يعني أدخله واسكن فيه.

وفي سورة البقرة هذا الأمر إنما ورد بعد أن كان آدم في الجنة فكان المراد منه اللبث والاستقرار، وقد بينا أن الأكل لا يتعلق به، فلا جرم أن ورد بلفظ (الواو)، وفي سورة الأعراف هذا الأمر إنما ورد: قيل أن أدخل الجنة، فكان المراد منه دخول الجنة، ويقول الرازي: وقد بينا أن الأكل يتعلق به، فلا جرم أن ورد بلفظ "الفاء"^(١).

ويلحظ في هذا الحوار الرباني مع سيدنا آدم في سورتي البقرة والأعراف، أنه قد جاء في سياق التكريم والتفضيل له "فقد أسند القول في سورة البقرة إلى نفسه "قلنا يا آدم" وهذا يقوله القرآن في مقام التكريم والتعظيم فإن الله سبحانه يظهر نفسه في مقام التفضل والتكريم، ويؤكد هذا استخدام ضمير الجماعة (قلنا)، في حين جمع الله بين طرد إبليس وإسكان آدم بقول واحد في سورة الأعراف، وهو لفظ (قال) بإسناد القول إلى الغائب قوله تعالى: "قال أخرج منها مذموماً مدحوراً" وقوله "ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة" فلم يفرّد آدم بقول، كما أن الواو في قوله "وكلا" لمطلق الجمع صالحة لجميع الأزمان بما فيها الفاء، والفاء في سورة الأعراف "فكلا" فإنها تفيد التعقيب والترتيب أي؛ يقع المعطوف بعد المعطوف عليه مباشرة، فجاء بالواو في سورة البقرة لأنها دالة على السعة في الاختيار، وهو المناسب أيضاً لمقام التكريم وأرحب زمناً من الفاء، فذكر الله كل حرف في المكان الذي هو أليق به"^(٢).

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، د.م، ١٩٨١، ج٣، ص٤-٥.

(٢) فاضل السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ٢٠٠٤م، ص٢٩٠-٢٩١.

وفي قوله تعالى: " ولا تقربا" يُعنى به: ولا تأكلا من هذه الشجرة لأن قربانها إنما هو القصد الأكل منها، فالنهى عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل، لأن القرب من الشيء ينشئ داعية وميلاً إليه، وقوله: "فتكونا من الظالمين" أي؛ من المعتدين، وأشهر معاني الظلم في استعمال العرب هو الاعتداء؛ والاعتداء إما اعتداء على نهى الناهي إن كان المقصود من النهي الجزم بالترك، وإما اعتداء على النفس والفضيلة إن كان المقصود من النهي عن الأكل من الشجرة بقاء فضيلة التعم لأدم في الجنة^(١).

وفي حوار الله لسيدنا نوح -عليه السلام- يخاطبه الله -عز وجل- على أنه بشر يأكل ويشرب ويعيش حياة الناس، وهذا الأسلوب الحوارى يتضمن درساً تعليمياً وتأهلياً لسيدنا نوح في دعوته لقومه.

لقوله تعالى: "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ" (هود: ٣٧) هنا تتجلى بشرية سيدنا نوح وذلك عندما أمره الله بصنع الفلك قبل الطوفان، وهو على علم بأن ابنه من الظالمين، فقال الله على لسان سيدنا نوح "وَبَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ" (هود: ٤٢) فعاطفة الأبوة دفعت بسيدنا نوح لحظة الطوفان أن يجار بالنداء فأنزل الله "وَبَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ" (هود: ٤٥) ثم أتاه أمر الله "قلنا له احمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (هود: ٤٠) ثم تذكر سيدنا نوح قول الله تعالى: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود: ٤٦).

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتوير، ج ١، ص ٤٢٨-٤٣٣.

ويعي سيدنا نوح هدف الخطاب الرباني في سياق المحاوراة التي جاءت في سورة هود

فيذعن لأمر الله حين جاء على لسانه قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا

تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (هود: ٤٧). وهناك صورة أخرى يظهر فيها خطاب الله

لسيدنا نوح -عليه السلام- على شكل حوار، وفيه إنذار نوح لقومه لقوله تعالى: " إِنَّا أَمْرُسُكُنَا نُوحًا

إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (نوح: ٢-٤).

وتكون نتيجة حوار الله لسيدنا نوح رفض قومه الاستجابة لدعوته، بعد ذلك دعا على

قومه " وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّامًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَجِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا " (نوح: ٢٦-٢٧).

ونظير أسلوب المحاوراة قصة سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- وهو يناجي الله

فجاء على لسانه قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى

وَلَكِن لِيُطْمَئِنِّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ

سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (البقرة: ٢٦٠) فتلك القصة الحوارية تمثل أسلوباً ونمطاً فريداً

من الحوار حيث يريد سيدنا إبراهيم أن يطمئن أكثر، في قضية شائكة مؤرقة للبشرية جمعاء

إلا وهي قضية الحياة والموت، وقدرة الله في إحياء الموتى، وهذه ما أكده الجرجاني بقوله:

"فإننا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر، كما أخبر الله تعالى عن سيدنا إبراهيم في قوله "قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"^(١). وإن أدب سيدنا إبراهيم ظهر عندما قال على لسانه (رب أرني...) "فإن إبراهيم لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني، إلى العلم الضروري، فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس، وكيف هنا جاءت على الحال المجردة من الاستفهام، وقوله تعالى: (أو لم تؤمن) فالواو للحال، والهمزة استفهام تقرير على هذه الحالة، وعامل الحال فعل مقدر دل عليه قوله (أرني)، والتقدير، أأريك في حال أنك لم تؤمن، وهو تقرير مجازي مراد به لفت عقل سيدنا إبراهيم إلى دفع، هو هواجس الشك، فقوله: (بلى ولكن ليطمئن قلبي) كلام صدر عن اختباره يقينه وإقائه سالماً من الشك"^(٢).

ويفيد سيدنا إبراهيم من الحوار السابق ليقف في وجه الكافر الذي حاجه في ربه، والذي خاصمه في قدرة الله على إحياء الموتى لقوله تعالى: "الْمُرْتَلِي الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (البقرة: ٢٥٨) ، فأعلى الله من شأن سيدنا إبراهيم وعظمه في أمر المخاصمة الباطلة، في قوله تعالى: "الْمُرْتَلِي الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ" (البقرة: ٢٥٨) تشريفاً لسيدنا إبراهيم"^(٣).

(١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٨٨، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٣٨.

(٣) المرجع نفسه: ج ٣، ص ٣٠.

سابعاً: خطاب الواحد بلفظ الاثنين:

وجاء ذلك في خطاب سيدنا موسى -عليه السلام- قوله تعالى: " وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " (يونس: ٨٩) قال الزركشي في البرهان: إن الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي، وقيل: لهما أي لموسى وهارون، وكان هارون قد أمن على دعائه والمؤمن أحد الداعين^(١).

ثامناً: أسلوب خطاب الجمع بعد الواحد:

خاطب الله سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- بقوله: " وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا " (يونس: ٦١)

فقد جاءت هذه الآية على النحو الآتي: أفرد فعل الأمر، ثم أتبع بحالة الإفراد نفسها في الفعل الثاني (تتلو) وجمع الفعل الثالث "تعملون".

وقال ابن الأنباري: فالجمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ونظير ذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ " (الطلاق: ١). فهذا

الخطاب أفتتح بخطاب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- والمراد بذلك هو كل من يملك الطلاق من سائر أمته.

ومثل ذلك قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَمْرَاجَكَ " (الأحزاب: ٥٠).

(١) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٦٥.

تاسعاً: أسلوب خطاب العين والمراد به غيره (١):

قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ" (الأحزاب: ١)

فالخطاب موجه إلى سيدنا محمد والمراد المؤمنون، لأنه كان -عليه الصلاة والسلام- تقياً، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين، والدليل على ذلك في السياق نفسه قوله تعالى: "وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (الأحزاب: ٣).

عاشراً: أسلوب خطاب التشريف (٢):

وكثير ما نجد مثل خطاب التشريف لسيدنا محمد في القرآن الكريم بقوله تعالى (قل) فقال: "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِلَّا نُبَأٌ مِّنْ رَبِّي فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْجَأُ الْكُفْرَانَ إِلَىٰ آبٍ أَتَىٰ مِنْ لَدُنْهُ وَسِعَتْ جَنَّتُومًا تَجْرِي سَاحِلِينَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ إِلَّا نَفْخَ بُيُوتٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَخِزْيَانٍ مِّنْ لَّدُنْهُمْ يُسَلُّونَ" (آل عمران: ٨٤).

فقد جاءت هذه الآية توضح الآية الثانية والثمانين من السورة نفسها "وذلك بعد أن بين الله سبحانه أخذ الميثاق من النبيين أن يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم- إن أدركوا حياته وأن يكونوا من أتباعه وأنصاره، وأمر سيدنا محمد أن يؤمن بالأنبياء المؤمنين به وبكتبهم، وأتمته تابعة له في ذلك، حيث كان المعنى: (قل آمنا بالله) أي قل آمنت أنا ومن معي بوجود الله ووحدانيته وتصرفه في الأكوان" (٣).

ويقول الزركشي: إن كل ما في القرآن العزيز من مخاطبة (بقل) هو تشريف منه -

سبحانه وتعالى- لهذه الأمة؛ بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة؛ إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول للمرسل إليه قال لي المرسل: قل كذا وكذا؛ ولأنه لا يمكن إسقاطها؛ فدل على أن المراد بقاؤها.

(١) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص ٣٦٧.

(٢) الزركشي: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٣) محمد المراغي: تفسير المراغي، ج ٣، ص ٥٤٠.

حيث لا بد من فائدة في الخطاب، وعلى هذا فيكون الأمر من المتكلم إلى المتكلم بما

يتكلم به أمره شفاهاً بلا واسطة، كقولك لمن تخاطبه: أفل كذا"^(١).

ثانياً: أهداف الخطاب القرآني للأنبياء.

كان خطاب القرآن للأنبياء تغييراً جذرياً للمعتقدات والانحرافات والأباطيل التي تعانيتها المجتمعات بهدف إحلال القيم الربانية مكان ذلك الزيف الذي أهلك وفتت تلك المجتمعات، وحولها عن مسارها الصحيح، فترى الظلم والظلام شرعة الأقوياء المتسلطين على الضعفاء.

وكانت أداة التغيير الفاعلة هي رسالة الله إلى الأنبياء ليقوموا بمهمة تغيير ذلك الواقع

الاجتماعي الفاسد، ولتحملوا المسؤولية الكاملة على عاتقهم دون كلال أو ملل.

وينبغي أن ندرك أن الخطاب في القرآن هو رسالة لغوية يتضمن هدفاً أو أهدافاً

واضحة المعالم، وتلك الأهداف التي تضمنها الخطاب تعد ركيزة أساسية من ركائز اللسانيات

الاجتماعية.

وحيث كانت وظيفة اللسانيات الاجتماعية هي: تحليل الرسالة اللغوية بمجمل أهدافها.

فإن المتمعن في الخطاب القرآني الذي يروي لنا أخبار الأمم وقصصهم مع أنبيائهم

يدرك أبعاد الأساليب الخطابية التي اتبعها القرآن في الكشف عن العقائد الفاسدة في واقع

مجتمعاتهم، وكيف استطاع الأنبياء تغيير وتحدي ذلك الواقع بالحجة والإقناع ومن ثم تقريع

حاملي المعتقدات الفاسدة، والصبر والثبات على الدعوة التي كُفِّوا بها.

ويلحظ أن الخطاب القرآني بمجمل تفاصيله يصور للأنبياء الواقع الاجتماعي تصويراً

دقيقاً، مظهرًا فساد الأفكار والعقائد والعادات والتقاليد التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

(١) الزركشي: البرهان، ج٢، ص ٣٧٣.

ولقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- مفصلاً فخطب الله -عز وجل- نبيه بصور متعددة وصيغ مختلفة، وبين الله في القرآن أشكالاً وطرائق تعبيرية في قصص الأنبياء لتكون أمثلة أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقد استقبل الأنبياء الخطاب وأدركوا أبعاده ومعانيه وخصائصه وأهدافه ومراميه.

فأهداف الخطاب وطرق بنائه تختلف عن أي خطاب أدبي، شعري أو نثري وإن مكوناته وأنظمته وألفاظه لم تخرج عن بناء العربية في جميع جزئياتها، ولكن شتان بين النص الأدبي، والنص القرآني فهو نسيج متفرد في بنائه وبيانه ومعانيه وأسلوبه وحسن نظمه، وسر ذلك هو الإعجاز الرباني الذي تحدى به بني البشر، وفي هذا المقام قال الخطابي "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني"^(١).

والمتدبر للخطاب القرآني يرى أنه ينطوي على تحقيق أهداف تواصلية مع الأنبياء، ويرينا الخطاب القرآني الذي نزل على سيدنا محمد دروساً من التواصل في أخبار وقصص الأنبياء مع أقوامهم، وإن هذه الأخبار والقصص إنما جاءت تسليية وطمأنة وتثبيتاً لفؤاد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لقوله تعالى: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئُ بِهِ فِرَّادَكُ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود: ١٢٠)

وقد ذكر الطبري في تفسيره "أن الله تعالى يتعالى عن أن يخاطب خطاباً، أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب"^(٢).

(١) الخطابي: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٤.

(٢) محمد بن جرير (الطبري) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دارا لمعارف، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٧٢.

من هنا فإن أهداف الخطاب تعد عنصراً رئيساً من عناصر الخطاب القرآني للأنبياء

ومن أبرز تلك الأهداف:

أولاً: وحدانية الله: فجميع الرسل خوطبوا بهذا الهدف، وشاهد ذلك صيغة الأمر

الواضحة في قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً: "قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا" (الإسراء: ٤٢)

وقوله تعالى: "قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ نَزَعْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا"

(الإسراء: ٥٦) وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (الأنبياء: ١٠٨)

وقوله تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" (الأنبياء: ٣٦)

والمتمعن في هذه الأوامر يجد "أنها مرتكزة على قاعدة التوحيد الوطيدة، ومن خلال

السياق للآيات السابقة تتهافت عقائد الشرك وتتهاوى، وتتفرد الذات الإلهية بالعبادة والاتجاه

والقدرة والتصرف والحكم في هذا الوجود، ولعل ما يؤكد وحدانية الله في قوله تعالى: "قُلْ لَوْ

كان" هو حرف الشرط (لو) إذ يقول النحاة: هي حرف امتناع لامتناع، فالقضية كلها ممتنعة،

وليس هنالك آلهة مع الله - كما يقولون - والآلهة التي يدعونها إن هي إلا خلق من خلق الله

سواء أكانت نجماً أو كوكباً، إنساناً أو حيواناً، نباتاً أو جماداً، وليس أحد بقادر على أن يكشف

الضرر أو يحوله إلا الله وحده"^(١).

وثمة خطاب الوحدانية في سورة الجن فإنها تعالج قضية التوحيد، فجاء فيها على لسان

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا" (الجن: ٢١)

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ٤، ج ١٢، ص ٢٢٣٠-٢٢٥٣.

وقوله: " قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرِيَ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا " (الجن: ٢٢) وقوله: " قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا " (الجن: ٢٥) فخطاب الله لسيدنا محمد في هذه السورة متواصل، ودلالة ذلك مرجعية الضمائر في هذا الخطاب هي التي تكشف ذلك التواصل المنسجم الذي يظهر فيه التماسك النصي في تحقيق هدف الوحدانية في السورة الكريمة، ويلحظ أيضاً الحوار في هذه السورة من خلال مرجعية الضمائر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث لم يذكر اسمه صراحة.

إن المحور العام والموضوع الرئيس، في هذه السورة هو وحدانية الله عز وجل، إذ بين الله -عز وجل- لسيدنا محمد في غير خطاب قضية الألوهية والإقرار بوحدانية الله، فالأمر في بداية الآيات وكذلك الأفعال والأسماء كلها تؤكد هذه الوحدانية مثل (قل، ادعو، ربي، أشرك، إني، يجيرني، أحد، أدري) وتعود مرجعية الضمائر إلى سيدنا محمد المكلف بهذه الدعوة.

وإذا ما نظرنا إلى هدف الرسالة التي خاطب الله بها سيدنا نوحاً - عليه السلام - فإنها قد حملت ألفاظ الوحدانية التي أرسل بها سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- من بعده، وهذه المقاربة في الألفاظ إنما هي للتعبير عن المعنى الرئيس والهدف الواحد لجميع الرسل في تقرير وحدة الرسالة، ووحدة العقيدة، فقال تعالى: " وَكَقَدْ أَمْرُسْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِمِ " (هود: ٢٥-٢٦) لقد بين الله لسيدنا نوح وظيفة الرسالة كلها، فهو مكلف بالتبليغ والإنذار "إني لكم نذير مبين" وهو أقوى في تحديد

هدف الرسالة وإبرازه في وجدان السامعين، ومرة أخرى يبيلور رب العالمين مضمون الرسالة في حقيقة جديدة، "ألا تعبدوا إلا الله" فهذا هو قوام الرسالة، وقوام الإنذار^(١).

ويمضي السياق القرآني في خطاب سيدنا نوح في سورة هود مؤكداً مسألة الإيمان بالله قوله تعالى: "وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْبِرْ لِفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَخِينَا وَلَا تَخَاطَبِ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ" (هود: ٣٦-٣٧) وكان هدف الخطاب في هاتين الآيتين "عدم البؤس والقلق، ولا عليك مما يفعلون من كفر وتكذيب وتحذ واستهزاء، فقد تقرر مصيرهم وانتهى الأمر فيهم، فلا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون"^(٢).

وقضية الوجدانية في قصة سيدنا نوح -عليه السلام- تكررت في أكثر من موضع، ففي سورة نوح "اشتملت هذه العبارة على محاور تكليف الله لنوح بالرسالة والتبليغ، وطاعة نوح للأمر، والقيام بعرض الدعوة، وموقف قومه الرفض، المستنكر الساخر، وجميع هذه المحاور تسير في إطار المحور العام للسورة، فلا يمكننا أن نقول: "بأن كل محور يمكنه أن يمثل مقطعاً مستقلاً بنفسه، ولكنها تسير جنباً في آيات السورة كلها، وهذا يؤكد تضافر هذه المحاور لتحقيق التماسك النصي للسورة، وطبيعة السورة بهذا الشأن أن يكون الحوار هو طابعها؛ فانه هو المكلف، ونوح هو المكلف، وقومه هم المبلغون، والحوار يدور على هذه المحاور محققاً أنماط التماسك الدلالي"^(٣).

ونظير ذلك خطاب الله لسيدنا موسى -عليه السلام- لقوله تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ" فقد انصب على الألوهية ووجدانية الله لقوله تعالى: "إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ٤، ج ١٢-١٨، ص ١٨٧١.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ٤، ص ١٨٧٦.

(٣) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص ٢١٧-٢١٨.

نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ

نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" (طه: ٩-١٤)

"لقد بدأ الله كلامه لموسى بالبداية الضرورية، وهي العقيدة والوحدانية، حيث أخبره أنه لا إله إلا هو، وأنه رب العالمين، وأنه ربه هو، وأنه العزيز الحكيم.

ومعلوم أن هذه هي نقطة البدء في كل دين، البدء بتوحيد الألوهية وتقرير وحدانية الله في ألوهيته وربوبيته، وهذه أيضاً ضرورية لموسى عليه السلام، حيث سببعنه الله رسولاً إلى أعتى كافر، وهو فرعون"^(١).

والخطاب في الآيات السابقة يتوجه نحو المخاطب بلطف وتحمله على السير بخطوات متتدة حين دعاه الله، وناداه، واختاره ليكون كلمه، فما كان من سيدنا موسى إلا الانصياع للأمر الرباني لتنفيذ مهمة الرسالة التي أعد من أجلها وهي وحدانية الله "لا إله إلا أنا فاعبدي".

وخلاصة القول فقد تمثلت عناية الخطاب في تحديد أهدافه من خلال أبنيته اللغوية وأساليبه ومفرداته عناية كبيرة، فطرقت أهداف ذلك الخطاب أفئدة وقلوب المخاطبين إذ جعلتهم يسخرون كل طاقاتهم في خدمة هذا الخطاب بتطبيق محتواه، مقدسين تلك الرسالة التي بعثوا من أجلها، فكان الأنبياء كلهم يدعون إلى وحدانية الله بلغة واضحة، وتجعلهم مدركين لأبعاد أهداف الرسالة.

(١) صلاح الخالدي: القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٣٥٥.

ثانياً: التلطف في الدعوة.

لقد كان من أسمى وأرفع صور الخطاب في القرآن هو التوجيه الإلهي بالتلطف في الدعوة إلى الله وذلك عند دعوة الأنبياء أقوامهم إلى الله، فنظر الأنبياء إلى ذلك الهدف بإكبار وإجلال، فتحملوا في سبيل ذلك الهدف ألواناً من المشقة والعناد والاستهزاء والإنكار ابتغاء مرضاة الله، وهذا ما نلمسه في القرآن الكريم لقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم - "ادْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل: ١٢٥)

وقوله تعالى: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

فِي الْأَمْرِ" (آل عمران: ١٥٩)

ويتكشف اللطف واللين في خطاب الله لسيدنا موسى - عليه السلام - عندما أرسله الله مع أخيه هارون إلى فرعون " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " (طه: ٤٣-٤٤)، وبهذا يكون المعنى قولاً لفرعون قولاً لطيفاً رقيقاً لعله يتذكر عظمة الله أو يخاف عقابه فيرتدع عن طغيانه^(١).

ومثل ذلك قوله تعالى: " قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمْنَا مِنْ رَبِّنَا فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى "

(طه: ٤٩-٥٢)

ويظهر خطاب الود واللين والرفق في دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لأبيه فجاء

قوله تعالى، مبيناً أدب اللطف وحسن تعامل الابن مع أبيه في دعوته إلى الحق: " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص ٢٣٦.

لَمْ تُعِدُّ مَا لَمْ يَسْمَعْ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ ابْنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تُعْبِدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ ابْنِي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَكِيًّا" (مريم: ٤٢-٤٥).

إن تكرار (يا أبت) أربع مرات يعكس أسلوب التحبب والملاطفة في مخاطبة سيدنا إبراهيم لأبيه، وفي هذا يقول الزمخشري: "انظر حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال الحكمة والمجاملة واللفظ والرفق واللين والأدب الجميل منتصباً في ذلك بنصيحة ربه"^(١).

وللتكرار في قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم "يا أبت أثر كبير ودور في ربط أجزاء الكلام ووصل بعضه ببعض، وهذا ما نلمسه في علم اللسانيات النصي حين يعبر عن التكرار اللفظي (بإعادة العنصر المعجمي) وقد بنيت البلاغة العربية دور التكرار اللفظي في تجسيد المعنى في التحبب والملاطفة حين عرّفته "بأنه إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع) في القول مرتين فصاعداً"^(٢).

وحسبنا أن نبيين أدب سيدنا نوح في دعوته لقومه بكل رفق ولين لقوله تعالى: "قَالَ يَا

قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الرَّحْمَةِ مَنْ عِنْدَهُ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَسْمُ لَهَا

كَأَرْهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٥١٠.

(٢) أبو القاسم الأنصاري (السجلماسي): المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة العارف، الرباط، ٢٠٠٦، ص ٤٧٦. وانظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨، ص ٨٦.

رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزْيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا أَغْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لِابْنِي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدُّونَ عَلَيَّ غَائِبِينَ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ

خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ" (هود: ٢٨-٣١).

فسيدنا نوح - عليه السلام - تطف مع قومه في الخطاب باستمالتهم إلى الإيمان، أي قال لهم نوح: أخبروني يا قوم إن كنت على برهان وأمر جلي من ربي بصحة دعواي، ويظهر حسن الملاطفة في استغناء سيدنا نوح عن قومه بعدم سؤالهم الأجر على تبليغهم الدعوى، ولا أطلب على النصيحة مالا حتى تتهموني^(١).

وقد جاء في قصة سيدنا هود - عليه السلام - مع قومه تحقيق أمر الله بالتلطف والرفق في الدعوة لقوله تعالى: "وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (هود: ٥١-٥١) ومثل ذلك دعوة سيدنا صالح إلى قومه لقوله تعالى: "وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَنْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ" (هود: ٦١).

ثالثاً: تثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - على الدعوة.

لقد كان من أهداف خطاب القرآن تثبيت قلب سيدنا محمد على الدعوة، وإن ما ذكر من أخبار الأنبياء السابقين ما هو إلا تسرية وطمأنة للرسول - صلى الله عليه وسلم، وكذلك فإن الخطاب القرآني جاء تبياناً لمكانة الأنبياء وعظيم شأنهم عند الله - عز وجل - لأنهم

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ١٣.

صبروا وتحملوا الكثير من العناء في سبيل تبليغ دعوة الله إلى أقوامهم، وإن من الأدلة القرآنية

على تثبيت قلب الرسول على الدعوة قوله تعالى:

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" (الإسراء: ١٠١)

"وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ" (الأنبياء: ٤٨)

"وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ" (النمل: ١٥).

"وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ" (لقمان: ١٢)

"وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالِ أَوْبِيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ" (سبأ: ١٠)

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَفَى فِيهِ" (فصلت: ٤٥)

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَرِيسًا" (الفرقان: ٣٥)

وقال تعالى عن سيدنا محمد: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَنَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (الحجر: ٨٧)

من تظهر أهداف هذا الأسلوب القصصي الذي فيه من الإخبار ما يشير إلى تكرار الفعل الماضي (آتينا) المسبوق (بقد) المقرونة باللام الموطئة لجواب القسم، والتي تفيد الزيادة في التحقيق والتوكيد. كما أن في هذا التكرار تأكيداً طبيعياً لتفاصيل القصص القرآني، وتوزيعاً فنياً ملائماً للمعاني في سياق أحداث القصص القرآني، ويشير تكرار الفعل آتينا في الآيات السابقة إلى حصيلة تجارب دعوية وضعت أمام سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليقف مع مواجهة المعاندين والمكذابين، ويسلك طريق الأنبياء الذين سبقوه في الدعوة إلى الله، وفي مواضع أخرى في القرآن نجد صيغة أخرى للفعل (آتينا) اقترن بضمير الغائب، من ذلك قوله تعالى عن سيدنا عيسى:

"وَأَيُّهَا الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (المائدة: ٤٦)

وقوله تعالى في خطاب سيدنا إبراهيم -عليه السلام:

"وَأَيُّهَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" (النحل: ١٢٢)

"وَلَوْ طَآءَنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ" (الأنبياء: ٧٤)

"يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَيُّهَا الْحُكْمَ صَبِيًّا" (مريم: ١٢)

ويقول تعالى عن سيدنا أيوب عليه السلام:

"فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَيُّهَا أَهْلُهُ وَمَثَلُهُمْ مَعَهُ" (الأنبياء: ٨٤)

ويقول سبحانه عن داود: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيُّهَا الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخُطَابِ" (ص: ٢٠)

كل تلك الآيات فيها خلة سنية من عطاء الله ومنته وفضله على الأنبياء والرسل تكريماً وتشريفاً لمكانتهم العظيمة، ومنزلتهم الرفيعة، كما أكدت الآيات السابقة سير الأنبياء في تحملهم لمشاق الدعوة، وذلك حين أخبر القرآن سيدنا محمداً بذلك مما جعله عليه -الصلاة والسلام= يواجه عناد الكافرين بقلب قوي لا يخش إلا الله مهما كانت الصعوبات لقوله تعالى:

"وَلَوْلَا أَن تَبْتُلَنَا لَقَدْ كُنَّا كَالْإِبِهِمُ شَيْبًا قَلِيلًا" (الإسراء: ٧٤).

ثالثاً: صور من ترابط سياق الخطاب القرآني مع الإعراب.

السياق في اللغة؛ مصدر للفعل (ساق) وجاء في لسان العرب: ساق الإبل يسوقه سوقاً وسباقاً، وتساوقت الإبل؛ أي تتابعت، والمساوقة: المتابعة، وساق إليها الصداق سباقاً، لأن أصل الصداق عند العرب: الإبل^(١).

ونفهم بأن من معاني السياق التتابع في الكلمات في نسق معين

وقد جاء لفظ ساق في المعجم الوسيط بمعان متعددة منها:

- بعثه وأرسله نحو قولنا: ساق الله إليه خيراً.

- سرده وسلسله نحو قولنا: ساق الحديث.

- بمعنى يوجه، نحو قولنا: وإليك يساق الحديث.

- وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه^(٢).

وفي معجم المصطلحات اللغوية عُرف السياق أو القرينة: ما يسبق العنصر اللغوي أو يليه في كلام أو نص سواء أكان صوتاً أم كلمة أم جملة^(٣).

ويفرق الخولي في معجمه بين نوعين من السياق هما: السياق اللغوي (أو سياق الحال) والسياق غير اللغوي (سياق الموقف أو سياق المقام) ويعرف الخولي السياق اللغوي "البيئة اللغوية المحيطة بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو جملة"^(٤).

أما السياق غير اللغوي فيقول عنه: هو السياق الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين ويشمل: زمن المحادثة ومكانها والعلاقة بين المتحادثين والقيم المشتركة بينهما

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (سوق).

(٢) إبراهيم مصطفى (وآخرون): المعجم الوسيط مادة (سوق).

(٣) رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية، ١٩٩٠، ص ١١٩.

(٤) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، ص ٥٧.

والكلام السابق للمحادثة^(١). ولقد وردت لفظة المساق في القرآن الكريم في مواضع متعددة

منها:

قوله تعالى: "إِلَىٰ رَبِّكَ بِمَنْذُ الْمَسَاقِ" (القيامة: ٣٠)

فالمساق "السوق وهذا يدل على العامل في إذا والمعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق

إلى حكم ربها^(٢). وقوله تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ" (ق: ٢١)

فالمعنى الذي تحمله كلمة سائق في الآية "ملك يسوقها إليه"^(٣).

وقوله تعالى "وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرُومًا" (الزمر: ٧١) "أي جماعات متفرقة"^(٤).

وقد عبر مفسرو القرآن الكريم عن السياق بأنه: الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً

واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتضمت أجزاءه في نسق واحد،

مع ملاحظة أن الغرض من الكلام، أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في

مفهوم السياق، والسياق عند العرب القدامى هو المقام، ومقتضى الحال والتأليف^(٥).

بل إن اللغويين العرب القدامى قد اهتموا بالسياق بدءاً من سيبويه والمبرد وابن جني

والجاحظ والجرجاني، كما أكدوا دوره في تحديد معنى الكلمات والجمل، ويؤكد كمال بشر: أن

(١) محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، ص ٢٥٩.

(٢) جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، أشرف عليه محمد فهمي أبو عبيدة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٦٣٤.

(٣) المرجع نفسه: ص ٦٣٤.

(٤) المرجع نفسه: ص ٦٣٤.

(٥) عبد الوهاب أبو صفية الحارثي: دلالة السياق، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، ١٩٨٩، ص ٨٦.

الكلمة إن كانت منعزلة فهي ضربٌ من العبث، فلا بد من سياق يبرز دلالتها، وهو ما اصطاح على تسميته سياق الحال^(١).

كما كان السياق من أولويات علم اللغة في العصر الحديث، إذ أكدت المدارس السياقية الحديثة ومنها مدرسة (فيرث) على السياق، وعدته ركناً متيناً في تأدية معاني الكلمات والجمل وتوضيحها.

وإن درس اللغوي الغربي الحديث لم يكن الوحيد والمتفرد بدراسة السياق وأثره في توضيح المعنى.

"ويضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، منها تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات"^(٢).

وقد علق محمد المبارك على السياق، وارتباطه بدلالة المعنى ومفهومه بقوله: "إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالباً لتحديد معناها تحديداً تاماً دقيقاً، فإن كل كلمة بعد أن أخذت من مادتها الأصلية، وبنيت على أحد الأوزان الصرفية، واستعملت في مواطن من الكلام، وخصصها الاستعمال بمعانٍ أخص من المعنى العام الذي تدل عليه مادتها، وبتعدد الاستعمال خلال العصور، وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمة أكثر من معنى، وهذه المعاني المتعددة تتصل بالمعنى الأصلي، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها، ويبرز أحدها عند استعمال الكلمة في جملة معينة وسياق محدد من الكلام فلو نطق متكلم بكلمة "كاتب" هكذا مجردة من الكلام، لثار في ذهن السامع

(١) كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، القسم الثاني، ص ١٥٣.

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٤٠.

معان عديدة، ولا يعين أحد هذه المعاني إلا استعمالها في جملة من الكلام، ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام^(١).

ولقد أسهمت "نظرية السياق" في علم اللغة الحديث في تلاصق المعنى والسياق، فقال تمام حسان عن هذه النظرية "إنها -إذا طبقت بحكمة- فإنها تمثل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة"^(٢). ويعد المرسل إليه أو المتلقي عنصراً مهماً من عناصر السياق "ولهذا لم يغفل علماء اللغة دور المتلقي، فالنص حوار بين قائل النص والنص والمتلقي، ولقد وجدنا أن النص القرآني خاصة في القصص القرآني يأتي بعناصر جوهرية في القصة أو الموضوع، ثم يحذف عناصر أخرى ثانوية، وعلى القارئ أن يستكمل هذه الجمل المحذوفة من خلال إدراكه لطبيعة الأسلوب القرآني، وسياق النص أو مناسبة النزول"^(٣).

أما عن أهمية الإعراب عند علماء اللغة والنحو وارتباطه بالسياق والمعنى، فقد ورد ذلك في كثير من كتب إعراب القرآن الكريم كالنحاس، والزجاج، والعكبري حيث نظروا إلى الإعراب من خلال المعنى السياقي للكلام، وجعلوا الإعراب فرعاً للمعنى، ولا يستقيم الإعراب بحال من الأحوال إن خالف السياق، وذكر معربو القرآن "أنه ينبغي على المعرب أن يراعي ما يقتضيه السياق، لذلك استعان القدماء من المعربين كالنحاس، والزجاج، والفراء،

(١) محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠، ط٤، ص ١٨٢-١٨٣.

(٢) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، د.ت، ص ١٩١-٢٣٩.

(٣) صبحي إبراهيم النقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج ١، ص ١١٠-١١١.

وغيرهم بالسياق، ولاحظوا أثر السياقات المختلفة في توجيه الآيات، وأبرزوا هذا الأثر من خلال محاور عديدة من أبرزها الحذف^(١).

وسوف أتناول صوراً من ترابط السياق القرآني مع الإعراب، وذلك لما فيها من إبراز

للمعنى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) خلود العموش: الخطاب القرآني "دراسة في العلاقة بين النص والسياق"، عالم الكتب الحديث، اربد،

٢٠٠٥، ص ٣٤٨.

أولاً: ترابط الحذف مع السياق

يُعدُّ الحذف أداة فاعلة في أسلوب تضام الخطاب القرآني، وكثيراً ما يؤدي الخطاب معاني متعددة مثل الدعاء والنضرع نحو قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَبَّنَا" (آل عمران: ٤١)

وقوله تعالى على لسان سيدنا موسى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي" (المائدة: ٢٥) ويقدر المحذوف: لا أقدر إلا على نفسي وأخي^(١).

ويؤثر الحذف في مرادبات سياق النص مثلما يكون الذكر طريقاً وهدفاً في أداء المعنى، وينبغي إدراك ما للحذف من أثر جلي وواضح يتركه في نفس المتلقي عند تلقيه الخطاب، كقوله تعالى مخاطباً سيدنا زكريا: "وَأذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً" (آل عمران: ٤١).

فالمعنى: اذكر ربك ذكراً كثيراً، فحذفت كلمة نكراً ونابت الصفة عنها وذلك أبلغ في الإعجاز.

ولما كان للحذف عند العرب أهمية بالغة في بلاغة الكلام وفصاحته، فقد أفرد ابن جني في كتابه الخصائص فصلاً سماه "باب في شجاعة العربية" بدأه بقوله "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف، والزيادة والتقديم، والتأخير، وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٦، ص١٦٦.

(٢) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، دت، ص٣٦٠.

أما الجرجاني في دلائل الإعجاز فأورد بآياً سماه (الذكر والحذف) قال فيه: "هذا باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين، وإن رب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد"^(١).

إن هذه الإشارة اللطيفة من الجرجاني تعمق في نفس القارئ والمتلقي التفكير في مرادات النص، حيث يسبر المتلقي أغوار النص بحثاً عن معنى يتناسب مع السياق وذلك عندما يكون الحذف أتم بياناً، وترى حينها دقة سبك الكلام في الحذف وفصاحته وبلاغته.

ولقد قلت آنفاً إن الحذف أداة فاعلة في أسلوب الخطاب القرآني وأرى ما يراه تمام حسان بأننا لا ننسب الحذف، إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة، ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة، ففي الجملة أركانها ومكملاتها، وفي عناصرها ما يفنقر إلى غيره، وما لا يستغنى المعنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفاً جيء به لطلب الخفة اختصاراً أو اقتصاراً أو تجنباً للحشو أو لسبب آخر غير ذلك.

وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه، فأمكن تقديره في الكلام"^(٢).

وينبغي أن ندرك التأويل الصحيح للحذف في الخطاب القرآني، وإلا فُتِح الباب على مصراعيه أمام المتقولين والمبتدعين إلى تأويل النصوص وتفسيرها في سياقات باطلة وغير

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤،

ط٥، ص١٤٦-١٥١.

(٢) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، هيئة الكتاب، مصر، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٠٩.

صحيحة، خصوصاً إذا كان ادّعاء أولئك ينافي ويخالف معنى صريحاً في النص القرآني المثبت، وهذا ما تحدث عنه سيد قطب في ظلال القرآن فقال: "إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصور الإسلامي وتكوينه، أن ينفذ الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية، أو عقلية أو شعورية سابقة، وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق الوجود، ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن ولا ينفي شيئاً يثبتته القرآن ولا يؤوله! ولا يثبت شيئاً ينفيه القرآن أو يبطله، وما عدا المثبت والمنفي في القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته"^(١).

أما عن شواهد الحذف في الخطاب القرآني للأنبياء فهي موجودة، وجل اللغويين أمثال سيبويه وابن جني والجرجاني والفراء والنحاس ذكروا أمثلة للحذف، غير أن الحذف عند بعضهم لم يكن له حد واضح وتعريف مانع وجامع، لذلك قبل أن أعرض شواهد الحذف في الخطاب القرآني لا بد أن أبين مفهوم الحذف لغة واصطلاحاً.

فالحذف كما جاء في المعاجم العربية القديمة يشير إلى المعاني الآتية:

الرمي عن جانب^(٢)، الإسقاط، يقال: حذف من شعري ومنه القطع، يقال حذف رأسه بالسيف^(٣). ومنه قولك حذف الأرنب بالعصا أحذفها حذفاً إذا رميته بها^(٤).

وجميع هذه المعاني اللغوية قريبة إلى حد ما لا يختلف في جوهرها بعضها عن

بعض.

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٧٣٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (حذف).

(٣) الجوهري: معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦، ج ٤، مادة (حذف).

(٤) محمد بن الحسن (ابن دريد): جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، مج ١، ص ٥٨٤.

أما الحذف اصطلاحاً فهو: إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها^(١)، وإسقاط كلمة لدلالة فحوى الكلام عليه^(٢)، واللفظ القليل الشامل لأمر كثيرة^(٣)، وإسقاط جزء من الكلام أو كلمة لدليل^(٤).

ويتقاطع الحذف في مفهومه مع الإيجاز والإضمار، فقد كان الإيجاز عند الزركشي هو عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه، وقال: إن الفرق بين الحذف والإضمار أن شرط الإضمار بقاء أثر المقدر (في اللفظ) نحو قوله تعالى: "بُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي مَرْحَمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" (الإنسان: ٣١).

ويرى الباحث أن خلاصة القول في الحذف: هو اقتطاع جزء من كلام سواء أكان حرفاً أو اسماً أو فعلاً أو أكثر من ذلك من نص الكلام، بغية تحقيق معنى أشد التاماً وأنسب توافقاً مع مراد النص وسياق الكلام، من خلال قرينة دالة على ذلك الاقتطاع.

من هنا فإن من شواهد الحذف في الخطاب القرآني حذف الحرف وذلك نحو قوله تعالى لسيدنا نوح -عليه السلام-: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود: ٤٦).

فالحذف كان في (الياء) في قوله تعالى، (فلا تسألن) وبالرجوع إلى مناسبة السياق يتبين لنا أن سؤال سيدنا نوح كان واحداً غير مكرر، طلب فيه من الله نجاة ابنه وذلك بسبب

(١) الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى: رسالتان في اللغة، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤، ص ٧٠.

(٢) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، شرح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، الأزهر، ١٩٦٩، ص ٢٠٢.

(٣) الباقلائي: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د.ت، ط ٣، ص ٢٦٢.

(٤) بدر الدين محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤، ج ٣، ص ١٧٣.

عاطفة الأبوة التي أثارَت نفس سيدنا نوح حب نِجاة ابنه من الغرق فجاء على لسانه قوله

تعالى قال " فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِى وَإِنِّ وَعْدُكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ " (هود: ٤٥) فاقتضى

السياق بقطع تلك الرابطة الدموية بأن عقب الله على ذلك بالإيجاز وحذف (الياء) من (تسألن)

في قوله تعالى : " فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ "

ولا يأتي الحذف إلا لغرض ما يجعل المخاطب في حالة ترقب ومحاورَة للنص من

أجل الوصول إلى المعنى المتحقق بدقة، لهذا "فالاختصار الذي يحمل المعنى الكثير باللفظ

اليسير ما هو إلا دعوة المستقبل إلى التفكير والتأمل لإدراك العنصر المحذوف، وفتح المجال

أمامه إلى تذوق جمال النص والاستمتاع به حين إدراك العنصر المحذوف"^(١).

ونظير الحذف قوله تعالى: " يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ "

(يوسف: ٢٩)

"وحذف حرف النداء من المنادى المفرد العلم لدلالة الإقبال عليه هنا جائز"^(٢).

وتقدير الحذف في الآية (يا) يوسف اعرض عن هذا، حيث إنه قد حذف حرف النداء،

"وكثيراً ما يسهم حذف حرف النداء في تقريب الصلة بين المنادى والمنادى، أو بين العبد

وربه"^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى: " لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا " (النساء: ١٦٦).

(١) مصطفى شاهر خلوف: أسلوب الحذف في القرآن وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٩، ص ٧٧-٧٨.

(٢) ابن عصفور: شرح جمل الزجاجي، قدم له فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، مجلد ٢، ص ١٨٤.

(٣) مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ١٥٣.

يقول بن عاشور: هذا استدراك على معنى أثاره الكلام، لأن ما تقدم من قوله تعالى:

(يسألك أهل الكتاب) مسوق مساق بيان تعنت الكافرين ومكابرتهم عن أن يشهد لصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحة نسبة القرآن إلى الله، فكان هذا المعنى يستلزم أنهم يأبون الشهادة بصدق الرسول، وأن ذلك يحزن الرسول فجاء الاستدراك بقوله: "لكن الله يشهد" فإن الاستدراك تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه والمعنى: لم يشهد أهل الكتاب لكن الله شهد وشهادة الله خير من شهادتهم^(١)، والشاهد في هذا أن الله ترك ذكر قول المشركين ما نشهد لك بهذا أي بحذف النفي^(٢).

ومن أمثلة حذف الحرف

قوله تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّنَ قَالَ إني جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا

يَبْتَئِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة: ١٢٤).

ويقدر في هذه الآية حذف الهمزة من قوله تعالى (ومن ذريتي) إذ أن الأصل أو من

(ذريتي)^(٣).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم -: "وَلَا تَخْزَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي

ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ" (النحل: ١٢٧)

"فكان حذف النون في لفظ "تك" تشير إلى ضرورة إزالة حذف الضيق من النفس،

وذلك منسجم مع الآية في سياقها"^(١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٦، ص ٤٤.

(٢) عبد الله بن مسلم الدينوري: تأويل مشكل القرآن، علق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني، دار المعالم الثقافية، الأحساء، ١٩٩٨، ج٢، ص ١٩٨.

ويتحدث الزمخشري عن مناسبة الآية فيقول: نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد، فوقف رسول الله على حمزة وقد رآه مبقر البطن فقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- "لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا به، فقالت الأنصار: لئن أصبنا فيهم يوماً مثل هذا لربيبنا عليهم قال: فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله تعالى وإن عاقبتهم" (٢) فنزل قوله تعالى: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ" (النحل: ١٢٦-١٢٧).

ويقول السامرائي في حذف النون (تك) في كتابه التعبير القرآني لقد أوصى الله سيدنا محمداً بالصبر ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكر الكافرين، أي: لا يكن في صدرك ضيق مهما قل، فحذف النون من الفعل (تك) وذلك إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً، وهذا تطيب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، وتخفيف لأمر الحذف وتهوينه على المخاطب فحذف الفعل بالحذف، إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس" (٣).

وقد جاء حذف حرف النون من (تك) في سورة هود أيضاً نحو قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم: "أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَخْرَابِ فَالْحَامِرُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ" (هود: ١٧).

-
- (١) عبد الله الجبوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ٣١٥.
- (٢) الإمام أبو علي محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، ضبطه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ١٩٧٤، ج ٤، ص ٣٦٢.
- (٣) فاضل السامرائي: التعبير القرآني، ص ٧٧.

ولقد أشار الزركشي في البرهان: إن حذف النون في نحو هذا قد يكون "تتبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله مثل "الْمَرْبُكُ نُظْفَةٌ" (القيامة: ٣٧) فحذفت النون تتبيهاً على مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو في نفسه، ثم يترقى في أطوار التكوين "فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّينٌ" (يس: ٧٧) فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون عن كون الآخرة.

وكذلك "وَإِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعَفُهَا" (النساء: ٤٠) فحذفت النون تتبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإن إليها ترتبها وتضاعفها، ومثل ذلك قوله تعالى: "يَا بَنِي إِهْمَا إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ" (لقمان: ١٦) وكذلك "أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ" (غافر: ٥٠) جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان الذي أقل من مبدأ فيه، وهو الحس إلى العقل إلى الذكر، ورقوهم من أخفض رتبة وهي الجهل - إلى أرفع درجة في العلم وهو اليقين^(١).

ونظير حذف الحرف قوله تعالى مخاطباً سيدناً محمداً - صلى الله عليه وسلم:-

"قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ" (النور: ٣٠-٣١)

لقد وجه الزمخشري حذف حرف الجر (من) حفظ الفرج، وذكره في غض البصر

بقوله: (من) للتبعيض؟ والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وقال:

"وجوز الأخفش أن تكون (من) زائدة، فإن قلت: كيف دخلت (من) على غض البصر دون

(١) بدر الدين بن محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى

البابي الحلبي، د.م، ط ٢، ج ١، ص ٤٠٧-٤٠٨.

حفظ الفروج قلت: دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن... وأما أمر الفرج فمضيق، وكفالك فرقاً أن أبيض النظر إلا ما استثني منه^(١).

أما البقاعي فعلى حذف حرف الجر (من) في نظم الدرر إذ وجه السياق توجيهها يختلف عن الزمخشري فيرى أن (من) التبعية مع البصر إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى، وأن المأخوذ به إنما هو التماذي، ولما كان حفظ الفرج لخطر الواقعة أسهل من حفظ البصر؛ ولأنه لا يفعل به من غير اختيار حذف (من) لقصد العموم، فقال: "ويحفظوا فروجهم" أي؛ عن كل حرام من كشف وغيره^(٢).

ومن أمثلة الحذف الذي يتناسب مع السياق قوله تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

فَاتَمَّهِنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَبَالُغْهُنَّ الْظَالِمِينَ" (البقرة: ١٢٤).

فهذه الآية اشتملت على تشريف لسيدنا إبراهيم إذ قدم المفعول به (إبراهيم) وذلك لأن المقصود من هذا التشريف في تقديم المفعول به بإضافة اسم رب إلى اسمه -عليه السلام- وذلك مراعاة للإيجاز، ولم يقل الله وإذ ابتلى الله إبراهيم.

ثم تلا هذا التشريف تشريف آخر: "قال إني جاعلك للناس إماماً" وأتى الإيجاز في حكاية قول سيدنا إبراهيم "قال ومن ذريتي" جواب صدر من إبراهيم، فلذا حكى (بقال) دون عاطف على طريق حكاية المحاورات، والمقول معطوف على خطاب الله تعالى إياه يسمونه عطف التلقين؛ وهو عطف المخاطب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٦٠.

(٢) برهان الدين البقاعي: نظم الدرر، خرج آياته عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٥٥، ص ٢٥٥.

منزلة المتكلم يكمل له شيئاً تركه متكلم، إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيلقنه السامع تداركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام في اعتقاد المخاطب^(١).

وخلاصة القول في هذا الحذف إنه وقع في (ومن ذريتي) والتقدير: أو من ذريتي فحذفت الهمزة^(٢).

ويوجه ابن عاشور: هذا الحذف بقوله: وإنما قال سيدنا إبراهيم (ومن ذريتي) ولم يقل (وذريتي) لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدي بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء، وإنما سأل لذريته ولم يقتصر على عقبه.

وأما ما ورد من حذف الاسم في الخطاب القرآني فقد يكون في المبتدأ والخبر وأحياناً يحذف الفاعل أو المفعول به، وورد ذلك في القرآن الكريم بأشكال وصور متعددة، فمن حذف المبتدأ خطاب الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَكَاتَسْتَعْجِلَ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمَّا يَلْبُتُوا إِبْرَاهِيمَ إِذْ سَأَلَهُ بِإِسْمِ رَبِّهِ أَنْ يَبْعَثْ عَلَيْهِ مِنْ نَارٍ بَلَاغٌ فَبَلَغَهُ فَمِثْلُ بَلَاغِ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا جَاءْنَاكَ مِنَ الْبَاطِنِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْبُنْيَانِ أَلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ" (الأحقاف: ٣٥)

قال ابن جني إن حذف المبتدأ يقدر (هذا بلاغ) أو (ذلك) وذكر أن الحذف الذي يقع في المفرد يكون على ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٧٠٤.

(٢) بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني، ج ٢، ص ١٨٩.

وفي خطاب الله أيضاً لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قوله تعالى: "وَقُلِ الْحَقُّ مِن

رَبِّكَ" (الكهف: ٢٩) أي هذا الحق من ربكم؛ وليس هذا كما يظن، أي قل القول الحق؛ فإنه

لو أريد هذا لنصب (الحق)؛ والمراد إثبات أن القرآن حق، ولهذا قال (من ربكم)؛ وليس المراد

هنا قول حق مطلق، بل هذا المعنى المذكور في قوله: "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا" (الأعراف: ٦٩) (١).

وقد يكون الغرض من حذف الاسم هو تبيان الأثر النفسي الذي يتركه الخطاب في

نفس المخاطب، فانظر إلى حذف المفعول به في خطاب الله لسيدنا موسى - عليه السلام - قوله

تعالى: "اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَاهُ قَوْلًا لِّبَنَاتِنَا لَعَلَّهُنَّ يَذَّكَّرْنَ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا مَرْبَاتَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ

يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأُبْرِي" (طه: ٤٣-٤٦).

فحذفت مفاعيل متعددة "فلم يقل الله عز وجل يتذكرني، أو يخشاني أو لا تخافا

فرعون، اسمع ما يقوله لكم، وأرى ما يفعل، وهذا الحذف يملأ النفوس طمأنينة وثقة مثل

أسمع، وأرى.

إذن النفوس سوف تطمئن إلى شمولية هذا السماع، وهذه الرؤية وفي بعض المحذوف

ما يعبر عن الرهبة مثل (لا تخافا) فهو إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون منهما خوف" (٢).

ويقول ابن عاشور: ونزل فعلا (أسمع، وأرى) منزلة اللازمين إذ لا غرض لبيان

مفعولهما بل المقصود: إني لا يخفى علي شيء.

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢) عبد الله محمد الجبوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص٢٣٣.

ونظير ذلك قوله تعالى: " وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " (النمل: ١٢) فلم يقل الله: مرسلًا إلى فرعون ولا مبعوثًا لأن ذلك

معروف^(١).

ومثل ذلك الحذف المضاف إليه نحو قوله تعالى: " وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا

بِعَشْرِ قَسَمٍ مِيقَاتٍ مِنْهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ "

(الأعراف: ١٤٢).

لقد وجه ابن عاشور حذف المضاف إليه بكلمة (ليالٍ) فاقتصررت الآية ثم أتممناه

بعشر" وإن هذا الحذف تشريف لسيدنا موسى -عليه السلام- حين جعل الله مدة المناجاة ثلاثين

ليلة تيسيراً عليه، فلما قضاها وزادت نفسه الزكية تعلقاً ورغبة في مناجاة الله وعبادته زاده الله

من هذا الفضل عشر ليالٍ.

وأحياناً يحذف الفعل في خطاب الأنبياء، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: " قُلْ كُونُوا حِجَابَةً

أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ "

(الإسراء: ٥٠-٥١) والتقدير هو: قل يعيدكم الذي خلقكم واخترعكم عند ابتداء خلقكم من غير

مثال سابق ولا صورة متقدمة^(٢). وقد جاءت الآيات السابقة في سياق الجدل الدائر بين

(١) محمد عبد بن مسلم (الدينوري): تأويل مشكل القرآن، ص ١٣٨.

(٢) محمد الشوكاني: فتح القدير، ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج ١، ص ١٠٥٥.

الرسول - صلى الله عليه وسلم- والمشركون في قضية البعث، فكان يصعب على المشركين تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام^(١).

ومثل حذف الفعل قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام-: " وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا

رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرِهَ يَعْصِبُ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ " (النمل: ١٠).

ويؤول الحذف هنا: وقلنا ألق عصاك، فحذف الفعل ليعلم سيدنا موسى ما سيشاهده من

قلب العصا حية، ليس بعجيب من جانب حكمة الله^(٢).

وقوله تعالى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي

جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ " (الأنعام: ٩١) فحذف الفعل، وكان تقديره قل (أنزله) الله^(٣).

كذلك يقع الحذف في الجملة وشاهد ذلك قوله تعالى: " وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِئًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبُهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ مِمَّنزَقِ اللَّهِ وَلَا تَغْنَوْا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ " (البقرة: ٦٠).

وتقدير الحذف هو: فضرب فانفجرت، فحذفت جملة ضرب وحذفها يشير إلى سرعة

إجابة موسى -عليه السلام- وامتناله لأمر ربه^(٤).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١٢-١٨، ص ٢٢٣٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) الشوكاني: فتح القدير، ج ١، ص ٥٥١.

(٤) بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني، ج ٢، ص ١٩٣.

ويقول ابن عاشور: والحذف إيجاز، وتقدير المحذوف لبيان المعنى، وذلك لأن الانفجار مترتب على قوله تعالى لموسى (اضرب) لظهور أن سيدنا موسى ليس مما يشك في امتثاله، بل ولظهور أن كل سائلٍ أمراً إذا قيل له افعل كذا أن يعلم أن ما أمر به هو الذي فيه جوابه^(١).

ومن الأمثلة على حذف الجملة قوله تعالى مخاطباً سيدنا يحيى -عليه السلام- : يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَابْنِئْهُمُ الْحُكْمَ صَبِيحًا " (مريم: ١٢).

ويقدر المحذوف في جملة القول، أي قلنا: (يا يحيى خذ الكتاب) وذلك بقرينة أن هذا الكلام خطاباً ليحيى، فلا محالة أنه صادرٌ من قائل، ولا يناسب إلا أن يكون قولاً من الله تعالى، وهو انتقال من البشارة إلى نبوعته^(٢).

وقد يأتي الحذف في أكثر من جملة مثال ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام- : "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَمُرِيكَ ﴿٣٥﴾ قَفَلْنَا إِذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا يَا آتَانَا فَدَمَّرْنَا هُمُ تَدْمِيرًا " (الفرقان: ٣٥-٣٦).

وتقدير المحذوف هنا: فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم.

ويعلق ابن عاشور على بلاغة هذا الحذف فيقول: وقد حصل بهذا النظم إيجاز عجيب اختصرت به القصة فذكر منها حاشيتها: أولهما وأخرهما، إذ إن سيدنا موسى وهارون قد بلغا الرسالة إلى قوم فرعون فكذبوا بها فاستحقوا التدمير، ولعل اتباع الفعل بالمفعول المطلق لما فيه تنكير المصدر من تعظيم التدمير، وهو الإغراق في اليم^(٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ١، ص ٥١٩.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٦، ص ٧٥.

(٣) المرجع نفسه: ج ١٩، ص ٢٦.

ثانياً: ترابط العطف مع السياق:

إن للعطف دوراً واضحاً وبيناً في نسج خيوط الترابط والتلاحم بين أجزاء الكلام سواء أكان مفرداً أو جملة، ويكون ذلك الترابط متكاملًا إذا عكس السياق ذلك، وكثيراً ما يلجأ معربو القرآن الكريم من القدماء والمحدثين إلى توجيه العطف من خلال البناء السياقي للنص، ويحكم على تآلف العطف أيضاً من خلال المعنى الذي يؤديه في السياق.

"وحرف العطف يربط بين المتعاطفين من جهة التشريك أو الترتيب والتعقيب أو التراخي أو الإضراب أو الاستدراك أو التسوية، فبعض هذه المعاني كما ترى ربط بالإيجاب وبعضها ربط بالسلب (أي إيجاب حكم الأول للثاني أو سلبه منه) ومعنى أدائها لوظيفة الربط يتضح حين تتعدد احتمالات للعطف، ولكن القرينة تحكم بأحقية واحد منها دون غيره، كما في قوله تعالى: "انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ" (الأنعام: ٩٩)، إذ يصلح الينع من الناحية التركيبية الصرف أن يعطف على الثمر، كما يصلح أن يعطف على ما أضيف إليه الثمر وهو ضمير الغائب، ثم تأتي القرينة من الاستعمال اللغوي إذ يقال للثمر، إنه يانع ولا يقال ذلك للشجر، بذلك نعلم أن العطف على الثمر، وأن الواو ربطت بين الثمر والينع"^(١).

وعد النحاة العطف من التوابع، فعرفه ابن الحاجب بقوله: هو تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة وهي (الواو والفاء وثم وحتى وأو وأما وأم ولا وبلا ولكن) والمقصود (بالنسبة) إخراج الوصف وعطف البيان والتأكيد^(٢).

وقال ابن الأنباري: "إن الواو العاطفة تفيد الجمع دون الترتيب، وهي أصل الحروف العاطفة، فإن قيل فلم، قال: لأن الواو لا تدل على أكثر من الاشتراك فقط، وأما غيرها من

(١) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٤٠.

(٢) ابن الحاجب: كتاب الكافية في النحو، ج ١، ص ٣١٨.

الحروف فتدل على الاشتراك وعلى معنى زائد، وإذا كانت هذه الحروف تدل على زيادة معنى ليس في الواو، صارت الواو بمنزلة الشيء المفرد (والباقي بمنزلة المركب)؛ والمفرد أصل للمركب^(١).

ومن أمثلة العطف الذي يتناسب مع السياق في إعرابه مخاطباً سيدنا يوسف قوله تعالى: " فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأُوْحِيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (يوسف: ١٥)

فإن كان عود الضمير في (إليه) على سيدنا يوسف -عليه السلام- وهو أكثر أقوال المفسرين، فالعطف (بالواو) في جملة (وأوحينا) معطوفة على جملة (واجتمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب) أن هذا الموحى من مهم غير القصة، والوحي يحتمل أن يكون إلهاماً ألقاه الله في نفس سيدنا يوسف حين كيدهم له، أو أنه وحي بواسطة الملك فيكون إرهاباً لسيدنا يوسف قبل النبوة رحمة من الله لينزل عنه كربه، فأعلمه بما يدل على أن سيخلصه من هذه المصيبة، وتكون له العاقبة على الذين كادوا له، وإيدان بأنه سيؤانسه من وحشة الجب بالوحي والبشارة، وبأنه سينبئ في المستقبل إخوته بما فعلوه معه، كما تؤذن به التوكيد في قوله (لتنبئهم) إذا اقترنت بالجملة الخبرية، وذلك يستلزم نجاته وتمكنه من إخوته، لأن الإنباء بذلك لا يكون إلا في حال تمكن منهم، وأمن من شرهم.

أما إن كان الضمير في (إليه) عائداً على سيدنا يعقوب -عليه السلام- فالوحي هو إلقاء الله إليه بواسطة الملك، (والواو) في (وأوحينا) أظهر في العطف حينئذ، فهو معطوف على جملة (فلما ذهبوا به) إلى آخرها (وأوحينا إليه) قبل ذلك^(٢).

(١) كمال الدين (ابن الأنباري): أسرار العربية، تحقيق بركات يوسف هبود، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢١٩.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٣٣-٢٣٤.

ودار نقاش بين البصريين والكوفيين على أن (الواو) في (وأوحينا) زائدة، فكان لأبي حيان في تفسير (البحر المحيط) رأي مؤيد للبصريين على إن الواو عاطفة إذ لا زيادة في مثل هذه الآية، وقال أبو حيان: بأن زيادة الواو هو قول كوفي مرغوب عنه، إذ كان مذهب الكوفيين أن الواو تزداد بعد (لما)، وعلى ذلك خرجوا (الواو) في (وناديناها) في قوله تعالى: " وَنَادَيْنَاهَا أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ " (الصافات: ١٠٤) بمعنى: ناديناها^(١).

ونظير هذا العطف قوله تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم عندما استسلم لأمر الله بالتهيب لذبح ابنه إسماعيل: " وَنَادَيْنَاهَا أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (الصافات: ١٠٤-١٠٥).

قال ابن عاشور: لقد كان جواب (فلما أسلما) محذوفاً دل عليه قوله تعالى: (وناديناها) وإنما جيء به في صورة العطف إيثاراً لما في ذلك من معنى القصة على أن يكون جواباً، لأن الدلالة على الجواب تحصل بعطف بعض القصة دون العكس^(٢).

ومن الأمثلة على ترابط حرف العطف (الواو) مع السياق مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام- قوله تعالى: " يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرِهَ بِعَصَاكَ يَا مُوسَى لَأَتَّخِفَنَّكَ أَنِّي لَأَتَّخِفُ لَكَ الْغَدَاةَ وَاللَّيْلُ وَالنَّجْمُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ " (النحل: ٨-٩).

فالخطاب موجه إلى سيدنا موسى من الله تعالى: " وهو النداء والإقبال والمخاطبة تمهيداً لما أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمُعْجَزِ، فَأَمْرَهُ اللهُ بِأَنْ يَلْقَى عَصَاهُ وَالْعَطْفُ هُنَا

(١) عبد الحميد مصطفى السيد: مسائل في النحو والصرف في تفسير البحر المحيط، دار الإسرائ، عمان، ٢٠٠٢، ص ٢٨٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ١٥٥.

في (وَأَلْقَ عَصَاكَ) عطف جملة الأمر على جملة الخبر (إنه أنا الله) وقد أجاز سيبويه مثل هذا العطف ضارباً مثلاً: جاء زيدٌ ومَنْ عمرو^(١).

أما الزمخشري فيقول: فإن قلت: علام عطف قوله (وَأَلْقَ عَصَاكَ)؟ قلت: على بورك، لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وألق عصاك كلاهما تفسير (النودي) والمعنى قيل له: بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك، والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ - بعد قوله - أَنْ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ - على تكرير حرف التفسير، كما تقول: كتبت إليك أن حج وأن اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر"^(٢).

وكذلك قوله تعالى: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْهُمْ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَمَرَكَاتٍ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (مريم: ١٢-١٥).

فعطف (وَأَنبِئْهُمْ) على جملة القول المحذوفة، أي قلنا: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وَأَنبِئْهُمْ (الحكم صبياً) فيكون هذا خصوصية لسيدنا يحيى بأن أوتي النبوة أي؛ الحكمة في حال صباه، (وصبياً) حال من الضمير المنصوب في (أَنبِئْهُمْ) وهذا يقتضي أن الله أعطاه استقامة الفكر وإدراك الحقائق في حال الصبا على غير المعتاد، وذلك كما أعطي نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - الاستقامة وإصابة الرأي في صباه، ويبعد أن يكون سيدنا يحيى أعطي النبوة وهو صبي، لأن النبوة رتبة عظيمة فإنما تعطى عند بلوغ الأشد.

(١) ابن عاشور: التحرير والتتوير، ج ٢٣، ص ١٥٥.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ١٣٨.

ثم تلا العطف بعطف آخر (وحناناً) إذا عطفت على (الحكم)، والحنان: الشفقة ومن كلام العرب: حنانك أي؛ حناناً منك بعد حنان، وجعل حنان يحيى من لدن الله إشارة إلى أنه متجاوز المعتاد بين الناس.

وكذلك عطف بره بوالديه على كونه تقياً للدلالة على تمكنه من هذا الوصف، واتبع بعطف ثالث (وسلام عليه) والأظهر أن سلاماً عطفت على آتيناها الحكم، مخاطباً به المسلمين ليعلموا كرامة يحيى عند الله^(١).

وأما قوله تعالى: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ " (البقرة: ٣٥).

يقول ابن عاشور: عطف على وإذ (قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أي بعد أن انقضى ذلك قلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة، وهذه تكريمة أكرم الله بها آدم بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة.

كذلك فإن ضمير (أنت) واقع لأجل عطف (وزوجك) على الضمير المستتر في (اسكن) وهذا استعمال العربية عند عطف اسم على ضمير متصل مرفوع المحل لا يكادون يتركونه، ويقصدون بذلك؛ زيادة إيضاح المعطوف فتحصل فائدة تقرير مدلول المعطوف لئلا يكون تابعة المعطوف عليه أبرز منه في الكلام، فليس الفصل بمثل هذا الضمير مقيداً تأكيداً للنسبة، أن الإتيان بالضمير لازم لا خيرة للمتكلم فيه فلا يكون مقتضى حال، ولا يعرف السامع لأن المتكلم يريد به تأكيداً، ولكنه لا يخلو من حصول تقرير معنى المضمير^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٧٥-٧٧

(٢) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٢٨.

وقد أشار الزمخشري إلى هذا العطف بقوله: و (أنت) تأكيد للمستكن في السكن ليصح

العطف عليه^(١).

ومن تناسب العطف (بالواو) مع السياق مخاطباً سيدنا محمداً قوله: " وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ

مَتَّهِمَاتٍ أُنذِرُوا عَلَيْهِمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهِقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ " (التوبة: ٨٤-٨٥)

"لما انقضى الكلام على الاستغفار للمنافقين في الآية التي سبقت هاتين الآيتين، جاءت

جملة (ولا تصل) معطوفة على جملة (استغفر لهم) عطف كلام مراد إلحاقه بكلام آخر.

ويلحظ أن جملة (إنهم كفروا بالله ورسوله) تعليلية لذلك لم تعطف، وقد أغنى وجود

(إن) في أولها فاء التفریع كما هو الاستعمال.

ثم جاء خطاب النبي (ولا تعجبك) والمقصود به المسلمون، أي لا تعجبكم، والجملة

معطوفة على جملة النهي عن الصلاة عليهم.

ولقد كان العطف بالواو بمعنى أن العطف في هذه الآية ليس مفرعاً على معنى الجملة

المعطوف عليها، ولكن بينهما مناسبة فقط، كما عطف الأولاد على الأموال بدون إعادة حرف

النفی، ولعل سبب هذا العطف أي؛ عطف الأولاد على الأموال معاً أنما المقصود تحقيرهما

في نظر المسلمين^(٢).

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٢٨٦-٢٨٧.

كذلك من شواهد الترابط بالعطف بـ (ثم) قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً: "قُلْ إِنَّ الَّذِينَ

يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَعًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ" (يونس: ٦٩-٧٠).

"افتتح هذا الخطاب بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لتبنيه السامعين إلى
وعى ما يرد بعد الأمر بالقول: بأنه أمر مهم بحيث يطلب تبليغه، وذلك أن المقول قضية عامة
يحصل منها وعيد للذين قالوا: اتخذ الله ولداً على مقالته تلك وقولهم "وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْرِكَ نَتْنَا
مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا" (الإسراء: ٩٠).

والعطف هنا (ثم إلينا مرجعهم) هي للتراخي الرتبي، لأن مضمونه هو محقق أنهم لا
يفلحون فهم أهم مرتبة من مضمون لا يفلحون.

كذلك اتبع العطف بعطف آخر (ثم نذيقهم العذاب الشديد) فكان هذا العطف بيان الجملة
(ثم إلينا مرجعهم)، وحرف (ثم) هنا: مؤكد لنظيره السابق، على أن المراد بالمرجع الحصول
على نفاذ حكم الله^(١).

كذلك قوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة: ٣١).

فالعطف بـ (ثم) يقتضي التراخي مع الزمن، وذلك لأن بين ابتداء التعليم الذي علمه
الله لآدم وبين العرض مهلة، وهي مدة تلقين الأسماء أو مدة إلهامه في وضع الأسماء
للمسميات، والأظهر أن (ثم) هنا للتراخي الرتبي كشأنها في عطفها الجمل، لأن رتبة هذا

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١٣٦.

العرض وظهور عدم علم الملائكة، وظهور علم آدم، وظهور أثر علم الله وحكمته، كل ذلك أرفع رتبة في إظهار مزية آدم، واستحقاقه الخلافة من رتبة مجرد تعلمه الأسماء لو بقي غير متصل به مما حدث من الحادثة كلها^(١).

أما أبو حيان في البحر المحيط: فيرى أن الأظهر (ثم) حرف تراخ ومهلة فصار المعنى؛ علم آدم ثم أمهله من ذلك الوقت إلى أن قال: "أَنَّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ" (البقرة: ٣٣). ليتقرر ذلك في قلبه^(٢).

ومن أمثلة الربط بين المتعاطفين من جهة التراضي قوله تعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ" (الأنعام: ١١) .

يرى الزمخشري أن هناك فرقا بين (فانظروا) و (ثم انظروا) فقال، فإن قلت: فانظروا جعل النظر مسببا عن السير، فكأنه قيل! سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين، أما قوله (ثم) فمعناه إياحة السير في الأرض لتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك (بثم) لتباعد ما بين الواجب والمباح^(٣).

وقال أحمد: وأظهر من هذا التأويل أن يجعل الأمر بالسير في المكانين واحداً ليكون ذلك سبباً في النظر، فحيث دخلت (الفاء) فلاظهار السببية، وحيث دخلت (ثم) فلتبنيه على أن النظر هو المقصود من السير، وأن السير وسيلة لا غير، وشتان ما بين المقصود والوسيلة^(٤).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤١١.

(٢) عبد الحميد مصطفى السيد: مسائل النحو والصرف في تفسير أبي حيان، ص ٢٩٠.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٧-٨.

(٤) ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري: الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال، دار

المعرفة، بيروت، ص ٧-٨.

ثالثاً: ترابط التوكيد مع السياق:

من الواضح أن القرآن الكريم دقيق في خطابه للأنبياء، ونجد أن ألفاظ التوكيد المستخدمة في القرآن تأتي حسب حاجة السياق لها، فقد يشتمل الكلام على مؤكد واحد أو أكثر من ذلك، ويقصد بالتوكيد " تمكين الشيء من النفس وتقوية أمره"^(١). وإذا تأملنا المؤكدات في القرآن نجد أن منها ما يؤكد بأن المشددة، أو بأن المخففة أو بالقسم، أو بالنون الثقيلة أو بالنون الخفيفة أو باللام أو غيرها، وإن تلك المؤكدات قد جاءت لسبب اقتضاه السياق، وقيل إن الفائدة من التوكيد التحقيق وإزالة التجوز في الكلام؛ ولأن من كلام العرب المجاز، ألا ترى أنهم يقولون: "مررت بزيد" وهم يريدون بمنزله ومحلّه، ويقولون: جاءتني القوم "وهم يريدون بعضهم، وأما قوله تعالى: "فنادته الملائكة" (آل عمران: ٣٩) فالمعنى المراد إنما كان جبريل وحده، فإن قلت: "جاءني القوم كلهم" زال هذا المجاز، فقال تعالى: "فسجد الملائكة كلهم" (الحجر: ٣٠) وقوله تعالى: "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب". لوجود التوكيد فيه"^(٢). والتوكيد كما جاء في تعريف ابن الأنباري يفيد ترسيخ وتثبيت المؤكد في نفس السامع، ويزيل أيضاً عن المؤكد ما لا يراد في احتمالات أخرى قد تتجه إلى ذات المؤكد.

والتوكيد في الخطاب القرآني لم يأت عابراً، فقد جاء لقيمة عظيمة تحدث عنها الجرجاني بقوله: "وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام.

من هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير

تقدمة.

(١) يحيى بن حمزة (العلوي): كتاب الطراز، دار المقتطف، مصر، ١٩١٤، ج ٢، ص ١٧٦.

(٢) كمال الدين، الأنباري: أسرار العربية، تحقيق، بركات يوسف هبود، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩،

وبدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى: "فَأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ"

(الحج: ٤٦) فخامة وشفراً وروعة، لا نجد منها شيئاً في قولنا (فإن الأبصار لا تعمي)، كذلك

السبيل أبداً في كل كلام كان فيه ضمير قصة، فقوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يُلْحِكُ الْكَافِرُونَ"

(المؤمنون: ١١٧) يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل: إن الكافرين لا

يفلحون، لم يستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك، إلا لأنك تعلمه إياه من بعد تقدمه وتنبهه، أنت به في

حكم من بدأ وأعاد ووطد، ثم بنى ولوح ثم صرح، ولم يخفى كان المزية فيما طريقه هذا

الطريق^(١).

ولتوضيح قيمة التوكيد نضرب أمثلة من خطاب القرآن الكريم للأنبياء قوله تعالى

مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم -: "فَأَضِرُّنَّ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقُّ فِيمَا نُرَبِّتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ

سَوِّبَتِكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ" (غافر: ٧٧) علق الزمخشري على التوكيد في هذه الآية فقال: (فإما نربيتك)

أصلها (فإن نرك) و (ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل، ألا تراك لا

تقول: إن تكرمني أكرمك، ولكن إما تكرمني أكرمك^(٢). وكان سيبويه قد قال في (إما) "وإن

شئت لم تقحم النون، كما أنك إذا شئت لم تجئ (بما) يعني لم تقحم النون مع مجيئك (بما)، ولم

تجئ (بما) مع مجيئك بالنون^(٣).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف: ١١٠).

(١) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٣٢.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٤٣٧.

(٣) سيبويه: الكتاب، ج ٢، ص ١٥٢.

وقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (تبارك: ٢٦).

لقد كان التأكيد في الآيتين السابقتين باستعمال (إنما) وهذا الاستعمال يسمى أسلوب القصر، ففي الآية الأولى أثبت الله - عز وجل - بشرية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأنه كسائر الناس، إلا أنه يوحى إليه من عند الله.

أما في الآية الثانية فقد كان التأكيد عندما سأله المشركون عن الساعة وأمرها، فقصر العلم في هذه المسألة على الله - عز وجل -، وقصر نفسه على الرسالة .

وقد يأتي التوكيد بتكرار اللفظ وهو ما يسمى عند النحاة بالتوكيد اللفظي فقال تعالى: " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاحُ الْمُبِينِ" (النور: ٥٤).

إن هذه الآية جاءت بعد استعراض أمر المنافقين بالخروج إلى القتال فكانوا يقسمون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالخروج والله يعلم إنهم لكانبون، وتأتي الآية السابقة بأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول طاعة حقيقية، لا طاعتهم تلك المعروفة المفهومة، "فإن تولوا وتعرضوا، أو تنافقوا ولا تتفدوا فإنما عليه ما حمل من تبليغ الرسالة وقد قام به وأداه، وعليكم ما حملتم وهو أن تطيعوا وتخلصوا، وإن تطيعوه تهتدوا إلى المنهج القويم المؤدي إلى الفوز والفلاح" وما على الرسول إلا البلاغ المبين" فليس مسؤولاً عن إيمانكم، وليس مقصراً "إذا أنتم توليتم"^(١).

وقد يكون التوكيد بـ (إن)

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٥٢٨.

وشاهد ذلك قوله تعالى في خطاب سيدنا نوح -عليه السلام- "وَبَادِيَ نُوْحٍ رَبُّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي

أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا

تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا

تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (هود: ٤٥-٤٧).

فقوله تعالى: "إن ابني من أهلي" خبر مستعمل في الاعتذار والتمهيد، لأنه يريد أن

يسأل سؤالاً لا يدري قبوله، ولكنه اقتحمه لأن المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه.

وأكد هذا الخبر بـ (إن) لإفادة الاهتمام به، أما جملة (إن وعدك الحق) فهو خبر

مستعمل في لازم الفائدة، وهو أنه يعلم أن وعد الله حق، والمراد بالوعد الحق ما في قوله

تعالى: "إلا من سبق عليه القول ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون". إذ أفاد ذلك أن

بعض أهله قد سبق من الله تقدير بأنه لا يركب السفينة.

وهذا الموصول متعين لكونه صادقاً على ابنه إذ ليس غيره من أهله طلب منه ركوب

السفينة .

وجملة "إنه عمل غير صالح" تعليل لمضمون جملة "إنه ليس من أهلك" فـ (إن) جاء

لمجرد الاهتمام^(١).

ثم نجد أن التوكيد مستمر في قوله تعالى: "فلا تسألني ما ليس لك به علم" بتشديد

النون، وهي نون التوكيد الخفيفة ونون الوقاية أدغمتا، وأثبتت ياء المتكلم، وبهذا يكون المعنى:

فلا تسألني ما علمت أنه لا يقع، وهذا المعنى يحتمل لأن يكون كناية عن العلم بضده^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٨٦.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٨٧.

كما قد أفاد التوكيد في قوله تعالى: "إني أعظك أن تكون من الجاهلين"، موعظة على

ترك التثبت قبل الإقدام^(١).

وإن كثرة المؤكّدات بان في الآيات السابقة تعطي دلالة واضحة على الترابط بين

المؤكّد والمؤكّد، وهو تعبير عن الرغبة في إقرار السابق ذكره وتثبيته^(٢).

ونظير التوكيد قوله تعالى على لسان سيدنا آدم وزوجه -عليهما السلام- "وَأَدَاهُمَا رَبُّهُمَا

أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ

تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف: ٢٢-٢٣).

إن سيدنا آدم وزوجه "جزما بأنهما يكونان من الخاسرين إن لم يغفر الله لهما، وإنهما

رأيا من العصيان بوادئ الضر والشر، فعلمنا أنه من غضب الله ومن مخالفة وصايته، وقد

أكدا جملة جواب الشرط بلام القسم ونون التوكيد إظهاراً لتحقيق الخسران؛ استرحاماً

واستغفاراً من الله تعالى^(٣).

ويعلق السامرائي على هذا التوكيد بقوله: فأنت ترى أن التوكيد يتناسب وقد

المعصية، فلما لم يكن سؤال نوح معصية لم يؤكد كلامه، ولما كان فعل سيدنا آدم معصية

لربه أكده بالنون، ومثل ذلك التوكيد الذي يتناسب وقد المعصية قوله تعالى: "لئن لم يرْحَمْنَا

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الأعراف: ١٤٩).

(١) المرجع نفسه: ج ١٢، ص ٨٨.

(٢) صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٦٧.

ففي هذه الآية إن بني إسرائيل فعلوا الكثير من الكفر والضلال، فجاءت الآية مؤكدة

بالنون واللام الموطئة، فالخسران إنما يكون على قدر المعصية^(١).

وأما التوكيد في قوله تعالى: " وَأَصْعَقْنَاكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ " (هود: ٣٧).

فجملة (إنهم مغرقون) تأكيد الخبر بحرف التوكيد، إنما هو مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وذلك بتزليل غير السائل المتردد منزلة السائل إذا قدم إليه من الكلام ما يلوح إلى جنس الخبر^(٢).

ونظير التوكيد بالنون مخاطباً سيدنا موسى قوله تعالى: " قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتِمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (يونس: ٨٩).

فقوله تعالى: " وَلَا تَتَّبِعَان " قرأه الجمهور بتشديد النون المكسورة، وهما نونان: أحدهما نون المثني والأخرى نون التوكيد، وهناك قراءة " وَلَا تَتَّبِعَان " بنون خفيفة مكسورة، وهي نون رفع المثني لا نون التوكيد، فتعين أن تكون لا على هاته القراءة (نافية) غير ناهية، والجملة في موضع الحال، (والواو) واو الحال، لأن جملة الحال المضارعة المفتوحة بحرف نفي يجوز اقترانها بالواو وعدمه^(٣).

وقد حكى النحويون كسر النون الخفيفة في مثل هذا عن العرب، وأما مذهب سيبويه

والكسائي أنها لا تدخل هنا الخفيفة^(٤).

(١) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص ١٦٤.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٦٧.

(٣) المرجع نفسه، ج ١٢، ص ٢٧٣.

(٤) عبد الحميد مصطفى السيد: مسائل النحو والصرف في تفسير أبي حيان، ج ٢، ص ٤٠٦.

ومن التوكيد أيضاً خطاب سيدنا موسى -عليه السلام- قوله تعالى: " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ

أَكَادُ أَخْفِيهَا تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى " (طه: ١٥).

قال السامرائي: "السياق يقتضى أن يؤكد اتیان الساعة (بأن) وحدها وذلك لأن سيدنا

موسى -عليه السلام- غير منكر لها، وجاءت هذه الآية ضمن كلام الله تعالى: "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ

فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ " (طه: ١٢).

وجاء بعد الآية السابقة قوله تعالى: " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ

أَخْفِيهَا تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى " (طه: ١٤-١٥).

فلم يكن سيدنا موسى -عليه السلام- ممن ينكر ذلك، فيؤكد الكلام عليه توكيده على

منكره والجاحدين له. على أنه تحميل له ليعلم قومه وهو: " فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

فَرَّيَ " (طه: ١٦).

ولقد كان قول السامرائي السابق أثناء تفريقه بين استخدام مؤكد أو أكثر في الآيات

القرآنية، مبيناً أن السياق هو الذي يقتضي وجود هذه المؤكدات، وضرب مثلاً من سورة غافر

مشابهاً لما ورد في سورة طه قوله تعالى: " إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ "

(غافر: ٥٩) (١).

(١) فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص ١٦٧-١٦٨.

فأكدت هذه الآية بمؤكدين هما (أن واللام) وذلك لأن الكلام عن الكفار الذين ينكرون

الساعة، أما في سورة طه فخطاب سيدنا موسى أكد بأن وحدها، لذلك اقتضى زيادة مؤكد في

سورة غافر عن التوكيد في سورة طه^(١).

ويرى ابن عاشور في قوله تعالى: " إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني " أن الجملة أكدت لدفع

الشك عن سيدنا موسى، نزل منزلة الشاك لأن غرابة الخبر تعرض السامع للشك فيه.

وتوسيط ضمير الفصل بقوله: "إني أنا الله" لزيادة تقوية الخبر " وليس بمفيد للقصر، إذ

لا مقتضى له هنا، لأن المقصود الإخبار بأن المتكلم هو المسمى الله^(٢).

(١) المرجع نفسه: ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ١٦، ص ٢٠٠.

الفصل الثاني

مضامين الخطاب القرآني

ويشمل

أولاً: المضمون الاجتماعي

ثانياً: المضمون الإقناعي؛ التأثيري

ثالثاً: المضمون النفسي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً: المضمون الاجتماعي:

إن مفهوم المضمون الاجتماعي الذي نؤسس له في هذه الصفحات، ونتعامل معه في الخطاب القرآني للأنبياء يتضمن أشكالاً عديدة منها؛ المبادئ الاجتماعية السائدة، حيث لم يخل الخطاب القرآني عند مخاطبة الأنبياء من الإشارة إلى ظاهرة التقليد، وأثر العادات السيئة والأعراف في تخلف المجتمع وعدم تقدمه، كما أن الخطاب القرآني قد عبر عن عوامل التغيير في القوانين والأنظمة الاجتماعية فقال تعالى في سورة الرعد: "لَهُ مَعْبُوتَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ" (الرعد: ١١)

والواقع أن التغيير سنة اجتماعية منوطة بأفراد المجتمع إذ لم تكن من وحي الخيال بل من الواقع الذي يعيشه المجتمع بحيث ضمن القرآن إمكانية التطبيق، وبالتالي تحقيق السعادة للفرد والمجتمع على حد سواء، ومن ثم يكون المجتمع سليماً وخالياً من الآفات والمفاسد الاجتماعية التي قد تهدم المجتمع وتزلزل أركانه.

ومنها أيضاً أن الخطاب القرآني قد حفل بآيات كثيرة تحض على مكارم الأخلاق، والعدل، والمساواة، والخلال الكريمة، منها قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمد: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (النحل: ١٢٥) ولأن الخالق هو المشرع -حاشاه- لا يغيب عنه ما يصلح هذا المجتمع واضعاً له أدق السبل وأنجعها في معالجة حياة الإنسان ومرشداً إياه إلى أن التقوى أساس بناء المجتمع السليم، فقال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَىٰ" (الحجرات: ١٣)

ومن المبادئ الاجتماعية التي ذكرها الخطاب القرآني العدالة الاجتماعية، والعلاقات

الأسرية، والتكافل الاجتماعي، والمحبة، والتسامح، ومحاربة الفساد. وسوف تركز هذه الجزئية من المحتوى الاجتماعي على كيفية معالجة الخطاب القرآني للأنبياء، لذلك المحتوى من إعداد وتوجيه رباني للأنبياء بأسلوب لغوي وبلاغي يجعل الدعاة مصلحين ومحاورين لأقوامهم، وبغية تأسيس قاعدة عريضة وواسعة من تواصل الدعاة مع المجتمع إذ إن "التواصل يكسر الحواجز مهما تكن، ويقرب العقول مهما تباينت بعضها عن بعض، وغدت اللسانيات التواصلية أظهر فروع اللسانيات الاجتماعية"^(١).

ولقد ظهر التحاور والتواصل واضحاً في قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه، فخطب الله سيدنا نوحاً بقوله: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" (هود: ٤٩) فالرسالة التي جاء بها سيدنا نوح إلى قومه هي التوحيد وعبادة الله وحده، كأساس ثابت في بناء المجتمع، من هنا بدأ الصراع واحتدام النقاش بين نوح وقومه، فسادة القوم وأشرافهم يريدون التعالي على غيرهم من بقية القوم، وحيث إن قوم نوح يريدون الطبقة، فإذا هم يثيرون نكرة واضحة مبنية على تقسيم القوم إلى شريف ووضع، إلى غني وفقير، إلى سيد ومسود فجاء على لسان أولئك القوم قوله تعالى: "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِدِينِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْتُمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" (هود: ٢٧)

ويتكرر قولهم هذا في سياق آخر في سورة الشعراء قوله تعالى: "قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ

الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِدِينِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْتُمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ" (الشعراء: ١١١)

(١) سمير استيتيه: اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، أريد، ٢٠٠٥،

ويتواصل الأعداء في إثارة الفوقية فجاء قوله تعالى مخبراً عن أساليبهم: "مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ

مَثَلِكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ" (المؤمنون: ٢٤).

ويتلقى سيدنا نوح -عليه السلام - الأمر الرباني بتبليغ الرسالة، ويواجه -عليه

السلام - هذا التعالي بالرفض القاطع والحجة الباهرة لقومه فقال تعالى: "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَأَنَا نَبِيٌّ وَعِنْدَهُ فَعْمِيَّتٌ عَلَيْكُمْ أَنزَلْتُ مَكُومَهَا وَأَتَتْهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا

قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ

قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزْيَانٌ

اللَّهُ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنْ مَلَكَ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدُّونِي أَعْيَبَكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ

إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ" (هود: ٣١).

وسيدنا نوح -عليه السلام - يبني دعوته إلى الله على ركائز ودعائم ثابتة، إذ التفاضل

مرفوض عنده، ولا انتقاص عنده من المؤمنين وينعت الراضين بالجهل لقوله تعالى: "وَمَا أَنَا

بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ

طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" (هود: ٢٩-٣٠).

وهناك خطاب ثانٍ وجهه الله لسيدنا نوح -عليه السلام - حين أمره الله بصنع السفينة

قوله تعالى: "اصْصِ التَّلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ" (هود: ٣٧) وأن يحمل

معه من آمن بالله وحده، ثم جاء على لسان سيدنا نوح -عليه السلام - مخاطباً ابنه "يَا بَنِيَّ

ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ" (هود: ٤٢).

فالقضية التي يعالجها الخطاب الثاني "هي أنها ليست بعيدة عن الأولى، وإنما تتصل بها اتصالاً مباشراً وثيقاً، فنظرة الاستعلاء تقوم أول ما تقوم على دعامة من العنصرية العرفية، ووشيجة القربى، وصلة الدم لذلك نجد نوحاً -عليه الصلاة والسلام- يهياً له المثل العملي من أجل أن تجتث جذور هذه العنصرية، والله تعالى يبين لسيدنا نوح أن ابنه ليس من أهله، لقوله تعالى موحهاً العتاب لسيدنا نوح -عليه السلام- "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود: ٤٦).

فالمعنى الذي يراد من هذه الآية أنه حريٌّ بك يا نوح أن تترفع عن ذلك الذي ألفه قومك وعرفوه" (١).

ويقف نوح عند ذلك الخطاب الرباني بإجلال واحترام وهيبة لكلام الله فجاء على لسانه قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (هود: ٤٧)

هذا وقد ركزت دعوة نوح -عليه السلام- على قضية أساسية ومحورية هي قضية العقيدة التي ينبغي أن يتفاضل الناس على أساسها، وما سوى ذلك من روابط وصلات ووشائج فليس حرياً أن يكون له وزن أو أن يكون له اعتبار، لذلك نلحظ سيدنا نوحاً -عليه السلام- يستغفر ربه ويتبرأ من هذه الرواسب التي وجدها في نفسه من غير قصد، والتي جبلتها ودفعت إليها العواطف، عواطف الأبوة الرحيمة" (٢).

كما رسخ الخطاب القرآني عند الأنبياء آداباً اجتماعية كثيرة، تمثل قسم منها في محاوراة الآخر بلين ورفق، وظهر هذا واضحاً في حديث سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع

(١) فضل حسن عباس: قصص القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ط ٢، ص ٢٠٣.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٠٣.

أبيه، والناظر إلى تلك النداءات التي خاطب بها سيدنا إبراهيم أباه يتلمس فيها مواضع متعددة

من العطف والحنان والأدب، فجاء على لسان سيدنا إبراهيم: "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا

أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ

لِلشَّيْطَانِ وَكَأَنَّكَ لِلشَّيْطَانِ وَمَكِيدًا" (مريم: ٤١-٤٥).

ولقد علم الخطاب القرآني إبراهيم -عليه السلام- أدباً اجتماعياً في تعامله مع الملائكة

حين جاءوا إليه بالبشرى، فقال تعالى في سورة هود: "قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ" (هود: ٦٩)

"فكانت تحية سيدنا إبراهيم -عليه السلام- أبلغ من تحية الملائكة، إذ كانت تحية

إبراهيم (سلام) بالرفع، وتحية (الملائكة) بالنصب، فسلام الملائكة لا بد من ناصب، وهنا

لكون الجملة فعلية، كما يقول علماء اللغة يكون التقدير (أي نسلم سلاماً) ولكن سلام إبراهيم

حين جاء مرفوعاً، على أنه مبتدأ، أي: سلام عليكم، أو خير لمبتدأ محذوف؛ لأن جملته اسمية

وليست فعلية.

والفرق بين الجملتين الاسمية والفعلية: أن الاسمية تدل على الثبوت والدوام، وكان

ذلك رد سيدنا إبراهيم بالتحية على الملائكة، أما سلام الملائكة على إبراهيم -عليه السلام-

حادث متجدد، لأن صياغته كانت بالجملة الفعلية التي تدل على الحدوث^(١).

وهناك عادة اجتماعية طيبة أراد سيدنا إبراهيم أن يرسخها حين رد على الملائكة

بأدب كبير "فجاءهم بسيد الطعام "بِجُلِّ حَيْذٍ" (هود: ٦٩). ولكنه لما رآهم لا يتناولون الطعام

(١) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٢٨٣.

أنكر ذلك منهم، ودارت في نفسه الهواجس، وهذا أمر متعارف عليه فالذي لا يتناول طعاماً
قدم له يرتاب صاحب البيت في أمره، ولكن سيدنا إبراهيم أدرك ذلك بعد أن عرف أنهم
ملائكة لا يأكلون ولا يشربون^(١).

والمتمعن في خطاب الله لسيدنا إبراهيم في قوله تعالى: "يَا إِبْرَاهِيمُ أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِبْنُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ" (هود: ٧٦).

نلاحظ أن هذا الآية جاءت في سياق إرسال الملائكة لقوم لوط حين فعلوا الفواحش،
وغيروا سنن الكون الطاهرة، والتي تقضي بأن يكون المجتمع طاهراً ونظيفاً من كل رذيلة
وفاحشة، فاللواط ينافي الفطرة وجريمة اجتماعية تفتك بالمجتمع وتهدم أركانه، لهذا كان عذاب
الله واقعاً في قوم انتهكوا أدنى مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة.

فلقد كان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يجادل في قوم لوط، طالباً من الله -عز وجل-
الصفح والعفو عنهم لقوله تعالى: " فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ
﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ " (هود: ٧٣-٧٤).

"إن حقيقة المجادلة هي المحاوره وهنا دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم -عليه السلام-
ربه راجياً العفو عن قوم لوط خشية إهلاك المؤمنين منهم، وقد تكون المجادلة مع الملائكة
وعُدبت إلى ضمير الجلالة لأن المقصود من جدال الملائكة التعرض إلى أمر الله بصرف
العذاب عن قوم لوط.

كما وصف سيدنا إبراهيم بالحليم الأواه المنيب، وبذلك فإنه الموصوف بالحلم وهي
صفة تقتضي الصفحة واحتمال الأذى، أما الأواه فهو الذي يكثر التأوه وهنا كناية عن شدة

(١) المرجع نفسه، ص ٢٨٤.

اهتمام سيدنا إبراهيم بهوم الناس، وأما المنيب فهو من أناب رجوع، والمراد التوبة من

التقصير"

ثم تبع خطاب الإعراض والكف تأكيد أمر العذاب لقوله تعالى: " يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ

هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ مِّنَ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ " (هود: ٧٦) (١).

ونقرأ في سورة الأعراف آيات خطاب تتحدث عن سيدنا لوط وما كان من قومه قوله

تعالى: " وَكُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

مِن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

أَنَاسٌ يَّسْطَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ " (الأعراف: ٨٠-٨٤).

"فسيدنا لوط - عليه السلام- ينكر على قومه إتيان الفاحشة مبيناً شناعة هذه الفاحشة؛

وبأنهم هم المبتدئون والمبتدعون لها فلم يأتها أحد قبلهم من الناس، ويبين هذه الفاحشة بأنها

إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وهم بذلك متجاوزون لحدود العقل والذوق والشرع

والعرف، وهو الإسراف الذي يذم صاحبه، ولكن القوم كانوا غير مباليين بأي قيمة من تلك

القيم التي يمتاز بها الإنسان، فيستحق التشريف والتكريم، ومثل هذا التسبب والسقوط والتمرغ

في أوحال الرذيلة والتهكم لكل فضيلة هو شر ما يمكن أن تصل إليه الإنسانية حينما يكثر فيها

أمثال أولئك" (٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٣٥٦.

حقاً إن القرآن في خطابه لسيدنا لوط -عليه السلام- رسم منهجاً سليماً وسوياً للحياة

في هذه الأرض، ومن عارضها ووقف ضدها استحق العذاب واللعنة من الله.

ويحدثنا القرآن عن أن سيدنا لوط -عليه السلام- قد أنكر على قومه إتيان الفاحشة "

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ" بهذه الهمزة الدالة على تشنيع الفاعل وتقبيح الفعل، وكان لوطاً بدأ يضيق

ذرعاً بسبب إصرارهم على المنكر ووصفهم بالجهل، إذ لم تألف البشرية، والحياة الإنسانية

مثل هذه الفاحشة

وعلى الرغم من كل تلك المحاولات الجادة من سيدنا لوط -عليه السلام- في توطيد

دعائم مجتمع نظيف في قومه، إلا أنهم رفضوا ذلك فجاءه الأمر الرباني بأن العذاب واقع بهم

ولا بد من اجتثاث الفساد من جذوره فخاطبه الله بقوله: " فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا

يَلْتَفِتْ مَعَكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُضْجِحِينَ "

(الحجر: ٦٥-٦٦).

لقد اشتملت الآيات على مجموعة من الأوامر الربانية لسيدنا لوط إذ إن العذاب واقع

بهذا القوم الذي لا يبتغي صلاحاً، وغداً هلكه منفعة لسيدنا لوط والصالحين من بعده، فجاء

الأمر (فأسر) "شروع في ترتيب مبادئ النجاة، أي اذهب بهم في الليل، ثم اتبع الأمر الأول

بأمر ثان (واتبع) أي كن يا لوط على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم، ولعل

إيثار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالأمر كما قيل للمبالغة في ذلك، إذ السوق ربما

يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض، ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر، ثم توسط

الأمران نهى (ولا يلتفت) والالتفات المنهي عنه: أي منك ومنهم (أحد) فيرى ما ورائه من

الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه العذاب، ثم ختمت الآية بأمر (وامضوا) بمعنى إلى حيث يأمركم الله تعالى بالمضي إليه" (١).

ومن ثم أخبر القرآن على لسان سيدنا لوط قوله تعالى: "يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ لَكُمْ مَرْجُلٌ مَرشِدٌ" (هود: ٧٨) (٢).

فلقد كان قصد سيدنا لوط ترسيخ دعامة اجتماعية قائمة على الزواج الشرعي الصحيح.

وتلك قيمه اجتماعية أخرى خوطب بها نبي الله شعيب -عليه السلام- بأن بعثه الله إلى مدين حين تكبوا الصواب، وتملكهم الجهل والضلال، واتبعوا سبيل الشيطان، فقال تعالى فيهم: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَبَغَوْهَا عِجَابًا وَإِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين" (الأعراف: ٧٥-٧٦).

فسيدنا شعيب -عليه السلام- يأمر قومه بعبادة الله وحده شأنه في تلك الرسالة شأن إخوته من الأنبياء السابقين، ثم يأمرهم "بإيفاء الكيل، وإيفاء الميزان بكل قسط وعدل، وتلك الخطوة تحقق السعادة لهم في الدارين، حيث تتصل مسألة تطفيف الكيل والميزان بإحدى الجوانب الحياتية والاقتصادية التي انتشرت في مدين، وهي من السيئات التي لا تنتج إلا الدمار والبوار، ثم ينهاهم بعد ذلك عن أن يبخسوا الناس حقوقهم وهي خصلة لا تقل عن

(١) الألويسي: روح المعاني، مج ٧، ص ٦٨-٦٩.

(٢) فهد خليل زايد: أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية، عمان، ٢٠٠٧، ص ٢٥٣-٢٥٤.

سابقتهما سوءاً، وبنهاهم أيضاً أن يظهروا في الأرض الفساد، وبعد هذه الخصال الأربع (الشرك، والتطيف، وبخس الحق، والإفساد في الأرض) ينهاهم عن خصلة خامسة لا تقل خطراً عن سابقتهما، إذ كانوا لا يدعون أي ثغرة أو أي طريق إلا ويقعدون به لإغواء الناس، يوعدونهم، ويخوفونهم، ويصدونهم عن الحق^(١).

ويلحظ في دعوة سيدنا شعيب -عليه السلام- أنه بعد أن دعا قومه إلى التوحيد كغيره من الأنبياء السابقين، انطلق يدعوهم إلى مكارم الأخلاق وامتدات الحياة الاجتماعية من معاملات ومبايعات ضارياً بذلك مثلاً أعلى للمجتمع السوي البعيد عن المفساد، فنهاهم عليه السلام عن تطيف الكيل والميزان فقومه ينتقصون حقوق الناس، ثم ينهاهم أيضاً عن الإفساد في الأرض ليشمل النهي كل فساد بعد البخس، ثم بين لهم أن بخس الناس أشياءهم في الكيل والموزون من خساسة النفس ودنائة الهمة وغلبة الحرص ومتابعة الهوى والظلم، وكل ذلك من أسباب هلاك المجتمع^(٢).

وعطفاً على ذلك ما جاء في سورة هود قوله تعالى: "وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَمْرًا كُفٍ بَخِيلٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ" (هود: ٨٤-٨٦)

وفي هذه الآيات إشارات تتابعية بين صيغ الأمر والنهي من نقص للمكيال والميزان، وإبخاس لحقوق الناس وإفساد في الأرض، وما تلك الصيغ والقصد إليها في خطاب سيدنا

(١) فضل عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٤٦٣.

(٢) إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢١٢.

شعيب لقومه هو "اقتضاء مقام الدعوة والمراجعة والمعاودة والإحاح والإصرار لمواجهة عناد القوم وإصرارهم على الشرك والمعاصي ورفض الدعوة، كما أن السر في تعدد النواهي أيضاً يفصح عن التدرج في نهيه القوم عن المساوي الأخلاقية المترسخة فيهم، كما ينبئ عن مدى تمكن المنهي عنه في نفوسهم وتعدد مساوئهم وشيوعها"^(١).

وخطاب الله لسيدنا شعيب -عليه السلام- اقتضى أمر قومه بثلاثة أوامر أحدها: إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاح العقول والفكر. وثانيها: شيء من صلاح العمل خص بالنهاي، لأن إقدامهم عليه كان فاشياً فيهم. وثالثها: صلاح الأعمال والتصرفات في العالم بأن لا يفسدوا في الأرض^(٢).

ولقد كان في خطاب سيدنا شعيب لقومه استقامة الحياة وسعادتها ونيل رضى الله في الآخرة، ف جاء على لسانه (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) أي لا موجب لهذا الكسب الحرام، فربح الحلال أبقي وأدوم عند الله.

ولا شك أن الأنبياء جميعهم قد دعوا أقوامهم إلى بناء مجتمع صالح متماسك، وتلك مهمة شاقة وصعبة، كما تتطلب جهداً كبيراً من الأنبياء في تثبيت تلك القيم العادلة وتخليص نفوس العتاة والطغاة والسادة من أدران التباين والتفاوت الطبقي الذي ساد المجتمعات وترتبت عليه.

وما فساد فرعون إلا أنموذجاً آخر من نماذج العبودية والاستعلاء الطبقي والظلم فقال تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَدَّعِيْنَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِيْنَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (القصص: ٤).

(١) عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء، ص ٧٣-٧٤.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٣٦.

"ففرعون تكبر وتجاوز وكد في الطغيان والظلم في أرض مصر، وجعل أهلها شيعاً أي: فرقاً وأصنافاً في خدمته وطاعته، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل يذبح أنبائهم ويستحي نساءهم إماتة لرجالهم وتقليلاً لعددتهم، إنه كان من المفسدين المتمكنين في الإفساد في الأرض بالمعاصي والتجبر وقهر العباد"^(١).

وبيعت الله سيدنا موسى - عليه السلام - منقذاً وهادياً ومؤسساً لنظام عادل محذراً من فرعون وضلاله وفسقه وفجوره فقال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَبْكُونَ ﴿٥٠﴾ وَبَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ اسْمُورَةُ مِمَّنْ ذَهَبَ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا اسْتَفْتَيْنَا عَنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَفَكًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ "

(الزخرف: ٤٦-٥٦).

هنا تعرض آيات الخطاب الرباني حلقة من الصراع بين سيدنا موسى - عليه السلام - وفرعون الكافر، إذ إن ديدن أصحاب الرسالات السماوية هو بناء مجتمع خالٍ من العيوب والآفات والأمراض التي تفتك به، فيبين سيدنا موسى أنه رسول من رب العالمين يبلغ أمر الله وحقيقة الرسالة التي بعث من أجلها، وتستقبل دعوة موسى بالرفض والاستهزاء والسخرية

(١) القرطبي: تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٢٤٨.

والضحك، وما يعيننا من تلك الآيات أن فرعون (نادى قومه) قال: يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فيظهر فرعون في وجاهة سلطانه، وفي زخرفه وزينته، يخلب عقول الجماهير الساذجة بمنطق سطحي.

والجماهير المستعبدة والمستغفلة يغيرها البريق الخادع القريب من عيونها، ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد، فاستخف قومه فأطاعوه^(١). ويتبين لنا مما سبق أن القرآن الكريم حين قص على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم - دعوة الأنبياء لأقوامهم "فذلك لكونها تجارب دعوية عمادها الكلام، ومن شأنها أن تكون نموذجية لكل حركة تهدف إلى تغيير واقع الحال، ولقد وصلت هذه الدعوة إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - نصاً متماسكاً بموضوعه وصرفه ونحوه"^(٢).

فخطب - صلى الله عليه وسلم - في القرآن الكريم بآيات كثيرة تهدف إلى إصلاح المجتمع في شتى جوانبه المتعددة، من ذلك قوله تعالى حين سأل بعض المؤمنين عن الإنفاق: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَنْ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ"^(٣) (البقرة: ٢١٥).

إن الآية دالة على الأمر بالإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى والمسكين وابن السبيل، وإن هذه النفقة من حق المسلمين بعضهم على بعض لكفاية الحاجة وللتوسعة وأولى المسلمين بأن يقوم بها أشدهم قرابة بالمعوزين منهم"^(٣).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٥، ص ٣١٩٢.

(٢) سعد كموني: الخطاب القرآني (القرآن مرجعية للخطاب النهضوي)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٨، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٣١٧.

حقاً لقد رسمت هذه الآية طريقاً واضحاً في التكافل والتعاون الاجتماعي بحيث يعيش جميع المسلمين تحت مظلة حياتية آمنة جسداً واحداً، لا كما كان أهل الجاهلية ينفقون أموالهم على الأهل وعلى الندامى وينفقون في الميسر، يقولون فلان يتم أساره أي يدفع عن أساره أفساطهم من مال المقامرة ويتفاخرون بإتلاف المال.

وشاهد آخر من الخطاب القرآني للأنبياء حين خاطب الله الرسول بشأن المسلمين الذين كانوا يسألونه عن الخمر والميسر فجاءه الخطاب: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْكَ ذَلِكَ بُيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (البقرة: ٢١٩).

"قالآية استئناف لإبطال عملين غالبين على الناس في الجاهلية، وهما شرب الخمر والميسر، وهذا من عداد الأحكام التي بينها الله في هاتاه السورة والتي تهدف إلى إصلاح الأحوال التي كان عليها الناس في الجاهلية" (١).

ونظير ذلك خطاب الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - وجماعة المؤمنين قوله تعالى في سورة هود: " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكْهُمُ التَّامِرُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النُّهَارِ وَرَافِعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعِيَّةٍ بِهِمْ عَنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج٢، ص ٣٣٨.

مَنْ أَنْجَيْتَا مِنْهُمُ وَاتَّبَعُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
مُصْلِحُونَ" (هود: ١١٢-١١٧).

تلك آيات بينات خوطب بها سيد البشرية محمد وجماعة المؤمنين لتكون قواعد بناء وإصلاح اجتماعي متماسك يركز على ثوابت تعد منجاة للمجتمع من الفساد والدمار، وتبعث في الناس روح الحياة الآمنة الهادئة التي تخلو من الشوائب والمنغصات المهلكة.

ولقد ركزت الآيات السابقة على الاستقامة التي أفادت الدوام على العمل بتعاليم الإسلام دواماً جماعه الاستقامة عليه والحذر من تغييره، إذ وجه الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم- ثم أعلم بخطاب أمته بقوله: "ومن تاب معك" وقوله تعالى: "ولا تطغوا" إذ إن المراد هنا نهى جماعة المؤمنين عن الطغيان، فالطغيان هو الجراءة على مخالفة ما أمروا به، وقد جمع الله بين (ولا تطغوا) وقوله (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أصلي الدين وهما: الإيمان والعمل الصالح.

ثم انتقل الخطاب من جماعة المؤمنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم- بقوله تعالى: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل" وهذا الخطاب يتناول جميع الأمة بقرينة أن الأمور به من الواجبات، مكلف بها جميع المسلمين في أداء الصلوات.

ثم جاء بعد خطاب إقام الصلاة خطاب أمر آخر بقوله: "واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" فلقد وجه ذلك الخطاب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- والمقصود أمته بقرينة التعليل "فإن الله لا يضيع أجر المحسنين".

ولقد بين الله لسيدنا محمد وجماعة المؤمنين بأن لا يكونوا كالأمم السابقة، إذ عدموا

من ينهاتهم عن الفساد في الأرض والظلم وعدم الاستقامة^(١).

وهذه هي إذن قواعد أساسية في تربية وإعداد المجتمع ليكون لبنة متماسكة، إذ ينبغي

على جميع أفراد المجتمع الإصلاح خوفاً من غضب الله وعذابه ونقمته، لأن ما فعله الأقبام

السابقون من ظلم وإجرام وفساد كان سبباً في هلاكهم وتقويض مجتمعاتهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١٢، ص ١٧٥ - ١٨٢.

ثانياً: المضمون الإقناعي؛ التأثيري:

قبل أن أتحدث عن الإقناع ودوره في الخطاب القرآني، لا بد من توضيح مفهوم

الإقناع لغة واصطلاحاً.

فالإقناع لغة هو: "الرضا، والإقناع لفظ أخذ من الفعل الثلاثي (قنع)، وتقول العرب:

خير الغنى: القنوعُ، وشرُّ الفقر الخسوع، ورجل قانع وقنيع، والقناعة: الرضى"^(١).

واقنع: قنع بالفكرة أو الرأي أي؛ قبله وأطمأن إليه"^(٢).

أما اصطلاحاً: فهو حمل النفوس على فعل شيء، أو اعتقاده، أو على التخلي عن فعله

واعتقاده، وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عنه"^(٣).

وبهذا المعنى نستطيع أن نحدد المقصود بالإقناع في القرآن الكريم ونقول إنه "العملية

التي يؤثر بها الخطاب الإلهي في النفس الإنسانية على اختلاف مشاربها، وتفاوت طبائعها،

وتعاقب أجيالها، ويحملها على الرضا والعمل بهداية الدين وتشريعاته"^(٤).

وإن المتأمل في حقيقة الإقناع يدرك أنه أسلوب من أساليب الخطاب في القرآن

المعجز في تربية النفوس والمجتمعات، وهو الذي يقوم على "معالجة القلوب بمفاتيح شتى،

وأن الله تعالى قد لون حديثه للسامعين في القرآن تلويناً يمزج بين إيقاظ العقل والضمير

معاً"^(٥).

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ج ٣، مادة (قنع).

(٢) أحمد حسن الزيات (وآخرون): مادة (قنع).

(٣) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، دت، ص ٢٠.

(٤) بن عيسى با طاهر: أساليب الإقناع في القرآن، دار الضياء للنشر، عمان، ٢٠٠٦، ص ٢٢.

(٥) محمد الغزالي: نظرات في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ٥، ص ١٢٥.

كما أن في القرآن الكريم "من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعاً على اختلاف أصنافهم، وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم"^(١). من هنا قال تعالى: "وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدًّا" (الكهف: ٥٤).

فالآية القرآنية تقدم الأدلة المقنعة والمفحمة التي تفوق قدرة البشر على اختلاف أصنافهم ومداركهم.

ويعد الإقناع عنصراً بالغ الأهمية في الخطاب الرباني، فكثيراً ما تطالعنا آيات في القرآن الكريم بألفاظ مثل (تعقلون، تسمعون، تتفكرون، توقنون،...) إلى غير ذلك، وإن مثل هذه الصيغ لتدل دلالة واضحة على أخذ المرسل إليه الأمور بوعي وإدراك وأناة، كما تحفز تلك الألفاظ المتلقي على التفكير واستغلال العقل بالشكل الأمثل من أجل الوصول إلى حقيقة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

والخطاب الرباني لا يمكن أن يختزل في ألفاظ وتراكيب لغوية يُقرأ قراءة عابرة بل يحتاج إلى قراءة فاعلة تبلغ المقصد، وتفتح أمام المستقبل آفاقاً من الأسئلة التي توقظ الذاكرة لكي تكشف الحجب الكثيرة، وما أولئك الرسل الذين خوطبوا في القرآن ووردت أخبارهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - إلا فئة مصطفاة من البشر أعملوا عقولهم وبلغوا مبلغاً عظيماً من التفكير حتى وصلوا إلى المعنى المقصود من الخطاب، ومن ثم بلغوا رسالة ربهم بدقة ووضوح.

وحقيقة الخطاب في القرآن الكريم أنه جاء بلغة العرب، ونقل للرسول صلى الله عليه وسلم - أخبار إخوته من الأنبياء السابقين - عليهم السلام - حينما كانوا دعاة لأقوامهم بمنطق وواع وتفكر خلاق بعيد عن الإرث الاجتماعي الذي ألفه أقوامهم، حقاً لقد كان الخطاب القرآني

(١) محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٧٠.

من نبع اللغة التي لا تنضب مواردها ولا تنتهي عجائبها وهي "جزء من بنية المجتمع المستكنة فيه، فاللغة هي التي تنظم الفكر، والعقل يضبط اللغة".*

من هنا كان الإقناع يعني: "تبصير الطرف الآخر، بالرأي الذي نوصله إليه، ويتم الإقناع بمجرد اعتقاد الطرف الآخر بصحة الرأي، أو الفكرة حتى وإن لم يترجم عمله إلى سلوك يترتب على اقتناعه بالضرورة"^(١).

وتطبيقاً لهذا المحتوى الإقناعي فقد جاء الخطاب القرآني الذي نزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليخبره أن الرسل الذين بعثهم الله إنما كانوا بلسان أقوامهم حتى يدركوا بحواسهم طبيعة الرسالة واحتياجاتها ومن ثم استيعابها والإقناع بما تحويه، فقال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (إبراهيم: ٤)

فلغة خطاب الله للرسل كانت مبنية بلغة القوم وهدافة التواصل اللغوي بين النبي وقومه، ووصولاً إلى إقناع عقلي لطبيعة الرسالة واستيعاب تعاليمها، ومن هنا جاء قوله تعالى: في سورة البقرة: (لعلكم تعقلون) و (لعلهم يتقون) (البقرة: ١٨٧) و (ولقوم يعلمون) (البقرة: ٢٣٠)

ولقد كشف القرآن الكريم عن لغة رسالة الرسل بتلك الآيات "ليكون مفهوماً من القوم الذين أنزل فيهم، فيسعون إلى معرفة ما جاء به، مما قد يؤدي إلى الإيمان والتقوى"^(٢). وتلك هي الخطوة الأولى للإقناع.

* سمير استيتية: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، ص ٧٠٠

(١) سمير استيتية: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، ص ٧٠٠.

(٢) حسين نصار: إعجاز القرآن، الفواصل، مكتبة مصر، الفجالة، ١٩٩٩، ص ٢٢٩.

ولو كان الخطاب الرباني من غير لغة للأنبياء لأشكل عليهم فهم الخطاب، وغدا تواصل الأنبياء مع أقوامهم ضعيفا، وانعكس ذلك على تأدية الرسالة بالشكل الأمثل، وذلك لأن الشيء إذا كان من جنسه فهو أقوى وألصق وأمتن "إذ إن اللغة أداة من أدوات الإقناع"^(١).

أما الخطوة الثانية والتي تعكس تأثراً إيجابياً في خطاب الأنبياء لأقوامهم جعل الله الأنبياء من البشر لقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَنْبَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَيَعْمَلُ لَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (الكهف: ١١٠)

وقوله تعالى: "قَالَتْ لَهُمْ مَرْسَلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" (إبراهيم: ١١)

وقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ" (يوسف: ١٠٩)

يتضح مما سبق أن لغة الخطاب التي خوطب بها الأنبياء، وبعث الله رسله من البشر يساعدن ويسهلان ويوضحان طرق التواصل والإقناع، كما أن مرسل الخطاب (الله) - سبحانه وتعالى - قد بنى خطابه مراعاة لأحوال المرسل إليهم وظروفهم النفسية والبيئية.

من هنا فإن ما تضمنه محتوى الإقناع في الخطاب القرآني قد اشتمل على آليتين

هما^(٢):

أولاً: الإقناع بالإذعان لأمر الله:

فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ

طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُنِي ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ

﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ

(١) سمير استنبطية: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص ٧٠٢.

(٢) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) استراتيجية الإقناع.

﴿ ٢٣ ﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿ ٢٤ ﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْإِبْرَةِ وَالْأُولَى ﴿ ٢٥ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن

يَخْشَى" (النازعات: ١٥-٢٦)

وقد كان خطاب الله لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- بأن أرشده وأخبره وحدثه عن سيدنا موسى -عليه السلام- حين ناداه بالوادي المقدس، ثم أمره -عليه السلام- بصيغة الأمر (اذهب) من غير تردد أو تأخر عن إبلاغ أمر الله إلى فرعون الذي طغى (فقل) هل لك إلى أن تزكى، ثم تتوالى الآيات (بالفاءات) الدالة على (التعقيب)، وحرف العطف (ثم) (الدال على التراخي، لنتناسب والسياق الذي وردت فيه تلك الآيات:

إن طريقة عرض هذه الآيات التي بدأت بالنداء فهي لحظة جليظة، وهي لحظة عجيبة، ونداء الله بذاته لعبده من عباده أمر هائل، أهول مما تملك الألفاظ البشرية، أن تعبر عن مثله وهي سر من أسرار الألوهية العظيمة، كما هي سر من أسرار التكوين الإنساني التي أودعها الله -عز وجل- هذا الكائن، وهياها بها لتلقي ذلك النداء، ثم يبادر السياق بحكاية أمر التكليف الإلهي لموسى، عقب ذكر النداء بالوادي المقدس بقوله (اذهب) إلى فرعون إنه طغى، والطغيان أمر لا ينبغي أن يكون ولا أن يبقى، إنه أمر كربه مفسد للكون، مخالف لما يحبه الله، لذلك ينتدب الله عبده موسى ليحاول وقف هذا الشر، ومنع هذا الفساد، ثم يعلمه كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب لعله ينتهي^(١).

فالآلية التي برز فيها هذا التكليف هو إذعان سيدنا موسى لأمر الله، ومخاطبة الطاغية بالحوار العقلاني المتدرج المبني على الحجاج في إطار من الشمولية والإفهام والتلطف، وإن الذهاب بطبيعته حوار تقابلي يزيل الحواجز، إذ استدعى حوار سيدنا موسى لفرعون بأن يتقي

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٦، ص ٣٨١٥.

غضب الله وعذابه وبخشاه، وبدأ مخاطبته بالاستفهام هل "الذي معناه العرض؛ كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستزله بالمداراة من عتوه"^(١).

وإن آية الإقناع التي قام بها سيدنا موسى هي إقامة الحجة والعرض بالاستفهام فجاء في قوله تعالى على لسانه: "فقل هل لك إلى أن تزكى، وأهديك على ربك فتخشى" كل ذلك يعد "من حسن التدبير والنقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها"^(٢).

ويخاطب الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ومخبراً عن حوار سيدنا موسى مع بني إسرائيل، فقال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ اعْوِذْ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَانَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْهَانَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ شَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا آلَيْنَ جِئْتِ بِالْحَقِّ فذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ" (البقرة: ٦٧-٧٣)

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٢١٩.

(٢) حمادي صمود: مقدمة في الخليفة النظرية في المصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في النقاليد الغربية، ص ١٤.

فمسار الخطاب في الآيات السابقة أن كلف الله سيدنا موسى -عليه السلام- أمراً بني

إسرائيل بذبح البقرة، فلقد أذعن سيدنا موسى وامتلل واستجاب لأمر الله في تبليغ قومه تكليف الله لهم.

وإن الهدف من الخطاب بالأمر الذي وجهه الله لبني إسرائيل هو امتثال أمر الله، إذ ظهرت الوسائل اللغوية للإقناع في القصة فتدرجت كالآتي:

أولاً: الأمر صادر من ذات الله العلية وهذا كاف لاستجابة الأمر بالكلية، إلا إن

الاستبطاء والعناد في ذلك أنهم خاطبوا سيدنا موسى بوقاحة واضحة "أَتَتَّخِذُنَا هُزْوَاً".

ثانياً: ثم يظهر التعنت والتكؤ عند بني إسرائيل في ذبح البقرة وطلبهم من سيدنا

موسى أن يسأل ربه عن أوصاف البقرة التي يريدونها، ويأتي التشديد الرباني باستخدام أداة التوكيد "إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين".

ثالثاً: لم ينته الموقف بعد فقد شدد بنو إسرائيل على أنفسهم فشدد الله عليهم في

أوصاف البقرة باستخدام أداة التوكيد "إن".

"قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ

فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ"

نعم لقد استثمر سيدنا موسى خطاب الله له في محاورته لبني إسرائيل وتعلم الإقناع

بأن ذكر أمر الله لقومه، فكانت تفاصيل البقرة واضحة لسيدنا موسى، غير أن بني إسرائيل

أرادوا العناد وإقامة الحجة الواهية الضعيفة كعادتهم على نبي الله وكليمه، علماً بأن الفكرة

والألفاظ الواردة في النص السابق كافية لقناعة بني إسرائيل في الالتزام بما أمر الله به إلا أنهم

لم يقنعوا.

رابعاً: ويأتي الوصف الأخير للبقرة (لا ذلول) أي؛ إن صفة البقرة لم تذلل للكراب وإثارة الأرض (ولا تسقي الحرث) أي؛ ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث، و (لا) الأولى (اللفي) و (لا) الثانية (زائدة) لتوكيد الأولى، فالمعنى لا ذلول تثير وتسقي، على أن الفعلين صفتان لذلول، وبذلك يصبح المعنى: لا ذلول مثيرة ولا ساقية^(١).

ولقد أرشدتنا الآيات السابقة إلى عقلانية سيدنا موسى -عليه السلام- لأنه علم بما أمره الله، وهذا شأن الأنبياء أنهم عالمون عاقلون مدركون دقائق الأمور، وما آلية الإقناع التي علمها الله لأتبيائه إلا طريقة واضحة للرسول من أجل إقامة الحجة على أقوامهم، ويبدو واضحاً أن بني إسرائيل واليهود والكفرة لا يريدون إلا العناد والكفر والمماطلة والتهرب من الحق بعيدين كل البعد عن التفكير والتعقل.

ومن أمثلة الخطاب الذي جاء بصيغة الاستفهام قول الله تعالى على لسان سيدنا عيسى - عليه السلام - "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ الْهَيْمِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (المائدة: ١١٦-١١٧).

فالاستفهام في قوله تعالى "أأنت" أفاد التقرير، والتقرير في الاصطلاح هو "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"^(٢).

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي (وأخريين)، ج ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣١٦.

وحقيقة الاستفهام التقريري أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وقد دخل على المنفي،

ونفي المنفي إثبات^(١).

ولقد كان هذا الاستفهام التقريري والذي نرى فيه إقامة الحجة على اتباع سيدنا عيسى عليه السلام - الذين جعلوا المسيح وأمه إلهين، لذلك "أخذُ اعتراف وإقرار على هؤلاء الناس الذين ألبسوه وأمه هذا الثوب الإلهي، وعبودهما من دون الله"^(٢).

وإن الله تعالى ليعلم ماذا قال عيسى للناس، ولكنه الاستجواب الهائل الرهيب في اليوم العظيم المرهوب: الاستجواب الذي يقصد به إلى غير المسؤول؛ ولكن في صورته هذه، وفي الإجابة عليه ما يزيد من بشاعة موقف المؤلهين لهذا العبد الصالح.

إنها الكبيرة التي لا يطيق بشر عادي أن يقذف بها، أن يدعي الألوهية وهو يعلم أنه عبد الله فكيف برسول من أولي العزم؟ وكيف به يواجه استجواباً عن ادعاء الألوهية وهو العبد الصالح المستقيم؟ من هنا كان الجواب الخاشع المنيب بالتسبيح، ويسرع إلى التبرؤ المطلق من أن يكون من شأنه هذا القول أصلاً، وبعد هذه التسبيحة الطويلة يجرؤ على الإثبات والتقرير فيما قاله وفيما لم يقله، فيثبت أنه لم يقل لهم إلا أن يعلن عبوديته وعبوديتهم لله ويدعوهم "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم"^(٣).

نعم لقد حقق هذا الاستفهام التقريري أسلوباً في الإقناع إذ إن السياق في هذه الآية

يحدثنا عن مخاطبة الله لسيدنا عيسى وحواره معه.

ويكثر الخطاب القرآني من استخدام أسلوب الاستفهام الذي يخرج إلى غرض

التعجب، وذلك في قوله تعالى: "قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهُ قُلِ اللَّهُ يَدْعُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص ٤٣٨.

(٢) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، مصر، د.ت، ج ٧-٨، ص ٨٣.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٠١.

بُعِيدَةٌ فَأَنْتَى وَتُنَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ

أَحَقُّ أَنْ يُسَبَّحَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" (يونس: ٣٥).

لقد جاء في تفسير البحر المحیط أن التعجب هو "تعظيم أمر في قلوب السامعين، ولا يكون إلا في شيء خارج عن نظرائه وأشكاله"^(١).

وأكد السيوطي في معترك الأقران أن العجب من الله - عز وجل - إنكار الشيء وتعظيمه، فهذه الآية "توقظ القلوب الغافلة، وتحرك المدارك المعطلة، والجواب فيها مقرر؛ فالذي يهدي الناس إلى الحق أولى بالاتباع ممن لا يهتدي هو بنفسه إلا أن يهديه غيره.

ويرى سيد قطب في قوله تعالى: "فما لكم كيف تحكمون؟" ما الذي وقع لكم، وما الذي أصابكم؟ وكيف تقرون الأمور، فتحيّدون عن الحق الواضح المبين؟ وإنه لعجيب أن يصرفوا عن إدراك هذه الحقيقة ولديهم مقدماتها"^(٢).

وحملت هذه الآية بين طياتها أسلوباً هادفاً من الحوار جعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نصب عينيه بأن أقام الحجة على المشركين فحطم عقيدتهم الباطلة، حيث توجه إلى خصومه بقوله تعالى: "فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" ولقد كان من نتائج هذا الاستدلال الرباني في الآية السابقة أن فيهما تعجب من حال المشركين بما يقضي صريح بطلانه، وإنكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك"^(٣). وإن ما تطلبه ذلك المقام الاستفهامي الذي

(١) أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحیط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ج ٨، ص ١٩٧.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧٨٤.

(٣) محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٢٣٩.

خرج إلى التعجب بأن أكد بأداتين هما (ما) و (كيف)، إظهاراً وتبياناً لضلال الكافرين وعنادهم وإصرارهم على الباطل .

ثانياً: الإقناع بالحجة والمحاورة:

لقد بين الخطاب القرآني أساليب وطرائق متعددة للحوار مع الأنبياء، ولما كان الحوار الرباني للأنبياء يختلف عن أي حوار بشري، فقد كان الأنبياء أسرع استجابة لهذا الحوار الذي تميز بقوة الحجة والبرهان والإقناع والوضوح إذ هو ينساب إلى المشاعر والأحاسيس ويسبر أغوارها هذه من ناحية. أما من ناحية أخرى، فإن المحاورة الربانية قد امتازت أيضاً بقدرتها اللفظية وأساليبها اللغوية وصياغتها المتسقة وطرائق نظمها التأثيرية، مما جعل الأنبياء يستقبلون الحوار بقناعة ويعكفون على تطبيقه مرضاة لله تعالى.

وفي ضوء ما ورد في الخطاب القرآني من أساليب حوارية إقناعية نذكر أمونجاً عظيماً من محاورة سيدنا نوح -عليه السلام- قوله تعالى:

"وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْسُتُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْحَ الْفُلْكِ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحِينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَبَصَّعَ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُتِمِّمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّنُورُ قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ امْرُكُؤَا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ امْرُكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ" (هود: ٣٥-٤٢)

ويستمر الحوار والخطاب فقال تعالى: "وَبَادَى نُوحٌ مَّرْبَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ

وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي

أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي

أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (هود: ٤٥-٤٧)

إن الإقناع في حوار سيدنا نوح في الخطاب تمثل أولاً: بذكر الله لاسم نوح -عليه السلام- ولذكر الاسم دلالة واضحة في قرب المرسل من المرسل إليه، مع العلم أن المرسل هو الأعلى والأعظم مرتبة من (المرسل إليه) سيدنا نوح وهذا يعني "أن المرسل قد استعمل اسم المرسل إليه في الخطاب بدلالة قربه منه"^(١)، وهذا أسلوب من أساليب الدخول إلى النفس؛ أي نفس المرسل إليه .

كما أن السياق في الآية: "وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" يحمل دلالة المحاورة والتخفيف من حزن سيدنا نوح -عليه السلام- وذلك بسبب رفض وعناد ومكابرة قومه الإيمان به وإصرارهم على الكفر، وقد كانت التسرية في ذلك الحوار بعدم الحزن" إذ جاءت الفاء في قوله (فلا تبتئس) لتفريع التسلية على الخبر المحزن"^(٢).

ويكلف الله سيدنا نوح أمراً إياه صنع الفلك بقوله: "واصنع الفلك" كما دل النهي في قوله تعالى: "وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا" على أن الكفار من قومه سينزل بهم عقاب عظيم، لأن المراد بالمخاطبة المنهي عنها، المخاطبة التي ترفع عقابهم فتكون لنفعهم كالشفاعة، وطلب

(١) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٢٧٠.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٦٥.

تخفيف العقاب لا مطلق المخاطبة، ولعل هذا توطئة لنهي سيدنا نوح عن مخاطبته في شأن ابنه الكافر قبل أن يخطر ببال نوح سؤال نجاته حتى يكون الرد عليه حين السؤال ألطف^(١).

وبعد أن كان في الآية السابقة من توجيه بالأمر لا على سبيل الاستعلاء، إلى النهي عن المخاطبة بشأن الكفار تنهي الآية بتأكيد الخبر بما سيقع من هلاك الكافرين بقوله (أنهم مغرقون) فيقول ابن عاشور في التحرير والتنوير "وجملة" أنهم مغرقون "إخبار بما سيقع وبيان لسبب الأمر بصنع الفلك، وتأكيده الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد، منزلة السائل إذا قدم إليه ما يلوح إلى جنس الخبر فيستشرفه لتعيينه استشرافاً يشبه استشراف السائل عن عين الخبر"^(٢).

ثم إن كان قول نوح -عليه السلام- "إن ابني من أهلي" تعريضاً بالمسؤول كان النهي في قوله: "فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" نهياً عن الإلحاح أو العود إلى سؤاله؛ وإن كان قول نوح -عليه السلام- مجرد تمهيد للسؤال لاختبار حال إقبال الله على سؤاله كان قوله: "فلا تسألني" نهياً عن الإفضاء بالسؤال الذي مهد له بكلامه، والمقصود من النهي، تنزيهه عن تعريض سؤاله للرد"^(٣).

أما قوله تعالى: "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمْرٌ وَسْمِعْتَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَاعُ عَذَابٍ أَلِيمٍ"^(٤) (هود: ٤٨).

فجاءت لفظة (قيل) في سياق المحاوراة حيث (فصلت الجملة ولم تعطف لوقوعها في سياق المحاوراة بين نوح -عليه السلام- وربّه، فإن نوحاً لما أجاب بقوله "رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٦٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ٦٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ٨٧.

أَسْأَلُكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ" (هود: ٤٧) خاطبه ربه إتماماً للمحاورة بما يسكن جأشه، وكان مقتضى

الظاهر أن يقول: قال يا نوح، ولكنه عدل عنه إلى بناء الفعل للنائب ليجيء على وتيرة حكاية

أجزاء القصة المتقدمة في قوله: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ

عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعِدَ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (هود: ٤٤).

فحصل بذلك البناء قضاء حق الإشارة إلى جزء القصة، كما حصل بالفصل قضاء حق

الإشارة إلى أن ذلك القول جزء المحاورة، ونداء نوح -عليه السلام- للتتويه به بين الملاء^(١).

وإن حقيقة النداء في قوله تعالى: (يا نوح) فإنه يُعَدُّ توجيهاً له، إذ يحفزه لردة فعل

تجاه المرسل^(٢).

ولقد كان خطاب الله لسيدنا نوح بالأمر بقوله تعالى: "اهبط بسلام منا وبركات" والباء

للمصاحبة، أي اهبط مصحوباً بسلام منا، وهي مصاحبة مجازية^(٣).

وقد يبدو للناظر أن في الخطاب الواحد أكثر من أسلوب لغوي مثل (النداء والأمر) أو

(النداء والنهي) أو (الأمر والنهي) فيظن أن هناك تضاداً في الخطاب، وليس الأمر كذلك فإن

المرسل (المخاطب) قد يجمع بين أكثر من أسلوب في سياق واحد للتوجيه، إذ يعضد أحدهما

الأخر ويفسره ويحدده، حيث يعمد المرسل بالأمر مثلاً إلى تحديد المنهي عنه، أو تفسيره^(٤).

كما أن الخطاب في القرآن جاء يعلم سيدنا محمداً إقامة الحجة الدامغة المقنعة، حين

أخبره الله عن دعوة الأنبياء أقوامهم إلى وحدانية الله، فهذا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يقيم

(١) ابن عاشور: التحرير والتتوير، ج ١٢، ص ٨٩.

(٢) عبد الهادي بن ظاهر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٣٦٠.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتتوير، ص ٢٧٣.

(٤) عبد الهادي بن ظاهر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص ٣٦٣.

الحجة بالإقناع والمحاورة اللطيفة على أبيه عندما اتخذ من الأصنام آلهة له، فجاء في سورة

الأنعام قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَمْرًا اتَّخَذَ أُصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾"

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى

كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَنْ

لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ

يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِّيُّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ اتَّخَذُوا فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ" (الأنعام: ٧٤-٨٠)

ولعل محور الإقناع الذي أراه الله لسيدنا إبراهيم -عليه السلام- في الآيات السابقة

تمثل بالاستدلال العقلي بدأه بدعوة أبيه صانع الأصنام وسادن معابدها وزعيم القوم في عبادتها

إلى التوحيد عن طريق اتخاذها آلهة، وهي لا تتصف بشيء من صفات الألوهية، الأمر الذي

يجعل العاقل البصير يستكف عبادتها من دون الله، اللهم إلا إذا كان مطموس البصيرة،

مشمولاً بالضلال الواضح، ولذا أكد سيدنا إبراهيم ضلال أبيه وقومه في ذلك عقيب إنكاره

بقوله "إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" أي ضلال واضح بكم وضوحاً وصل إلى حد إظهار نفسه

للعيان، وأكد كلامه لاقتضاء المقام الإنكار من جهة القوم.

وبعد هذا الإنكار المشوب بشائبة التوبيخ على عبادتهم للأشخاص بدأ يدعوهم إلى

التوحيد عن طريق إبطال مذهب عبدة الهياكل والأفلاك^(١).

(١) عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء، ص ٤٤.

وبالفعل لقد اتخذ سيدنا إبراهيم -عليه السلام- من الكواكب دائرة حوارية إقناعية بغية الوصول إلى حقيقة الإفهام، وردُّ أبيه وقومه عن عبادة الأصنام، والإيمان بالله خالقاً واحداً، فكان ما ذكر على لسان سيدنا إبراهيم الاستدلال العقلي ممثلاً في المحاور الآتية:

أولاً: قوله تعالى: " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ " (الأنعام: ٧٦).

إن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- صاحب حجة واعية وبصيرة نافذة، فكان من حس استدلاله بالنجوم أولاً بدءاً بالأصغر نافعياً عنها الألوهية، ولأن من صفاتها الثبات لا التغير والتقلب والمغيب (فلما أفل قال لا أحب الآفلين)، والأقول هو المغيب، وكل شيء غاب فهو آفل^(١).

وفي هذا إرشاد من سيدنا إبراهيم لأبيه وقومه إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها^(٢).

ثانياً: ويأتي سيدنا إبراهيم باستدلال آخر يظهر فيه وحدانية الله لأبيه وقومه، فجاء على لسانه قوله تعالى: " فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ " (الأنعام: ٧٢).

(١) أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، د.م، ١٩٧٩، ج ١، ص ١١٩.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٣٠-٣١.

فإنكار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في هذه الآية عبادة كوكب يضيء ثم يغييب قوله

-عليه السلام- لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال، المنتقلين من مكان إلى

مكان المحتجبين بستر^(١).

وتختتم الآية بأكثر من مؤكد "لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ"

ثالثاً: قوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِرَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ

مِمَّا تُشْرِكُونَ" (الأنعام: ٧٨).

لقد كان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- منكرأ على قومه عبادة الكواكب في الآيات

السابقة، وها هو أكثر إنكاراً في الآية الأخيرة، إذ إن الشمس أكثر سطوعاً ولكنها غابت أيضاً

"فكان الاستتار تبكيتاً لقومه وإلزامهم الحجة، وهنا يعلن براءته مما يعبد قومه، كما يعلن أنه

لا يوجه وجهه إلا للذي خلق السموات والأرض مبتعداً عن كل اعوجاج"^(٢).

حقاً إن غاية الخطاب في القرآن ترسيخ العقيدة في النفوس عن طريق الإقناع بأيسر

الطرق وأقربها إلى العقل والمنطق، وهذه الغاية هي ثمرة الإقناع، فقال تعالى معلماً سيدنا

إبراهيم: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى قَالَ أَوْكُمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَكَيْفَ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فخذُ

أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل متعناً جزءاً ثم ادعهن بأبياتك سعياً وأعلم أن الله عزيز

حكيم" (البقرة: ٢٦٠).

فجاء في تفسير هذه الآية أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كان ينشد الأتس إلى رؤية

يد الله تعمل، واطمئنان التدوق للسر المحجب وهو يُجَلِّي ويتكشف، وكان الله يعلم إيمان عبده

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٣١.

(٢) فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص ٢٩٠.

وخليله، ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد

الكريم الودود الرحيم مع عبده الأواه الحلیم المنیب، فأمره الله تعالى بقوله: "فَخَذُ أَمْرَبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

فَصَرَّهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ"

(البقرة: ٢٦٠-٢٦١).

ولما رأى سيدنا إبراهيم السر الإلهي يقع بين يديه، ولا يرى الناس إلا آثاره بعد

تمامه؛ طيور فارقتها الحياة، وتفرقت مرقها في أماكن متباعدة، تدب فيها الحياة مرة أخرى،

وتعود إليه سعياً، وبعد هذا الأمر الإلهي ازداد قلب سيدنا إبراهيم سكوناً وطمأنينة^(١).

وخطاب الإقناع طريقة من طرق القرآن الكريم علمه الله لأنبيائه بغية مواجهة تيار

الكفر والشرك وذلك عند تبليغ الرسالة، فإذا كان الإقناع بليغاً محرماً هازماً للمشاعر

والأحاسيس، داعياً تلك العقول المقفلة أن تفكر ولو قليلاً استطاعت النفوس أن تتخلص من

قيود التبعية والعمى والجهل. ولنا في ذلك الخطاب الرباني لرسول الله سيدنا محمد قول الله

عز وجل: "قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا

نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (سبأ: ٤٦-٤٧).

لقد حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تلك الآية إلى الكفار للنظر فيها بوعي

وتعقل وتفكر، أن تقوموا لله (مثنى) و (فرادى) ومعنى ذلك أن يتأمل كل واحد مع صاحبه، أو

يخلد إلى نفسه، ويستعرض حياة محمد - صلى الله عليه وسلم- بنظرة مجردة فيها إنصاف

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم، ج ١، ص ٣٠٢.

وموضوعية وتجرد من الأهواء، وسيكون الحكم حينها نابعاً من طبيعة النفس لا سائراً خلف سادة يتلذذون الاستبعاد والاتباع، بهذا المنطق الجاد سيصل كل إنسان إلى حقيقة مفادها أن محمداً - عليه السلام - صاحب رسالة من عند الله، صادق في كل ما يقوله، لا مصلحة ولا منفعة يسعى من أجلها بل هدفه ومراده إخراجهم من الظلمة إلى النور.

وما صيغة الحصر بقوله (إنما) إلا ترسيخاً لمفهوم التفكير والتأني، ومخاطبة العقل والنفس ودعوتها إلى الاهتمام بالبحث عن الحقيقة والبعد عن الفوضى النابعة من استهواء النفس وتعلقها بالعناد.

ويقول ابن عاشور: لذلك اجتلبت صيغة الحصر (إنما)، أي ما أعظمك إلا بوحدة، طياً لبساط المناظرة وإرسالاً على الخلاصة من المجادلات الماضية وتقريباً لشقة الخلاف بيننا وبينكم، وهو قصر إضافي، أي لا غيرها من المواعظ المفصلة، بمعنى إن استكثرتم الحجج من الردود والمطاعن، فأنا اختصر المجادلة في كلمة واحدة، فقد كانوا يتذمرون من القرآن لأبي طالب: إما أن ينتهي ابن أخيك عن شتم آلهتنا وآبائنا، وهذا كما يقول المناظر والجدلي بعد بسط الأدلة فيقول: والخلاصة أو الفذلكة كذا والمعنى (أن تقوموا مثني وفرادي): أن تقوموا لحق الله وإظهاره على أي حال من اجتماع وانفراد، فيكون (مثني) كناية عن التعدد، وهو في استعمال معنى التثنية (اثنين اثنين) ومعنى التثنية في التكرار أن تقوموا لحق الله مستعيناً أحدكم بصاحب له أو منفرد بنفسه، وقدم الله (مثني) لأن الاستعانة أعون على الفهم فيكون المراد دفع عوائق الوصول إلى الحق بالنظر الصحيح الذي لا يغالط فيه صاحب هوى ولا شبهة، ولا يخشى فيه الناظر تشنيعاً ولا سمعة، فإن الجماهير إذا اجتمعت لم يخلو مجتمعهم من ذي هوى وذي شبهة وذي مكر وذي انتفاع^(١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

ولعل هذا الخطاب الذي أمر به سيدنا محمد حين تلا قوله تعالى على الكفار (مثنى

وفرادى) يصدع عروض وسادة الكفر، ويحطم قيود التبعية التي ينفاد إليهم البسطاء من غير تعقل ووعي، وهذا ما أرشده الله لسيدنا محمد عند قوله تعالى: (مثنى وفردى) فإن المرء إذا خلا بنفسه عند التأمل لم يرض لها بغير النصح، وإذا خلا أحدهما بصاحبه سلم كلاهما من غش صاحبه^(١).

وما زالت تلك الآية تخاطب العقل وتدعو إلى التفكير والتأمل (مثنى وفردى) "فإذا بآية أخرى تبرىء صاحب الرسالة محمداً - صلى الله عليه وسلم- من انتظار المغنم الذاتي، وهو ما يحرص عليه أصحاب الغرض الشخصي، فما أجره إلا على الله، وهو على كل شيء شهيد.

بهذا المنطق البليغ سار القرآن في هدية فبلغ من الإقناع مبلغاً لا يمكن أن يتاح لكتاب سواه، فجاءت إجابة سيدنا محمد للكفار موجزة كقاذفة مدمرة (إن أجرى إلى على الله)^(٢).
وجملة (إن أجرى إلا على الله) مستأنفة استئنافاً بياناً جواباً لسؤال مقدر أن يسأل السامع: كيف لا يكون على ما قام به من أجر، فأجيب بأن أجره مضمون وعده الله به، لأنه إنما يقوم بعمل لمرضاته وامتنال أمره فعليه أجره"^(٣).

والناظر في قوله تعالى: "خُذِ الْعَمْرُ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ١٩٩) يجد

أن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- حين خوطب بالأمر بقوله "خذ" واتبع بأمر آخر جاء على صيغة افعل (وأمر) ثم اتبع بنهي في قوله (اعرض) الذي أفاد الأمر أيضاً.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج ٢٢، ص ٢٣٥.

(٢) محمد رجب البيومي: البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٩.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٢٣٧.

كل تلك الأوامر تُهدف إلى عرض يهز مشاعر الكفرة وذلك بعدم مبالاةك أيها الرسول الكريم من جفاء المشركين وصلابتهم وواصل دعوتك وتبليغك لأمر الله، وأقم الحجة على المشركين وافضح ضلالهم وفساد معتقدتهم والتشويه بشركائهم^(١).

وقد كانت هذه الآية (خذ العفو) بعد سلسلة من الآيات التي تحث المشركين على التأمل والتدبر والتعقل، وأن الأصنام والشركاء الذين تدعونهم لن يقدموا نفعاً كما في قوله تعالى: "قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ تَعْبُدُونَ فَلَا تَنْظُرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وِليَّ اللهَ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَكْتُبُ الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَضَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَتَصَرُّونَ" (الأعراف: ١٩٥-١٩٧).

(١) المرجع نفسه: ج ٩، ص ٢٢٦.

ثالثاً: المضمون النفسي

إن النفس البشرية تتأثر بالكلام والألفاظ وتستجيب لهما، ويتحدد سلوك الإنسان وتتنوع ردود الفعل نحو ذلك الكلام الموجه إليه بصورة ما، وإنك لترى ألفاظ الفرح والغضب والسرور والخوف والرغبة والرغبة والانتسراح والحزن وغيرها في الخطاب القرآني تحدث استجابات بطرق مختلفة عند متلقيها، وتظهر علامات تلك الاستجابات على متلقيها.

ولست أقول بدعاً في هذه الجزئية من هذا الفصل، فلقد عني اللغويون القدامى وعلم اللغة الحديث بالنفس البشرية، وما يؤثر فيها من ألفاظ تُسبّر استجابة الإنسان على نحو ما وتحدد شخصيته، وما حركات الجسد وتعابير الوجه والإشارات التي يقوم بها الإنسان، إلا لغة ناتجة عن تأثير الألفاظ والكلمات ووقعها في نفسه، إذ يقوم المخاطب بفك وتحليل دلالات ورموز الألفاظ والكلام إلى معانٍ محددة، ولقد فعل أدباء العرب ذلك حين كان يجيدون مطالع قصائدهم لأنها أول ما تقابل السامع وتترك وقعاً جميلاً في النفس عند سماعها.

ولا شك أن الباقلاني في إعجاز القرآن قال: "إن الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة عن المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن، ولا مستكر المورد على النفس حتى يتأبى بغيرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويص معناه عن الإبانة.

ويتابع قوله: والعربية أشد تمكناً، وأشرفها تصرفاً وأعدلها، ولذلك جعلت حلية لنظم

القرآن وعلق بها الإعجاز، وصار دلالة في النبوة^(١). من هنا فإن للألفاظ طاقات وشحنات

عالية تهز النفوس وتثير المشاعر والانفعالات لدى الإنسان، وهو يستشعر معانيها ومدلولاتها.

وشاهدنا في هذا خطاب الله لسيدنا محمد في القرآن الذي يعد أكبر برهان على تأثير

النفوس بالألفاظ فقال تعالى: "قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَرَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ"

(آل عمران: ١٥٤) فتلك الآية تثير مشاعر الخوف بالألفاظ ومعانيها إذ إن الموت هو الأجل

المحتوم ولا فرار من هذا الحكم الرباني على بني البشر.

ويستعرض الباحث في هذه الجزئية عدداً من آيات الخطاب القرآني للأنبياء، من حيث

محتواها النفسي، وطرائق التعبير المختلفة التي تكمن فيها جوانب متعددة من أسرار القرآن،

ويرى الباحث أن تتبع الملامح النفسية يكون من خلال النظر في تلك الآيات والقصص التي

تناولها القرآن الكريم مبرزاً أثرها النفسي على المخاطب حين حمل الرسالة الربانية وتحمل

مشاق الدعوة البدنية والنفسية، فما من خطاب إلا وله هدف يسعى إلى إيصاله لمتلقي الخطاب

وعسانا أن نرى جانباً من المحتوى النفسي للقرآن على الأفراد والجماعات ذلك ما فعله كفار

قريش، فقد كان أبو جهل، وأبو سفيان، والأخنس بن شريق يتخافتون ليلاً بعد سماعهم خلسة

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثلاث ليال متواليات وهو يقرأ القرآن، حتى إذا جمعتهم

الطريق تعاهدوا ألا يعودوا لسماع محمد هذا حال أولئك النفر من صناديد الكفر ويخبر الله

سيدنا محمد بقوله: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ" (فصلت: ٢٦).

(١) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: إعجاز القرآن، ص ١١٧-١١٨.

وقوله تعالى: "نَحْنُ أَغْلَمُ بِمَا سَتَمِعُونَ بِهِ إِذْ سَتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا

مَرَجَلًا مُسْحُورًا" (الإسراء: ٤٧).

فما هو السر في عدم سماع أولئك النفر من قريش للقرآن، وقولهم عن سيدنا محمد بأنه ساحر وشاعر ومجنون؟ إنه الأثر النفسي والتخوف من خاصتهم وعامتهم التآثر بالقرآن ولأنه: "من الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه، وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه، ولذلك سعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس وسعوا إلى ألا يصل إلى أسمعهم، لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دويماً هائلاً وهزة عنيفة"^(١).

ولعل الغرض الأساس من دراسة المحتوى النفسي للخطاب هو تحديد دلالات ألفاظ الخطاب، وإدراك ما أمكنني إدراكه من معانيها ومقاصدها ودورها في الإعداد والتربية وتأهيل الأنبياء وكيفية تهيئتهم وتعاملهم مع أقوامهم.

وما ألفاظ الخطاب القرآني وهي تصف لنا النفس البشرية وتغوص في أعماقها وتبين طبيعتها وتعالجها إلا إعجاز بارع ودقيق في فهم المحتوى النفسي للمخاطب، لأن من خلق النفس هو مدرك لحقيقتها وكنهها وطبيعة الخطاب التي تناسبها.

وقد يتساءل من يقرأ هذا الفصل ما علاقة الخطاب القرآني للأنبياء بدراسة هذه

المحتويات دون غيرها؟ أو لماذا صب الباحث اهتمامه على هذه الجزئيات دون غيرها؟

إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات يعد تبياناً واضحاً لهدف الدراسة التي ركز الباحث عليها عند اختياره للموضوع، فمن الواضح أن القرآن الكريم يشتمل على خطابات متعددة وشاملة لشؤون الحياة وطرائق معالجتها، والنهوض بها إلى مستوى رفيع يعجز الخطاب

(١) فاضل السامرائي: التعبير القرآني، ص ٩.

البشري عن الإتيان بمثلها، أما فيما يتعلق بالخطاب القرآني للأنبياء فإن فيه أيضاً زائراً من أساليب بناء المجتمع السوي، ومعالجة وتربية النفس لدى الأنبياء وإعدادهم نفسياً لمحاورة للأفكار والمعتقدات السائدة في مجتمعاتهم، كما أن تقبل الأنبياء لتلك المحاورة يتطلب صبراً وتحملاً في سبيل الدعوة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حروف وأسماء وأفعال الكلم وألفاظه وتراكيبه في الخطاب القرآني قد نسجت نسجاً لغوياً وبلاغياً بارعاً في محاور متتابعة تضيء جواً نفسياً على الأنبياء في تقبل أساليب المعاندة من الكفار والمشركين، بغية إقامة الحجة عليهم بالطرق المتسلسلة التي جعل الله للأنبياء يسرون عليها وفق المنهج الرباني الذي رسمه لهم، فأحياناً نرى الخطاب الرباني للأنبياء يدعوهم إلى الترفق واللين، أثناء محاورة الفكر الآخر كخطوة أولية في الدعوة إلى الله لعلى وعسى أن تكون هناك استجابة، ومن ثم إيماناً بدعوة النبي المرسل فمن ذلك قوله تعالى مخبراً سيدنا محمداً عن دعوة أخيه إبراهيم -- عليه السلام --: "وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" (مريم: ٤٠-٤٥).

فسيدنا إبراهيم -عليه السلام- خوطب بمحاورة أبيه بأحسن العبارات المؤثرة في النفس ودعوته إلى الله بكل رفق وتلطف ولين مثيراً عاطفة الأبوة عند قوله (يا أبت) بتودد وعطف وحنان في كل مرة دون كلل أو نصب، ثم نراه يحاور أباه بأسلوب آخر حيث ينكر عليه عبادة تلك الأصنام بأدب كبير، إذ يذكر سيدنا إبراهيم لأبيه أن تلك الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً حيثما احتاج إليها أو أصابه مكروه.

ثم انتقل سيدنا إبراهيم بأمر رباني إلى أسلوب ثالث هادئ وجديد ومؤثر في النفس وفيه من الملاينة والملاطفة والأدب، حيث لم يالصق بأبيه صفة الجهل، وناسباً لنفسه العلم كله

"يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا".

ولقد كان في ختام المحاوره بأن نهى إبراهيم أباه عن عبادة الشيطان بأسلوب بلغ مبلغاً عظيماً من الاستعطاف والتلطف أيضاً.

حقاً لقد كان خطاب الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام أن حاور وتلطف بالآخر، وكن هادئاً ومستقر النفس، ولا شك أنك ستجد نفعاً وفائدة للدعوة.

ولقد أثر خطاب الله في سيدنا إبراهيم عندما أمره بالتلطف في قوله تعالى (يا أبت) فالقرآن يحدثنا عن التحكم بالمشاعر عند الحوار، فالجو النفسي الذي سيطر على سيدنا إبراهيم جو صبغ بالإيمان بعيداً عن التشنج والتوتر العصبي، ويظهر من حوار سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لأبيه، إنه أسلوب جميع الرسل في الدعوة، مما يشعر الخصم بقوة موقف الداعية إلى الله وقدرته على ضبط النفس بعيداً عن السباب والشتائم^(١).

وتارة يحدثنا خطاب القرآن الكريم عن طريقة أخرى للأنبيا في حوارهم الهادئ مع المشركين فقال الله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنِي وَفِرَادَى نُفْسٍ تَنفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ" (سبأ: ٤٦-٥٠).

(١) عبد الله محمد الجبوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص ٤٤٢-٤٤٣.

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين "في أول إيقاع إلى أن يقوموا الله متجردين، ثم يتفكروا غير متأثرين بالحواجز التي تمنعهم من الهدى ومن النظر الصحيح، ثم تتوالى الإيقاعات كأنما هي مطارق متوالية، وأما الإيقاع الثاني فإنه يدعوهم إلى التفكير في حقيقة البواعث التي تجعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلاحقهم بالدعوة وليس له من وراء ذلك نفع، ولا هو يطلب من ذلك أجراً، فما لهم يتشككون في دعوته ويعرضون، ثم تأتي إيقاعات أخرى متتابعة قل ... قل ... قل، وكل منها يهز القلب هزاً، ولا يتماسك له قلب به بقية من حياة وشعور"^(١).

والناظر إلى الآيات السابقة يدهشه ضبط النفس عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التعامل مع المشركين والرد عليهم، فكان منطقته الهادئ الواعي صادراً عن عقل متمسك بمبادئه التي من أجلها بعثه الله، وفي تتبع آخر للإيقاعات الحوارية التي خاطب الله بها سيدنا محمد نلمس التدرج الآتي:

١- قل "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشِيًّا وَكُرْهًُّا"

إنها الدعوة إلى القيام لله، بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملايسات الأرض، بعيداً عن الهوائف والدوافع التي تشتجر في القلب، بعيداً عن التأثير بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة"^(٢).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٥، ص ٢٩١٢-٢٩١٣.

(٢) المرجع نفسه: مجلد ٥، ص ٢٩١٤

٢- "قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"

فخذوا أيها المشركون أنتم الأجر الذي طلبته منكم! وهو أسلوب فيه تهكم نفسي، وفيه

توجيه، وفيه تنبيه "إن أجري إلا على الله" (١).

٣- "قُلْ إِنْ رَبِّي يَذْفِبُ بِالْحَقِّ عَنَّا الْمُنِيبِينَ"

فيشتد الإيقاع في هذه الآية، وهذا الذي جئتم به الحق، الحق القوي الذي يذفب به

الله، فمن ذا يقف للحق الذي يذفب به الله؟ إنه تعبير مصور مجسم متحرك وكأنما الحق قذيفة

تصدع وتخرق وتنفذ ولا يقف أحدها في طريق" (٢).

٤- "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ"

وهذا الإيقاع فيه عنف وسرعة، جاء هذا الحق في صورة من صورته في الرسالة وفي

قرآنها وفي منهجها المستقيم، قل: جاء الحق. أعلن هذا الإعلان، وقرر هذا الحدث واصدع

بهذا النبا، جاء الحق، جاء بقوته، جاء بدفعته جاء باستعلائه وسيطرته، وقوله تعالى: "وَمَا يُدِئُ

الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ" فقد انته أمره، وما عاد له مجال، وقد تقرر مصيره وعرفه أنه إلى زوال إنه

الإيقاع المزلزل الذي يشعر من يسمعه أن القضاء المبرم قد قضى، وأنه لم يعد هناك مجال

لشيء آخر يقال (٣).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٥، ص ٢٩١٥.

(٢) المرجع نفسه: مجلد ٥، ص ٢٩١٥.

(٣) المرجع نفسه: مجلد ٥، ص ٢٩١٥.

٥- "قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ"

نلكم هو الإيقاع الأخير الذي يسدل ستار الحوار مع تلك الفئة المشركة التي رفضت وصمت آذانها عن كل ما هو حق وبين فلا عليكم إذن إن ضللت، فإنما أضل على نفسي وإن كنت مهتدياً فإن الله هو الذي هداني بوجيه، لا أملك لنفسي منه شيئاً إلا بإذنه، وأنا تحت مشيئته أسير فضله^(١).

وبعد فإن تلك المشاهد من الإيقاعات المتوالية التي تحرك النفوس وتهز المشاعر، تأتي آية الختام من مشاهد القيامة الحافلة بالعذاب والفرع الشديد.

ونلاحظ أن قيمة هذا اللون من الخطاب القرآني للأنبياء جعلهم من الناحية النفسية مستعدين لكل نوع من الحوار المتزن المبني على الثوابت والمبادئ التي لا يحدون عنها، ثم يطبقون أوامر الله مع المشركين خطوة خطوة، متجاهلين حملات الإنكار والتشويه التي يتعرضون لها من أعداء الله، وهنا يظهر الاستقرار النفسي في شخصية الداعية إلى الله هذا من جانب.

ومن جانب آخر نرى أن هذا الخطاب الرباني للأنبياء يعلمهم فيه زعزعة مواقف الخصم ومشاعرهم إذ تنفطر وتتصدع أفئدتهم وقلوبهم بالحجة والمنطق كما في قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - "قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ" (القصص: ٤٩).

وهذه الآية فيها الكثير من الإحراج والإفحام للخصم حين كثر وراء الكافرين وجدالهم، جاءت الحجة، الدامغة فخطبهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - "إن لم يكن يعجبكم القرآن،

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٥، ص ٢٩١٥.

ولم تكن تعجبكم التوراة؛ فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من التوراة والقرآن فأتوا به اتبعه" (١).

ومثل ذلك قوله تعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَأَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَإِنَّا لَنَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يُجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَمْرُنِي الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سبأ: ٢٤-٢٧).

ما أكثر ما خوطب به النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بشأن الكافرين، فخطاب الله لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى إظهار نبرة القوة التي تهز المشاعر والنفوس في محاجة المشركين وتقويت الفرصة عليهم إذ الآيات تلامس واقع الكافرين، فمسألة الرزق واقعة في حياتهم، رزق السماء من مطر وحرارة وضوء ونور وحياة، فما يملك هؤلاء أن يماروا في هذا ولا أن يدعوا سواه، ثم نلاحظ إيقاظ الآيات السابقة لنفوس المشركين بأن يتدبروا ويتأملوا ويتفكروا مبتعدين عن التحجر والتعصب" (٢).

ويبدو النبر واضحاً في كلمة (قل) المكررة في الآيات السابقة التي ينبغي أن تدرك الدلالة النفسية لهذه الكلمة؛ فهي تشتمل على درجة عالية من الصوت بصورة أوضح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاورها" (٣).

ومفاد هذا النبر القوي في الخطاب الرباني في مقطع (قل) من يرزقكم من السماوات والأرض، بأن يتولى سيدنا محمد الإجابة والإقرار عن المشركين بقوله يرزقكم الله، وذلك

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مجلد ٥، ص ٢٦٩٩.

(٢) المرجع نفسه: مجلد ٥، ص ٢٩٠٥.

(٣) كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١٦، ٢٠٠٠، ص ٥١٢.

للإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا لأنهم ربما أبوا أن يتكلموا به، ولأن حب العناد والشرك المسيطر على قلوبهم قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق، وأمر الله سيدنا محمداً أن يتبع (قل) الأولى بالثانية بعد الإلزام والإلجام الذي أن لم يزد على إقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه (وَإِنَّا أَوْيَاكَ لَكُمُ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ومعناه: وإن أحد الفريقين من الذي يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة، ومن الذين يشركون به الجماد الذي يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال.

ويعزز خطاب الله من نفسية سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بأن جعله الأعلى في الحجة والمنطق إذ لا يعلو فوقه منطق، بأن خالف الله بين حرفي الجر (اللام) و (في) في قوله تعالى: (وَإِنَّا أَوْيَاكَ لَكُمُ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (١).

"فإدخال حرف (على) على لفظ الهدى إشارة إلى ملحظ نفسي فهو ينبئ عن الثقة التي يتمتع بها صاحب الحق، فكأنه لقوة حجته ويقين صدقه ممتط صهوة جواده، يصرفه كيف يشاء، مستعلٍ تحت نظره كل صغيرة وكبيرة، وهو إشارة أيضاً إلى تمكنه من الحجة بخلاف الباطل حيث عبر عنه (في ضلال)، كأنه لفشل صاحبه وفرط قلقه وضعف حجته منغمس في ضلال، تائه حائر لا يدري أين يتوجه، غارق في ضلال مبين" (٢).

وأما قوله تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ " (الكافرون: ١) فالسورة

تبدأ بخطاب رباني لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- مطلعته الأمر (قل) وهو أمر إلهي

(١) الزمخشري: الكشاف، ج٣، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) عبد الله محمد الجيوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، ص ٢٤٩.

حاسم موحي بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده، ليس لمحمد فيه شيء إنما هو الله الأمر الذي لا مرد لأمره، الحاكم الذي لا راد لحكمه^(١).

ولو تدبرنا حرف النداء (الياء) "لوجدنا أن النداء هنا ليس مقصوداً به التثبيته، أو الإقبال بل المراد نم الكافرين وما يعبدون فلا فائدة من اعتذارهم في الآخرة، و(الياء) نداء على وجه الحقيقة في هذه الآية، وأعتقد أن ذلك وسيلة للدلالة على معنى نفسي كالنم، بعكس ورود النداء في قوله تعالى: "يُسْفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا" (يوسف: ٢٩) فقد جاء حرف النداء خارجاً عن النداء الحقيقي ليدل على معنى الحب والاستئناس^(٢).

ونظير ذلك خطاب الله لسيدنا موسى قوله تعالى: "أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَكَأَيِّنَّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (طه: ٤٢-٤٤)

إذ أمرهما الله بملاطفة فرعون واللين له في الكلام لتحصيل طاعته، وقد بدأ موسى -عليه السلام- وأخوه هارون في إبداع علاقة مع فرعون بخطابهما وذلك بتوجيه الله سبحانه وتعالى لهما عندما أمرهما بقوله في السورة نفسها: "فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ" وذلك بتوجيه الخطاب إليه باستعمال أداة لغوية هي كاف الخطاب بإضافتها إلى الرب لتصبح ربك في سياق الآية اللغوي بدلاً من ربنا^(٣).

وهناك ملحظ نفسي آخر في آيات الخطاب أن الأمر لم يستعمل هنا إلا لغرض يحمل دلالة تقريب العلاقة بين المخاطب (الله) والمخاطب -سيدنا موسى عليه السلام-، ثم ينقل

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٩٩١.

(٢) كريم حسين ناصح الخالدي: الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص ٩٢-٩٣.

سيدنا موسى - عليه السلام - الأسلوب نفسه في مخاطبة فرعون بالملاينة والملاطفة والموعظة الحسنة، من غير تقبيح ولا ترذيل، حتى إذا ما اطمأن فرعون إلى دعوة سيدنا موسى كان الحوار بالمثل، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون، قوله تعالى: " قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى " (طه: ٥٠) ويكون رد سيدنا موسى في ذلك المقام لطيفاً فقال تعالى: " قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى " (طه: ٤٧).

ويتكرر خطاب الله لسيدنا موسى - عليه السلام - بأن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله، ويبسط لسيدنا موسى أرضية ثابتة في الدعوى وسنداً له ليكون معه، إذ أرسل معه هارون، فقال تعالى: " وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَكَأَيُّبَطِّ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهَمُّ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (الشعراء: ١٠-١٦).

ما أروع هذا الخطاب الذي نودي به سيدنا موسى - عليه السلام - ففيه من الألفاظ العذبة ما هيأت نفسية سيدنا موسى فهم الرسالة الربانية بشكل دقيق، إذ جعلته متهيئاً للذهاب. وفي هذا قال القرطبي: إن الله أمر سيدنا موسى أن يأتي القوم الظالمين، ودل قوله (يتقون) على أنهم (لا يتقون) وعلى أنه أمرهم بالتقوى، وجاء رب العزة (بالياء في يتقون) لأنهم غيب وقت الخطاب وقيل المعنى: قل لهم (ألا تتقون).

ثم يطلب سيدنا موسى مؤازراً وداعماً له في رسالته، فيبعث الله معه سيدنا هارون - عليه السلام - ولم يكن ذلك استعفاءً من الرسالة بل طلب من يعينه.

ويعمضي السياق القرآني مخبراً أن سيدنا موسى لن يقتله أحد بقوله تعالى مؤكداً ذلك

(كلا) لن يقتلوك، وأمره الله بالثقة بالله بمعنى: ثق بالله وانزجر عن خوفك وكن هادئ النفس

مطمئناً، إذ جعلت معك رسول يؤازرك ببراهيننا وبالمعجزات.

ولعل في هذا الخطاب تقوية وشدأ من أزر ونفسية سيدنا موسى -عليه السلام- إذ قال

تعالى: "إنا معكم مستمعون" أي يريد نفسه -سبحانه وتعالى-، ويكون المعنى بذلك أي سامعون

ما يقولون وما يجاوبون" (١).

وهناك ملحظ نفسي في غاية الأهمية، وهو أن الخطاب القرآني في خطابه للأنبياء قد

نسج الله ألفاظه ونظم تعابيره نظماً يفوق قدرة البشر، والتمتعن في دلالة هذه الألفاظ ومعانيها

معجمياً يلح الأثر النفسي الذي يهز المشاعر ويحرك الوجدان ويبعث الرغبة أو الرهبة في

نفس المخاطب، ومن هذه الألفاظ لفظة (بشر) التي تعني ظهور الشيء مع حسن وجمال

ويقال: بَشَرْتُ فلاناً أبشّره تبشيراً، وذلك يكون بالخير، وقيل: ربما حمل عليه غيره من الشر،

وأظن ذلك جنساً من التبكيت، فأما إذا أطلق الكلام إطلاقاً فالبشارة بالخير والندارة بغيره،

يقال: أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها، ويقال: ما أحسن بشرة الأرض، وتباشير الصبح

أوائله، وكذلك أوائل كل شيء، والمبشرات هي الرياح التي تبشر بالغيث" (٢).

وقد قال الراغب الأصفهاني عن هذه المفردة ودلالاتها اللفظية "أَبَشَرْتُ الرجل وبَشَرْتُهُ

وبَشَرْتُهُ أخبرته بشار بسط بَشْرَةً وجهة، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم فيها انتشار الماء

في الشجر" (٣).

(١) القرطبي: تفسير الجامعي لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٣٨٤.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٥١.

(٣) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دارا لكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٤، مادة (بشر).

إن هذه المفردة (بشر) ومشتقاتها قد وردت في الخطاب القرآني للأنبياء في مواقع

متعددة^(*) فمن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران مخاطباً سيدنا زكريا -عليه السلام- "

فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ وهُوَ قَائِمٌ يُوَصِّلِي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران: ٣٩).

لقد جاءت تلك الآية بعد دعوة سيدنا زكريا -عليه السلام- ربه "هَذَاكَ دَعَا نَزَكَرَ كَرِيماً رَبَّهُ

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ" (آل عمران: ٣٨)

"فها هو سيدنا زكريا الشيخ الكبير وزوجه العاقر التي لم تلد في صباها تجيش في قلبه

الرغبة الفطرية العميقة في الخلف، ويستجيب الله له، وكانت البشرية بأن رزقه الله بسيدنا يحيى الذي جاء اسمه قبل مولده حاملاً صفات النبوة^(١).

حقاً لقد اشرأبت نفس سيدنا زكريا -عليه السلام- إلى مولود ولديه من الأدلة المادية

التي لا تؤهله بمولود من حيث بلوغه سناً كبيرة، وامرأته العاقر أيضاً، حينها جاءت لفظة (البشارة) من الله الذي لا تعجزه الأسباب فأمره بين الكاف والنون وحملت تلك اللفظة الرزق والخير والذرية الطيبة وما إلى ذلك من اتساع في المعنى.

ومثل ذلك لفظ (درى) التي تعني: علمت بدريته أو قصد الشيء واعتماده طلباً، قال

ابن الأعرابي: تدريب الصيد، إذا نظرت أين هو ولم تره بعد، ودريته: ختلته، فأما قوله:

(*) قوله تعالى: "بَشِّرْنَا بِبَنَاتٍ بَلَغَ عَلَيْهِنَّ" (الصافات: ١٠١)، وقوله تعالى: "نَزَكَرَ كَرِيماً إِنَّهُ بَشِّرٌ بِبَنَاتٍ بَلَغَ عَلَيْهِنَّ" (مريم: ٧) وقوله تعالى: "قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنََّّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ" (الحجر: ٥٣) وقوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا" (الفتح: ٨) وقوله تعالى: "بَشِّرْنَا بِهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ مَرَاةٍ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" (هود: ٧١).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ط ١، ص ٣٩٤.

تدرّيت أي؛ تعلمت لدرّيته أين هو، والقياس واحد، يقال: درّيت الشيء، والله تعالى أدرانيه^(١)،

قال تعالى: "قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ"

لقد ترددت لفظة (درى) ومشتقاتها في الخطاب القرآني كثيرا فجاء في قوله تعالى: "

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ

مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الشورى: ٥٢).

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قبل أن يُوحى إليه كان قد سمع عن الكتاب وعن

الإيمان، وكان معروفاً في الجزيرة العربية أن هناك أهل كتاب، وأن لهم عقيدة^(٢)، ولكن لم

تحمل لفظة (درى) هذا المعنى المقصود "إنما المقصود من الخطاب هو اشتغال القلب على

هذه الحقيقة والشعور بها والتأثر بوجودها في الضمير، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح من

أمر الله الذي لابس قلب سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-^(٣). ويقول الزمخشري: "فإن

قلت: قد علم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه،

فما معنى قوله: (ولا الإيمان) والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال

أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين عن ارتكاب الكبائر، ومن

الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟ قلت: الإيمان اسم

يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع فعنى به؛ ما الطريق إليه

السمع دون العقل، وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي"^(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، ج ٢، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٧١.

(٣) المرجع نفسه: ج ٥، ص ٣١٧١.

(٤) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٤٧٦.

ويرى الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات ألفاظ القرآن: إن (درى) تعنى الدرّاية

المعرفة المدركة بضرب من الخِثْل يقال: دريته، ودريتُ به دريةٌ نحو فطنت وشعرت

وأدريت^(١) قال الشاعر:

وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت رأس الأربعين

وفي إشارة أخرى إلى معنى (درى) في الخطاب القرآني أنه أتى بها لتشير إلى الفزع

والرعب في النفوس ما لا يعلمه المخاطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال تعالى في

سورة الحاقة: "الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أُذْرِكُ مَا الْحَاقَّةُ" (الحاقة: ١-٣)

يقول الزمخشري إن معنى (ما أدرك) وأي شيء أعلمك يا محمد ما الحاقة: يعني إنك

لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه

وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، وقد جاءت (ما) في موضع الرفع على الابتداء،

وأدرك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام، فالقارعة التي تفرع الناس بالأفزع والأهوال،

والسما بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنفس، والنجوم بالطمس

والانكدار^(٢).

ويتكرر معنى (درى) في قوله تعالى في سورة الانفطار: "وَمَا أُذْرِكُ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾"

ثُمَّ مَا أُذْرِكُ مَا يَوْمَ الدِّينِ" (الانفطار: ١٧-١٨)

(١) الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة (درى).

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص١٤٩.

إن تكرار (أدراك) المسبوقه (بالاستفهام) الذي لا يفيد السؤال، وإنما يفيد الهول والفرع من ذلك اليوم العظيم حين تنفطر القلوب هلعاً وخوفاً، وترتعد النفوس، وتشخص الأبصار، وإن التكرير في (ما أدراك) لزيادة التهويل^(١).

ومثل ذلك التهويل والرعب والفرع من ذلك اليوم في قوله تعالى في سورة المرسلات "وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُصْلِ" (المرسلات: ١٤).

ولعلي لم أجد (درى) ومشتقاتها في خطاب الأنبياء في القرآن إلا في خطاب سيدنا محمد^(٢) صلى الله عليه وسلم.

وعساني أجد أن تلك اللفظة تحمل دلالة خاصة في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم - بهدف التسرية عنه صلى الله عليه وسلم - فيما تحمله من مشاق الدعوة إلى الله.

ومن الألفاظ ذات الدلالة المؤثرة في النفس (ملك) فقال الراغب الأصفهاني (الملك) هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال (ملك) الناس، ولا يقال (ملك الأشياء)، و (الملك) ضربان: (ملك) هو التملك والتوالي.

و (ملك): هو القوة على ذلك تولى أم لم يتول.

فأما الضرب الأول: قوله تعالى: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَنًا" (النمل: ٣٤).

وأما الضرب الثاني: قوله تعالى: "إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ مَلُوكًا" (المائدة: ٢٠)

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٩.

(*) قوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا" (المطففين: ١٩) وقوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَبَةُ" (البلد: ١٢) وقوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ" (الطارق: ٢) وقوله تعالى: "وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِيلَةُ الْقَدَمِ" (القدر: ٢).

فجعل النبوة مخصوصة، والمَلِكُ عاماً، فإن معنى (المَلِكُ) ههنا هو القوة التي بها

يترشح للسياسة لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر^(١).

لذلك تجدر الإشارة إلى أن لفظ (المَلِكُ والمَلِكُ ، أملك ، يملك ويملكون) جاءت في

القرآن في خطاب سيدنا محمد وحده، فلفظة المَلِكُ تشير إلى تولي وسيادة رب العزة على

مقاليد الأمور في السماوات والأرض فقال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه

وسلم-: " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ

إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران: ٢٦)

نعم إن معنى (مَالِكِ الْمَلِكِ) فيها وقع شديد على الأذن عند سماعها، وتعلن الجوارح

استسلامها لتلك السيادة التي تعجز أغنى قوة في الأرض أن تملك مثلها.

وقد جاءت لفظة (مَلِكِ) بالصيغة الفعلية المسبوقة بالاستفهام (يملك) في قوله تعالى:

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ" (يونس: ٣١).

فلاحظ أن الفعل (يملك) قد سيطر على سياق الآية من حيث امتلاك الله لتلك النعم

الكثيرة فقال الزمخشري: معناه أن من يرزقكم منهما جميعاً، ومن يملك السمع والأبصار: أي

من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذا الحد الذي سوياً عليه من الفطرة العجيبة، ومن يدبر

الأمر، أي؛ ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص^(٢).

(١) الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ملك).

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٢٣٦.

ومثل الفعل السابق الذي جاء بصيغة المضارع والمسبوق بالاستفهام قوله تعالى: "لَقَدْ

كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (المائدة: ١٧).

ولقد كان من اضمحلال قوة البشر أمام الملك الجبار، وعجزهم عن جلب المنفعة أو

الشر لأنفسهم قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا

ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"

(الأعراف: ١٨٨).

وهكذا نجد أن الفعل (أملك) يوحي بالإحاطة والقدرة، وتظهر حقيقة عجز المخاطب

عن جلب المنفعة أو دفع الضرر، هذا بالإضافة إلى أن الفعل يعطي دلالة واضحة للقوة الربانية

مقابل العجز والضعف البشري الذي ينتابه الشعور بالخوف والرهبة إزاء تلك العظمة الربانية

فلا مجبر أيضاً إلا الله لقوله تعالى في سورة الجن: "قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَدًا" (الجن: ٢٢).

أما المفردة (يملكون) التي جاءت بصيغة الجمع ومسبوقة بالنفي في قوله تعالى: "قُلْ

ادْعُوا الَّذِينَ نَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ

مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ" (سبأ: ٢٢).

فإنها تظهر استهزاء الله - عز وجل - بالفئة الكافرة وهدم نفوسهم المستعلية حيث جاء

الخطاب لسيدنا محمد لأن يقول "للمشركين من قومه (أدعوا الذين) عبدتموهم (من دون الله)

من الأصنام والملائكة وسميتوهم باسمه كما تدعون الله، والتجنوا إليهم فيما يعرفونكم، لم

تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم، ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون متقال نرة) من خير أو شر أو نفع أو ضرر (في السموات ولا

في الأرض وما لهم) في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك^(١).

وعبر الخطاب في القرآن الكريم عن لفظه (الحزن) وأثرها النفسي في المخاطب عند تلقيه الخطاب فجاء في معناها في كتاب تهذيب الأخلاق، لمسكويه قوله: إن الحزن هو ألم نفسي لفقد محبوب أو فوت مطلوب^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني (الحزن) هو خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خَشَنَتْ بصدره: إذ حَزَنَتْ^(٣).

ويلحظ أن هناك علامات تظهر على الوجه عند الإصابة بحزن، إذ يكفر الوجه، ويضيق الصدر فقال تعالى: "وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ بِاسِرٍّ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ" (القيامة: ٢٤-٢٥).

وقوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ" (النحل: ٥٨)

فتلك هي علامات الحزن التي تبعث الضيق والألم النفسي، ولقد خاطب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بقوله: "وَمَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَمَا تَكُنُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ" (النمل: ٧٠).

وقوله تعالى: "وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا" (آل عمران: ١٧٦)

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" (المائدة: ٤١)

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٢) أحمد بن محمد بن يعقوب (مسكويه): من تهذيب الأخلاق: قدمه سهل عثمان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١، ص ٢٩٧.

(٣) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حزن).

وقوله تعالى: على لسان سيدنا يعقوب - عليه السلام - "وَأَبْصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"^١

(يوسف: ٨٤)

وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" (يوسف ٨٦).

نعم لقد كان خطاب الله لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - طمأننة لنفسه - عليه السلام - ونهياً عن الحزن، وتهديئة روعه حين آذاه الكفار وسخروا من دعوته.

ونظير ذلك قوله تعالى في خطاب سيدنا نوح: "وَأَوْحِي إِلَى نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ

فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (هود: ٣٦).

لذلك عقب الله بتسليية سيدنا نوح - عليه السلام - بقوله (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون)

(فالفاء) لتفريع التسليية على الخبر المحزن، والابتئاس افتعال من البؤس وهو الهم

والحزن، أي لا تحزن بإصرارهم على الكفر واعتراضهم عن النظر في الدعوة، ولما كان نهي سيدنا نوح عن الابتئاس بفعل قومه مع شدة جرمهم، أعقب الله تلك الآية (بالأمر) بصنع

الفلك^(١).

ويبقى سيدنا نوح - عليه السلام - مواصلاً لدعوته بجد ونشاط، ويفرض على نفسه

جهداً كبيراً في سبيل الدعوة، حيث نقف عند سورة نوح والحالة النفسية التي يعيشها مع قومه

بعد أن استنفد كل وسائل الحوار الهادئ ووصل إلى حافة اليأس، فوقف بين يدي الله وقفة

النبي المسؤول الذي يقدم لربه - حساب المسؤولية في تقرير حي متحرك يضع الموقف في

موضعه الذي يتحرك في داخله كل التجارب وكل المشاعر، وكل السنين الطويلة^(٢).

(١) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٢٥.

فجاء على لسانه قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَبَّارًا ﴿٥﴾ فَلَمَّ بَرَزَهُمْ دُعَانِي بِآبَا

فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا

وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا" (نوح: ٥-٧).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

الصيغ اللغوية في الخطاب القرآني للأنبياء ودلالاتها والموازنة بينها

ويشمل

أولاً: صيغة فعل الأمر في الخطاب القرآني للأنبياء.

ثانياً: صيغة النهي في الخطاب القرآني للأنبياء.

ثالثاً: صيغة النداء في الخطاب القرآني للأنبياء.

أولاً: صيغة فعل الأمر في خطاب القرآن للأنبياء

تكثر صيغة فعل الأمر في الخطاب القرآني للأنبياء، وربما كان استخدام صيغة فعل الأمر في الخطاب أعم وأشمل وأبين من دلالة صيغة فعل الأمر، وذلك لأن فعل الأمر يكون محددًا بدلالة الأمر الحقيقي وحده، أما صيغة الأمر فإنها تخرج عن المعنى الحقيقي إلى معانٍ بلاغية متعددة مثل، الالتماس، التمني، والتعجيز، والتسوية، والإباحة، والامتنان، فمن الأمثلة على الإرشاد والنصح قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ١٩٩).

إن الإرشاد والنصح: هو الطلب الذي لا يتضمن إلزاماً، ولا تكليفاً، وإنما يتضمن لونا من ألوان النصح والموعظة الحسنة^(١).

"لقد أمر الرسول بقوله (خذ) إذ إن حقيقة الأخذ هو تناول شيء للانتفاع به أو إضراره، والعفو؛ الصفح عن ذنب المذنب وعدم مؤاخذته بذنبه، وقد عمت الآية صور العفو كلها: لأن التعريف في العفو تعريف الجنس فهو مفيد للاستغراق إذ لم يصلح غيره من معنى الحقيقة والعهد، فأمر الرسول بأن يعفو ويصفح وذلك بعدم مؤاخذه المشركين بجفائهم وسوء خلقهم فلا يعاقبهم ولا يقابلهم بمثل صنيعهم"^(٢).

ومثل ذلك الإرشاد قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام: "اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ

طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" (طه: ٤٣-٤٤). قوله تعالى: "اذْهَبْ أَمْرٌ لِمُوسَىٰ

(١) محمود أحمد نحلة: في علم المعاني، مكتب كريدية أخوان، بيروت، د.ت، ص ٦٦.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٢٢٦.

-عليه السلام- بأن يذهب ويأمر أخاه بالذهاب معه وهارون غائب، إذ يجوز أن تكون جملة (اذهبوا إلى فرعون) بدلاً من جملة (اذهب أنت وأخوك).

وإن القول اللين: هو الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله^(١).

أما الدعاء: قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا

بَغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (آل عمران: ١١٩) لقد بين القاضي عبد الجبار الدعاء في

قوله تعالى فقال: وربما سألوا فقالوا: كيف يقال للكفار "قل موتوا بغيظكم" فيأمر نبيه بأن يبقوا

على الكفر لأنهم إن لم يبقوا عليه لم يموتوا بغيظ المؤمنين، والجواب على ذلك أن صورة

الأمر هو دعاء بهلاككم، كما يقول الإنسان لمن يخالف في الحق: مت كمدا، وأضاف القاضي

عبد الجبار أن المراد من الأمر الدعاء اعتماداً على القرينة والسياق^(٢).

وجميع تلك المعاني الأمرية تنطوي تحت الإنشاء الطلبي الذي يمتاز بطبيعة الحركة

وقوة التأثير^(٣)، كما أن استخدام صيغ الأمر تعطي أبعاداً بلاغية واسعة في فهم دلالة وأسلوب

الخطاب القرآني.

وأرى من المناسب في هذا المقام أن أستشهد ببعض ألفاظ وصيغ الأمر في الخطاب

القرآني، حيث إن تلك الألفاظ قد جاءت على صور متعددة، كل منها له معنى مستقل يتجاوز

نمط الوجوب إلى التكليف والتثبيت والتحريض.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، الأزهر، ص ١٤٤.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٣٩.

فألفاظ خطاب الأمر في القرآن الكريم كثيرة جداً نذكر منها:

١- الأمر بلفظ (قل) ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

وَيُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ" (آل عمران: ١٢).

وقوله تعالى مخاطباً: سيدنا موسى: "اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ"

(النازعات: ١٨-١٨).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا آدم -عليه السلام: "وَكُلَّا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا

مِنْهَا مَرغداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (هود: ٣٥).

٢- الأمر بلفظ (ارتقب، اصطبر) قال تعالى في خطاب سيدنا صالح -عليه السلام- "إِنَّا

مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَّهُمْ فَامْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ" (القمر: ٢٧).

٣- الأمر بلفظ (خذ) قال تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام- "قَالَ خُذْهَا وَكَأ تَخَفْ

سَعِيدُهُمَا سِيرَتَهَا الْأُولَى" (طه: ٢١)

وقوله تعالى في خطاب سيدنا إبراهيم: "فَخُذْ أَمْرَ بَعْضِ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ

مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ بِأَسْمَائِكُمْ سَعِيًّا وَاغْلُظْ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا" (البقرة: ٢٦٠)

وقال تعالى في خطاب سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-: "خُذِ الْعُقُودَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ٩٩).

٤- الأمر بلفظ (اصنع) فقال تعالى في خطاب سيدنا نوح عليه السلام- "وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا

وَوَحْيِنَا وَلَا تَحَاطَبِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ" (هود: ٣٧)

٥- الأمر بلفظ (ذكر) قال تعالى: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" (الغاشية: ٢٣).

٦- الأمر بلفظ (انذر) قال تعالى: "وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"

(مريم: ٣٩).

وقوله تعالى في خبر سيدنا نوح: "إِنَّا أَمَرْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ" (نوح: ١)

٧- الأمر بلفظ (اتل) قوله تعالى: "وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا يُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِهِ" (الكهف:

٢٧) وقوله تعالى: "وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ تَبَأَ إِبْرَاهِيمَ" (الشعراء: ٦٩).

٨- الأمر بلفظ (ادع) كما في قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل ١٢٥).

٩- وهناك ألفاظ أمر خوطب بها الأنبياء لم تأت على صيغة الأمر، وإنما يفهم منها

الوجوب لأن فيها قرينة دالة على الأمر، كما في قوله تعالى: "إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ" (هود: ١٢) فالمعنى الذي حملته الآية: "يا محمد لست إلا منذراً تخوف

المجرمين من عذاب الله^(١) وقوله تعالى: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا"

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفسير، مج ٢، ص ٩.

(النحل: ١٢٣) أي كن يا محمد حنيفاً كما كان إبراهيم حنيفاً^(١)، وقوله تعالى: "إِنَّمَا أَنْتَ

مُنذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا" (النازعات: ٤٥)، بمعنى أنك يا محمد لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة،

الذي لا فائدة لهم في علمه، إنما بعثت لتتذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفاً له في الخشية منها^(٢).

١٠- وقد يكون الأمر مسبقاً بالنداء: قوله تعالى: " قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَبَاهُمْ

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ

(البقرة: ٣٢) وقوله تعالى: "يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنبِئْهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا" (مريم: ١٢) وقوله

تعالى: " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمْرٌ سَنَعُفُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا

عَذَابٌ أَلِيمٌ" (هود: ٤٨)، وقوله تعالى في آية واحدة مخاطباً الرسل على اختلاف

أزمانهم "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ" (المؤمنون: ٥١).

وتقدير هذا الخطاب "أي قلنا يا أيها الرسل كلوا، والمحكي هنا حكي بالمعنى، لأن

الخطاب المذكور هنا لم يكن موجهاً للرسل في وقت واحد بضرورة اختلاف عصورهم.

والتقدير: قلنا لكل رسول ممن مضى ذكرهم كل من الطيبات واعمل صالحاً إنني بما

تعمل عليهم، وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام، وهي شائعة في خطاب الجماعات.

والغرض من هذا الخطاب هو بيان كرامة الرسل عند الله ونزاهتهم في أمورهم

الجسمانية والروحانية، فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية بينما العمل الصالح نزاهة نفسانية.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٣١٨.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٢١٦.

والأمر في قوله تعالى: (كلوا) للإباحة، وإن كان الأكل أمراً جبلياً للبشر، إلا أن المراد به هنا لازمة، وهو إعلام المكذبين بأن الأكل لا ينافي الرسالة، وأن الذي أرسل الرسل أباح لهم الأكل، وتعليق (من الطيبات) بكسب الإباحة المستفادة من الأمر شرط أن يكون المباح من الطيبات؛ أي أن يكون المأكل طيباً، وُعطفَ العمل الصالح على الأمر بأكل الطيبات إيماءً إلى أن همة الرسل إنما تتصرف إلى الأعمال الصالحة^(١).

وبناءً على ما تقدم فإن الأمر في اللغة: هو ضد النهي، من أمره يأمره، والجمع أمور، ويقال: أئتمر، أي؛ قبل أمر، قال الأزهري: الأمر ضد النهي، ويقال: أمر الأمر بأمر: إذا اشتد^(٢).

والأمر: مصدر للفعل أمر بمعنى: طلب وعلامته أن يدل على الطلب بالصيغة^(٣). وعند البلاغيين: إن الأمر طلب الفعل، غير الكف على جهة الاستعلاء مع الإلزام، ويكون الأمر لتحقيق شيء مادي أو معنوي، وأما صيغته الكلامية الصريحة فهي: ^(٤)

١- فعل الأمر بصيغة (افعل):

وشاهد ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - في عدم إطاعة أبي جهل: "كَلَّا لَا تَطِعُهُمْ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ" (العلق: ١٩).

نلاحظ أن فعلي الأمر في الآية الكريمة: "اسجد واقترب" قد جاء على صيغة (افعل) والفاعل فيهما ضمير مستتر، وعطف فعل الأمر (اقترب) على الفعل (اسجد)، ولعل مجيء

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج ١٨، ص ٦٧-٦٨.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، مادة (أمر).

(٣) عزيزة فوال بابنيني: المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٤) بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة، الرياض، ١٩٨٢، مج ١، ص ٥٧.

الفعل (اسجد) بهذه الصورة يحمل دلالة الاستمرار والدوام على السجود، وذلك لأن أفضل حالات التقرب إلى الله السجود، فقد جاء في تفسير هذه الآية "لا تطع أبا جهل ودم يا محمد على ما أنت عليه من معاصاته وواظب غير مكترث به على سجودك، وتقرب بذلك إلى ربك لأنه جاء في الحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) (١).

ومثل ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"

(الأحزاب: ١). فالمراد من الأمر في هذه الآية أيضاً الاستمرار والمداومة.

ونظير ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام-: "إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ

طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكَى " (النازعات ١٦-١٨).

يبدو الالتفات في الآيات السابقة واضحاً، ففي الآية الأولى (إذ ناداه ربه) التفات من

الغائب (ناداه) إلى المخاطب (اذهب) في قوله (اذهب إلى فرعون)، كما يبدو أن التنقل في

الخطاب القرآني من صيغتي الماضي في ناداه إلى الأمر يحمل دلالة المكانة الرفيعة لسيدنا

موسى -عليه السلام- وعلى قربه من الله -عز وجل- فانه يناديه ويخاطبه ويأمره بالذهاب

إلى فرعون دون وساطة أحد زيادة في الرعاية له، وذهاب سيدنا موسى إلى فرعون بنفسه

منفذاً لأوامر الله -سبحانه وتعالى، أبلغ في مواجهة فرعون وأشد في لومه وتقريعه" (٢).

وإن زمن الأمر (اذهب) جاء متعلقاً بالماضي فكان للقرينة دور فاعل في مسألة الزمن

إذا أريد من الأمر الخبر" (٣).

(١) الألويسي: روح المعاني، مج ١٥، ص ٢٤٠.

(٢) محمد المقبل: بناء الجملة الفعلية في جزء عم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ص ١٤٦.

(٣) أبو السعود حسنين الشاذلي: العناصر الأساسية للمركب الفعلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

١٩٩٠، ص ٢٢١.

ونلاحظ أن الأمر في خطاب الأنبياء جاء متضمناً الرعاية والعناية والإشفاق والتلطف
والمواساة كقوله تعالى في خطاب سيدنا نوح -عليه السلام-: "وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا
تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ" (هود: ٣٧)

لقد جاء في الآية السابقة قوله تعالى: "وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (هود: ٣٦).

فلما كان نهي سيدنا نوح -عليه السلام- عن الابتئاس مما فعله قومه من العناد والكفر
وعدم الإيمان مع شدة جرمهم، جاء خطاب آخر لسيدنا نوح من الله بأن ينتصر له بصنع الفلك
تهيئةً لنجاته ونجاة من قد آمن من العذاب الذي قدره الله لقومه.
فجملة (واصنع الفلك) عطف على جملة (فلا تبتئس) (١).

ومن أمثلة زمن الأمر المتعلق بالماضي قوله تعالى في خطاب سيدنا نوح -عليه
السلام- "فَلَمَّا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ"
(هود: ٤٠).

ففعل الأمر (احمل) دال على الماضي، إذ نحن نفهم من توالي الأحداث في قصة
سيدنا نوح -عليه السلام- أنه حمل فيها من كل زوجين اثنين تحقيقاً لإرادة الله (٢).

ونظير ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا آدم -عليه السلام-: "وَقُلْنَا امْكُتُوبًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَكَرِهِي الْأَرْضَ مُسْتَقَرًّا وَمَأْوَاً إِلَى حِينٍ" (البقرة: ٣٦).

نلاحظ من صيغة الأمر الذي جاء متعلقاً بالماضي "أنه لا ينقطع زمنها في الماضي، بل
نجد أن زمنها يمتد إلى ما يستقبل من الزمن البعيد، أو الذي لا نهاية له" (٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ١٢، ص ٦٦.

(٢) بكرى عبد الكريم: الزمن في القرآن الكريم، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٩م، ط ٢، ص ١٢٨.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٢٩.

٢- اسم فعل الأمر: ومثل ذلك قوله تعالى: "قُلْ هَلْهَذَا شَهَادَةٌ كَمَا الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا

فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرِيبِهِمْ يَعْبُدُونَ

" (الأنعام: ١٥٠).

وقوله تعالى: "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة: ١١١)

وفي "هلم" كلام كثير عند نحاة العربية فمنهم من عدها (فعل أمر)، ومنهم من قال عنها بأنها (اسم فعل أمر)، فسيبويه قال: "هلم" في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنتين والجمع والذكر والأنثى بلفظ سواء^(١). ويرى سيبويه إن "هلم" لا تدخل عليها النون الخفيفة ولا الثقيلة لأنها ليست بفعل وإنما هي اسم فعل^(٢).

ومن الواضح أن اسم فعل الأمر هو الذي يتضمن معنى فعل الأمر، ولا يقبل اسم فعل الأمر علامة الفعل، بالإضافة إلى أن اسم فعل الأمر لا يقبل التأثر بالعوامل الداخلة عليه.

٣- المضارع المقرون بلام الأمر: قوله تعالى: "أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا

صَادِقِينَ" (القلم: ٤١)، وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ آذَانُكُمْ أَيْمَانُكُمْ

وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ

بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عُمَرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ" (النور: ٥٨)، وقوله

(١) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٣، ص ٥٢٩.

(٢) المرجع نفسه: ص ٥٢٩.

تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَسْبِي إِذَا مَرَأُوا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَكَيْدُ السَّاعَةِ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا " (مريم: ٧٥)

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر: قوله تعالى: " وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّكَ وَبَدَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا "

(المزمل: ٨)

وهكذا فإن مفهوم الأمر اصطلاحاً هو: طلب مرفوع الفعل من الفاعل المخاطب بغير

صيغة لام الأمر^(١).

وعرفه السيوطي بقوله: "طلب فعل غير كف، وصيغته (افعل) و (ليفعل)^(٢). فصيغة

(ليفعل) ما هي إلا مضارع حذف منه لام الأمر ويقول علماء اللغة إن فعل الأمر مبني والبناء

هو: لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السلوك أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل.

وكانهم إنما سموه بناء لأنه لما لزم ضرباً واحداً فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء،

من حيث كان البناء لازماً موضعه، ولا يزول من مكان إلى غيره^(٣).

ونلاحظ أن هناك اختلافاً عند النحاة في دلالة زمن فعل الأمر فقد جاء فيه أنه "مستقبل

أبداً، إذ المقصود به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل^(٤). كقوله تعالى: "يا أيها النبي اتق

الله، (الأحزاب: ١)، ففعل الأمر (اتق) كان بمعنى الاستمرار والدوام في التقوى، ومثال ذلك

قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم -: "فَذَكَرِ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ"

(الغاشية: ٢١).

(١) عزيزة فوال بابنيني: المعجم المفصل في النحو العربي: ص ٢٤٤.

(٢) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص ٥٨١.

(٣) ابن جني: الخصائص تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢، ج ١، ص ٣٧.

(٤) السيوطي: همع الهوامع، تحقيق عبد السلام هارون، وعبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت،

١٩٨٧، ج ١، ص ١٦.

"الفاء في قوله (فذكر) تفريع على محصل ما سبق من أول السورة الذي هو التذكير بالغاشية وما اتصل به من ذكر إعراضهم وإنذارهم، رُتب على ذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم - بالدوام على تذكيرهم، وأن لا يبأس بإصرارهم على الإعراض وعدم إيداعهم بما ألقى إليهم من المواعظ، وتثبيته بأنه لا تبعه عليه من عدم إصغائهم إذ الم يُبعث ملجئاً لهم على الإيمان"^(١). فالشاهد في قوله تعالى أن فعل الأمر قد استعمل في طلب الاستمرار والمداومة، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - دائم التذكير.

ونظير ذلك قوله تعالى موجهاً خطابه لسيدنا نوح - عليه السلام -: "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْوِيرُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَاطِنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَاكْتَخَاطِبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ" (المؤمنون: ٢٧).

إن جملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة (أوحينا) لأن فعل (أوحينا) فيه معنى القول دون حروفه، وفرع على الأمر بصنع الفلك تفصيل ما يفعله عند الحاجة إلى استعمال الفلك، فوقت له استعماله بوقت الاضطرار إلى إنجاء المؤمنين والحيوان.

والأمر في قوله تعالى: "فاسلك فيها" حكى ما خاطبه الله به من قبل حدوث الطوفان إنباء بما يفعله عند حدوث الطوفان، فأمره بأنه حينئذ يدخل في السفينة من عين الله إدخالهم، ومعنى (اسلك): أدخل، وفعل (سلك) يكون قاصراً بمعنى دخل، ومتعدياً بمعنى (أدخل)^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٠٦.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٨، ص ٤٥-٤٦.

ويظهر أن الأمر في الآية الآتية يبرز دلالة علو شأن المخاطب وتعظيمه فقال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِثُهُمْ بِاتِّبَاعِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (النحل: ١٢٥).

فقال ابن عاشور في تفسير الأمر: إن صيغة فعل الأمر أستعملت في تثبيت قلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الدعوة وطلب الدوام عليها، وألا يهتم بقول المشركين، وذلك لأن المشركين لن يتركوا حيلة يحسبونها تثبط النبي - صلى الله عليه وسلم - عن دعوته إلا ألقوا بها إليه من تصريح بالتكذيب، واستخسار، وتهديد، وبذاءة واختلاق وبهتان.

وأما إضافة (سبيل) إلى (ربك) باعتبار أن الله أرشد إليه وأمر بالتزامه، وحذف مفعول (ادع) لقصد التعميم، أو لأن الفعل نزل منزلة اللازم، لأن المقصود الدوام على الدعوة لا بيان المدعويين، ولأن ذلك أمر معلوم من حال الدعوة (بالحكمة)، (والباء) هنا للملابسة، إذ إن معنى الملابسة؛ أن لا تخلو دعوته إلى سبيل ربه عن هاتين الخصلتين؛ الحكمة والموعظة الحسنة^(١).

وأما قوله تعالى: " قَوْلَ عَمَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَكُومٍ " وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (الذاريات: ٥٤-٥٥).

إن المراد بالتولي هو الإعراض عنهم لأنهم بُعداء عن أن تقنعهم الآيات والنذر، وذلك لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان شديد الحرص على إيمانهم، ويغتم من أجل عنادهم في كفرهم فكان الله - عز وجل - يعاود تسليته الفينة بعد الفينة^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) المرجع نفسه: ج ٢٧، ص ٢٣.

ولقد أدت صيغة الأمر دلالة التذكير فقوله تعالى: (فتول) إخباره بأنه لا لوم عليه في إعراضهم عنه، وصيغ الكلام في صيغة الجملة الاسمية دون: لا نلومك وذلك للدلالة على ثبات مضمون الجملة في النفي.

وجيء بضمير المخاطب مسنداً إليه فقال (فما أنت بملوم) دون أن يقول: فلا ملام عليك، أو نحوه للاهتمام للتبوية بشأن المخاطب وتعظيمه، وأدت زيادة (الباء) في قوله (بملوم) في الخبر المنفي زيادة في تأكيد نفي أن يكون -عليه الصلاة والسلام- ملوماً.

وأما عطف الأمر (وذكر) على الأمر (فتول عنهم) احتراص كي لا يتوهم أحد أن الإعراض إبطال للتذكير، بل التذكير باقٍ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم - ذكر الناس بعد أمثال هذه الآيات، فأمن بعض من لم يكن آمن من قبل، وليكون الاستمرار على التذكير زيادة في إقامة الحجة على المعرضين.

والأمر في (وذكر) مراد به الدوام على التذكير وتجديده، واقتصر في تعليل الأمر بالتذكير على علة واحدة وهي انتفاع المؤمنين بالتذكير، لأن فائدة ذلك محققة، ولإظهار العناية بالمؤمنين في المقام الذي ظهرت فيه لقلّة الاكتراث بالكافرين^(١).

ولعل خطاب الأمر بـ (قل) هو الأكثر وروداً في خطاب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وفي تتبع لهذا الخطاب نجد أنه يؤدي الدلالات البلاغية الآتية:

أولاً: التحدي: قال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- "قُلْ إِنْ كَانَتْ

لَكُمْ الدَّامِرُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَكَنْ يَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (البقرة: ٩٤-٩٥).

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ٢٧، ص ٢٣-٢٤.

فالآيتان تتحدثان عن اليهود حين ادّعوا الإيمان، ولقد أمر الله سيدنا محمداً بأن يتحداهم ويدعوهم إلى المباهلة؛ أي بأن يقف الفريقان ويدعوا الله بهلاك الكاذب منهما، ويعقب على هذا التحدي بتقرير أنهم لن يقبلوا المباهلة، ولن يطلبوا الموت، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون ويخشون أن يستجيب الله فيأخذهم، ومن ثم فإن اليهود أحرص الناس على حياة، وهم والمشركون في ذلك سواء^(١).

ولا يقف التحدي عند الآيتين السابقتين، بل مضى السياق القرآني يكشف زيف ادعاء اليهود أنهم مؤمنون، حقاً لقد ذكر القرآن كفرهم السابق للأنبياء، وما فعلوه من نقض للمواثيق والعهود، وهامهم يمارسون فعلتهم الشنيعة مع خاتم الأنبياء والمرسلين من كراهية وحقد فقال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً "قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ" (البقرة: ٩٧-٩٨).

"ومن خلال هذا التحدي نطلع على سمة أخرى من سمات يهود سمة عجيبة حقاً لقد بلغ هؤلاء من الحنق والغیظ من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عبادة مبلغاً يتجاوز كل حد، وقادهم هذا إلى تناقض لا يستقيم في عقل، لقد سمعوا أن جبريل ينزل بالوحي من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم-ولما كان عداؤهم لمحمد قد بلغ مرتبة الحقد والحنق، فقد لج بهم الضغن أن يخرعوا قصة واهية وحجة فارغة، فيزعموا أن جبريل عدوهم، لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب؛ وإن هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد من

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٩٢.

جاء صاحبه جبريل!، ولو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا، فميكائيل ينزل بالرخاء والمطر والخصب.

لذلك كان التحدي بأمر الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بأن يقول لليهود إن جبريل وحي منفذ لأمر الله في تنزيل هذا القرآن، ولإعلان أن من عادى أحداً من ملائكة الله فقد عاداهم جميعاً، وهو من الكافرين^(١).

ومن آيات التحدي بـ (قل) قوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعَابٌ وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَنَسِ الْمَهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّقَاتِ تَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران: ١٢-١٣).

فلقد أمر الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم - أن ينذر الكافرين بأن مصيرهم النار، وفي هذه الآية ضرب المثل لهم بأحوال من سلفهم في الكفر، إلى ضرب المثل لهم بسابق أحوالهم المؤذنة بأن أمرهم صائر إلى زوال، وأن أمر الإسلام ستندك له صم الجبال. وجيء في هذا التهديد بأطنب عبارة وأبلغها؛ لأن المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة والتذكير بوصف يوم كان عليهم، يعلمونه و (الذين كفروا) يحتمل أن المراد بهم المذكورون في قوله "إن الذين كفروا لن تغني عنهم" فيجئ فيه ما تقدم، والعدول عن ضمير (هم) إلى الاسم الظاهر لاستقلال هذه النذارة^(٢).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٩٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٧٥.

وأما قوله تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِمَّنْ شَاءَ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (الأنعام: ٩١).

فلقد كان مشركو مكة يقولون (ما أنزل الله على بشر من شيء) وهذا ما كان يقوله أمثال المشركين في كل زمان ويزعمون أن الأديان من صنع البشر، فجاء خطاب الله تشریفاً لسيدنا محمد (قل لهم) من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس، ولم يترك لهم رب العزة للمشركين أن يجيبوا على ذلك السؤال، إنما أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - أن يحسم القول معهم في هذا الشأن؛ وألا يجعله مجالاً لجدل لا يثيره إلا اللجاج قل: الله ثم ذرهم في خضوعهم يلعبون^(١).

ولعل افتتاح الأمر في هذه الآية (بالقول) للتبنيه على أهميته، والاهتمام بهذا الإفحام، وإلا فإن القرآن كله مأمور به النبي صلى الله عليه وسلم - بأن يقوله^(٢).

ثانياً: التوبيخ والسخرية: ومثل ذلك قوله تعالى: "قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا نِكْمًا كُنتُمْ تَوْمًا فَاسْقِينَ" (التوبة: ٥٣).

لقد كان التوبيخ والسخرية أمراً واضحاً في الآية، وذلك رداً على ما كان من أولئك المنافقين الذين استأذنوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - في التخلف عن الغزو زاعمين أن المال سيكون بديلاً عن الغزو والقيود عن الجهاد، "وأنه يرضي النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١١٤٦-١١٤٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٣٦٣.

وسلم- ، فكان قوله تعالى: "طوعاً أو كرهاً" فقوله (طوعاً) إدماج لتعميم أحوال الإنفاق في عدم القبول فإنهم لا ينفقون إلا كرهاً لقوله بعد هذا "ولا ينفقون إلا وهم كارهون".

وكذلك الأمر في الآية نفسها (انفقوا) للتسوية أي؛ أنفقوا أو لا تنفقوا كما دلت عليه (أو) في قوله (طوعاً أو كرهاً)، وهو في معنى الخبر الشرطي، لأنه في قوة أن يقال: لن يتقبل منكم إن أنفقتم طوعاً أو أنفقتم كرهاً.

والكره أشد الإلزام، وبينه وبين الطوع مراتب تعلم إرادتها بالأولى، وانتصب (طوعاً أو كرهاً) على النيابة عن المفعول المطلق بتقدير: إنفاق طوع أو إنفاق كره، ونائب فاعل يتقبل: هو (منكم) أي؛ لا يتقبل منكم شيء، وليس المقدر (الإنفاق) المأخوذ من (أنفقوا) بل المقصود (العموم) ^(١).

وتتجلى براعة الخطاب القرآني في الأمر حين وجه الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم- إلى معرفة بواطن تلك النلة المنافقة التي تكيد له وتربص به الدوائر، بأسلوب يقض مضاجعهم ويفضح زيف تخلفهم عن الجهاد ساخراً ومويخاً إياهم إنهم كاذبون في ادعائهم الإنفاق، وأنه لن يتقبل منهم وهم فئة فاسقة فاجرة، ولقد كان خطاب الأمر توجيهاً ربانياً لسيدنا محمد في كشف مقاصد المنافقين بدلالة التسوية (أنفقوا أو لا تنفقوا) فالأمر عندي سواء إن فعلتم الإنفاق أو لم تفعلوا لن يتقبل منكم، ولهذا كانت التسوية في الأمر داحضة كل حجج المنافقين.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٢٥.

ثالثاً: توحيد الله وتنزيهه.

ومما ورد في خطاب الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَكَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" (الإخلاص: ١-٤).

فقد ذكرت في كتب التفسير أن هذه السورة نزلت جواباً للمشركين حين سألوا محمداً

عن نسب رب العزة، فجاء الرد بخطاب الأمر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- بهذه

الأحدية التي أوجبها الله على سيدنا محمد.

كما أن هذه الأحدية بقوله تعالى: قل هو الله (أحد) هي أدق من لفظ (واحد) إذا إنها

تضيف إلى معنى (واحد) أنه ليس كمثل شيء، ولا شيء غيره معه.

وقوله تعالى: "قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ

لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَكُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرَبِّي مُنَآ

شُرِكُونَ" (الأنفال: ١٩).

ها هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم- يواجه المشركين، ليبين لهم مفرق

الطرق بين دينة ودينهم، وبين توحيده وشركهم، وليقرر لهم: أنه لا موضع للقاء بينه وبينهم،

إلا أن يتخلصوا هم من دينهم ويدخلوا في دينة وأنه لا وجه للمصالحة في هذا الأمر، لأنه

يفترق معهم في أول الطريق.

ويؤمر سيدنا محمد بالسؤال قل: أي شيء أكبر شهادة.

أي شاهد في هذا الوجود كله هو أكبر شهادة؟ أي شاهد تعلق شهادته؟ أي شاهد تحسم

شهادته في القضية فلا يبقى بعد شهادته شهادة؟

كما يؤمر عليه الصلاة والسلام بالجواب، ذلك أنه لا جواب غيره باعتراف المخاطبين

أنفسهم، ولا جواب غيره في حقيقة الأمر والواقع: "قل: الله شهيد بيني وبينكم" فلا قول بعد

قوله تعالى فإذا قال فقد انتهى القول، وقد قضي الأمر^(١).

وقوله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ" (الزخرف: ٨١)

فلقد كان خطاب الأمر في هذه الآية متبوعاً "بأن الشرطية، والتي يكثر استعمالها مع

الأمر الممكن والمحتمل وقوعه، أما ورودها هنا فقد دخلت على المستحيل عقلاً^(٢).

ويرى الزمخشري في الكشف تفسير هذه الآية قوله: "إن كان للرحمن ولد" وصح ذلك

وثبت ببرهان صحيح تورودونه، وحجة واضحة تدلون بها: فأنا أول من يعظم ذلك الولد

وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا الكلام وراود

على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والإطناب فيه، وألا يتترك

الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد؛ وذلك أنه

علق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فهو في صورة

إثبات الكينونة والعبادة، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها^(٣).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٢، ص ١٠٥٦.

(٢) أبو السعود حسين الشاذلي: العناصر الأساسية المركب الفعلي وأنماطها من خلال القرآن الكريم، ص ١٤٩-١٥٠.

(٣) الزمخشري: الكشف، ج ٣، ص ٤٩٧.

ثانياً: صيغة النهي في الخطاب القرآني للأنبياء:

إن صيغة النهي قد شغلت حيزاً كبيراً في القرآن الكريم، وجاءت بأساليب وألفاظ متعددة إذ لا تقف عند الصيغة الحرفية للنهي (لا تفعل)، وإنما خرجت عن مقتضى الظاهر، وتتبع علماؤنا الأجلاء من نحويين وبلاغيين ومفسرين ذلك في مؤلفاتهم المختلفة مبينين وجهة نظرهم وفهمهم للنهي ومنطلقين من المعنى اللغوي له، وقبل أن أدخل في صيغة النهي لا بد من تحديد مفهوم النهي لغة واصطلاحاً.

النهي لغة:

ذهب جل علماء المعاجم العربية إلى أن مفهوم النهي في اللغة هو: الكف^(١). غير أن بعض المعاجم العربية رأته أن النهي: ضد أقره فقال (الزبيدي) في تاج العروس: نهاه ينهاه نهياً أي: ضد أقره، وطلب حاجة حتى نهى عنها أو أنهى، والمعنى: تركها يظفر بها، أو لم يظفر^(٢).

وهذا ما أكدته التفتازاني في المطول بقوله: وقد يستعمل النهي [في غير طلب الكف] عن الفعل كما هو مذهب بعضهم، [أو] طلب [ترك] كما هو مذهب البعض فإنهم قد اختلفوا في أن مقتضى النهي كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أصداده، أو ترك الفعل وهو نفس أن لا تفعل.

(١) انظر مادة (نهي) عند:

- الخليل بن أحمد (الفراهيدي): كتاب العين.
- اسماعيل بن حماد (الجوهري): الصحاح.
- محمد بن أبي بكر (الرازي): مختار الصحاح.
- ابن منظور: لسان العرب.
- محمد مرتضى الحسيني (الزبيدي): تاج العروس.
- (٢) محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، مادة (نهي).

والمذهبان متقاربان، ففي الجملة قد يستعمل النهي في غير معناه، أو ذلك بأن لا

يستعمل لا لطلب الكف أو الترك [كالتهديد كقولك: لعبد لا يمتثل أمرك: لا تتمثل أمري]"^(١).

أما ابن مالك في مؤلفه (الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة) فقال إن النهي قد يأتي بالألفاظ الآتية: نهيته، وصددته، وصرفته، وزجرته، وكففته، ومنعته، وفطمته، وقذعته، وكبحته، وحكمته، وشكمته، وردعته.....^(٢).

وقال الأصفهاني في (معجم مفردات القرآن) إن النهي يأتي بمعنى الزجر عن الشيء،

لقوله تعالى: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى" (العلق: ٩-١٠).

والانتهاه: الانزجار عما ينهى عنه^(٣)، لقوله تعالى: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

سَكَفَ" (الأنفال: ٣٩).

ورأى الفيومي في مؤلفه (المصباح المنير): أن معنى نهى الله تعالى: بمعنى: حرّم^(٤).

أما النهي اصطلاحاً ففيه آراء كثيرة: فقد عرفه الأمدي: بأنه قول يتضمن طلب الكف

على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية^(٥).

وعرفه ابن حزم بقوله: استدعاء الترك بالقول على وجه الاستعلاء، بصيغة

مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية^(١).

(١) سعد الدين مسعود التفتازاني: المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٢٨.

(٢) ابن مالك محمد بن عبد الملك: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحقيق محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.

(٣) الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني): معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (نهي).

(٤) أحمد محمد الفيومي: المصباح المنير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، د.ت، ج ١، ط ٢، مادة (نهي).

(٥) علي بن أبي علي محمد (الأمدي): الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٣٥٦-٤١٠.

(٦) علي بن أبي علي محمد (الأمدي): ج ٣، ص ٣٢٦.

وهناك تفرعات متعددة للنهي عند الأصوليين، ولا أرى أن الخوض فيها وفي اختلاف أقوال العلماء منفعة لهذه الجزئية، وإن المحور الرئيس الذي تدور حوله صيغة النهي: هو دلالاته في الخطاب القرآني إذ يقتضي من المخاطب الكف الفوري عن الفعل، كما قد تخرج صيغة النهي إلى أغراض مجازية مختلفة ومتباينة سأحدث عنها فيما بعد.

ومن أبرز الأمثلة على أن النهي يتضمن الكف الفوري قوله تعالى في الآية الآتية: "يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَمْزَلَامُ مُرْجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"

(المائدة: ٩٠).

لقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين نزلت هذه الآية (انتهينا) (١). أما

عناية النحاة بالنهي فقد جاء في تعريفهم له بأنه: نفي الأمر.

فكان سيبويه يقول: كما أن (لا تضرب) نفي لقوله: (اضرب) (٢).

ورأى ابن السراج في كتابه (الأصول في النحو): إن النهي هو نفي الأمر سائراً على

نهج سيبويه في ذلك الرأي فقال: (لا) في النهي بمعنى واحد، لأنك إنما تأمره أن يكون ذلك

الشيء الموجب منفيًا، ألا ترى أنك إذا قلت: (قم)، إنما تأمره بأن يكون منه قيام، فإذا نهيت

فقلت: (لا تقم)، فقد أردت منه نفي ذلك، فكما أن الأمر يراد به الإيجاب، فكذلك النهي يراد به

النفي (٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٦، ص ٢١.

(٢) سيبويه: الكتاب، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) محمد بن سهل السراج: الأصول في النحو، تحق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨،

ج ٢، ط ٣، ص ١٥٧.

ويؤكد السيوطي في (الأشباه والنظائر) فيقول: إن النهي يتزل من الأمر منزلة النهي من الإيجاب، فكما أحتج في النهي إلى أداة أحتج في النهي إلى ذلك، ولذلك كان بـ (لا) التي هي مشاركة في اللفظ لـ (لا) التي للنهي^(١).

ويرى ابن الشجري في النهي أنه لا يقف عند نفي الأمر بل يخرج إلى معنى جديد هو (المنع من الفعل) فيقول: إن النهي هو المنع من الفعل، بقول مخصوص مع علو الرتبة، وصيغته "لا تفعل ولا يفعل فلان" فالنهي للمواجه والغائب^(٢).

ودخل النحاة في البحث عن أصل (لا الناهية) إذ رأى بعضهم أن أصلها لام الأمر زيدت عليها ألف فانفتحت^(٣)، وذهب السهيلي في كتابه (نتائج الفكر في النحو) إلى أن (لا الناهية) هي (لا النافية)، وأن الجزم بلام الأمر المضمرة التي حذفت بسبب كراهية اجتماع اللامين^(٤)، في حين أن المرادي في (الجنى الداني)، وابن هشام في (معني اللبيب)، والسيوطي في (الهمع) قد ردوا هذين الرأيين القائلين بأن لا الناهية هي لا النافية، وأن الجزم بلام الأمر المضمرة حذفت كراهية اجتماع اللامين.

وعودة على بدء فإن النهي في النص القرآني في خطاب الأنبياء كثير، لكنه ليس كالأمر، وينبغي أن نعي أنه يأتي في سياقات مختلفة ومتعددة الوجوه والمعاني، ولأن النهي في اللغة تحذير وزجر وحدة وهذا لا يليق بالأنبياء، بل إن وجوده في الخطاب القرآني للأنبياء

(١) عبد الرحمن بن بكر السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، حققه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، ج ١-٢، ص ٢٤١.

(٢) هبة الله بن علي بن حمزة الشجري: الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٣٠٠.

انظر: معني اللبيب، ج ١، ص ٢٧٥، والهمع، ج ٤، ص ٣١٠.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ط ٢، ص ١٣٨.

كان مشحوناً بكثرة النصح والتوجيه والتعليم والتثبيت والحث والتكليف والتسرية عن الأنبياء مما لا قوه أثناء دعوتهم^(١).

وإن الأصل في النهي كما جاء عند النحاة، والبلاغيين له صيغة محددة هي: الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية (لا تفعل)، كما في قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام- "فَلَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى" (طه: ٦٨) وقوله تعالى في خطاب سيدنا نوح -عليه السلام- "فَلَا تَسْأَلْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود: ٤٦) وقوله تعالى مخاطباً سيدنا آدم -عليه السلام-: "فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَكِرِهٌ لَكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" (طه: ١١٧).

فآدم -عليه السلام- هو المخاطب وهو المقصود بقوله (فلا يخرجنكما) نهي، ومجازة: لا تقبل من إبليس، فيكون ذلك سبباً لخروجكما من الجنة (فتشقى) يعني: أنت وزوجك، لأنهما في استواء العلة واحد، ولم يقل الله (فتشقى) لأن المعنى معروف، وآدم -عليه السلام- هو المقصود^(٢).

ومثل ذلك قوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة: ٣٥) والنهي هنا يعني "ولا تأكلا -آدم وحواء- من الشجرة لأن قربانها إنما هو القصد الأكل، فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل، وذلك لأن القرب من الشيء ينشئ داعية وميلاً إليه"^(٣).

(١) عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء، ص ٢٢٦.
(٢) القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٥٣١.
(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٣٢.

وقوله تعالى في سورة يونس مخاطباً سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام-: "قَالَ قَدْ

أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمًا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (يونس: ٨٩).

فالخطاب موجه إلى سيدنا موسى وهارون، وإن النهي في قوله (فلا تتبعان)، أي لا تتبعا طريق الجهلة بعبادة الله في تعليق الأمور بالمصالح، ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة^(١).

وأما تشديد النون في قوله (لا تتبعان) فهي في موضع جزم على النهي، والنون للتوكيد وحركت لالتقاء الساكنين، وأختير لهما الكسر لأنهما أشبهت نون الاثنتين، والمعنى لا تسلكا طريق من يعلم حقيقة وعدي ووعيدي^(٢).

وهناك آراء للنحاة والمفسرين في بعض الآيات القرآنية حول وقوع (لا) للنهي أو النفي، والشاهد في ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم -: "سَتَشْرُكُونََنَا نَسَى" (الأعلى: ٦).

فقيل إن قوله تعالى: (فلا تنسى) قد تكون:

١- للنهي: والمعنى: فلا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع

تلاوته للمصلحة، والألف في (تنسى) مزيدة للفاصلة^(٣) كقوله: "فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا"

(الأحزاب: ٦٧).

٢- للنفي: وهو من استعمال القلة على معنى النفي حيث يجعلون الغرض نفي النسيان

رأساً كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ٢٥١.

(٢) القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٣.

استثناء شيء، ويؤول المعنى: أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ القرآن ويعجل بالقراءة إذا لقته جبريل، فقيل: لا تعجل، فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان^(١).
ويعلق مكي بن أبي طالب في كتابه (مشكل إعراب القرآن) على قوله: (فلا تنسى) أن (لا) هي بمعنى (ليس) إذ هي خبر وليس بنهي، ويصرف المعنى إلى أنه لا يجوز أن ينهي الإنسان عن النسيان لأنه ليس من اختياره^(٢).

ومثل ذلك قوله تعالى: "كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ" (الأعراف: ٢).

يقول ابن عاشور: إن النهي في قوله (فلا يكن) كان نهي تكوين، بمعنى تكوين النفي عكس أمر التكوين الذي هو بمعنى تكوين الإثبات، مثل تكوين نفي الجزع عن صدره بحالة نهي العاقل المدرك للخطاب، عن الحصول في المكان. لذلك جاء في نفي الحرج بصيغة نهي الحرج عن أن يحصل في صدر النبي صلى الله عليه وسلم.
وجعل صاحب الكشاف النهي متوجهاً في الحقيقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم - أي نهي عن المبالاة بالمكذابين بالقرآن، والغم من صنيعتهم، وجعل النهي في ظاهر اللفظ متوجهاً إلى الحرج للمبالغة في التكليف باقتلاعه من أصله^(٣).

(١) المرجع نفسه: الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٣.

(٢) مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ٨١.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٨، ص ١٣.

يتبين لنا مما سبق أن النهي عند البلاغيين يقسم إلى قسمين حقيقي، وهو ما كان على سبيل الاستعلاء، من الأعلى إلى الأدنى، وبلاغي أو مجازي يفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال بخروجه عن مقتضى الظاهر.

لذلك فإن من الصيغ التي يأتي عليها النهي ما يأتي:

أولاً: النهي بصيغة الأمر:

نعلم بداية أن الأمر يكون بصيغة (افعل) والنهي يكون بصيغة (لا تفعل) بأداة النهي والفعل المضارع المجزوم، بيد أن هناك تقاطعاً وتناغماً بين الصيغتين، ويبدو جلياً عند العلماء حين وضعوا حداً للأمر والنهي بقولهم: إن الأمر هو أمر بالفعل، والنهي هو أمر بترك الفعل بمعنى: أن النهي هو ضد الأمر وهذا ما أشار إليه ابن الحاجب في معرض حديثه عن أدوات الجزم بقوله: ولام الأمر المطلوب بها الفعل، و (لا) النهي المطلوب بها الترك^(١).

ولكي نتبين ذلك فإن من شواهد النهي بصيغة الأمر الفعل (أعرض) و (عظهم^(٢))

وذلك في قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - في سورة النساء: "أُولَئِكَ الَّذِينَ

يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا" (النساء: ٦٣).

فلقد كان خطاب الأمر في شأن المنافقين وأراد الله بما في قلوبهم الكفر الذي أبطنوه،

فجاءت الآية بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالإعراض عن أولئك المنافقين وتركهم.

وحقيقة الإعراض عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه، مشتق من العُرض

بضم العين وهو الجانب، فعمل أصل الهمزة في فعل (أعرض) للدخول في الشيء، أي دخل

في عرض المكان، أو الهمزة للضرورة، أي صار ذا عرض، أي جانب، أي أظهر جانبه

(١) محمد رضي الدين الاسترأبادي ابن الحاجب: كتاب الكافية، ص ٨١.

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧، مادة (وعظ).

لغيره ولم يظهر له وجهه، ثم استعمل استعمالاً شائعاً في الترك والإمساك عن المخالطة والمحادثة، لأنه يتضمن الإعراض دائماً يقال: أعرض عنه، كما يقال: صدّ عنه.

أما الوعظ: فهو الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال، والاسم منه الموعظة وتأتي في إيلاخ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- بكل وسيلة إلى الإرشاد والهدى شأن الناصح لهم^(١).

ومثل ذلك قوله الله مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم-: "فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى

عَنْ ذِكْرِنَا وَكَمْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" (النجم: ٢٩).

لقد أمر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- بالإعراض عن الضالين الذين أعرضوا عن القرآن الكريم، والإعراض والتولي في هذه الآية مستعمل في مجازة؛ فأما الإعراض فهو مستعار (لترك) المجادلة أو (لترك) الاهتمام بسلامة الضالين، وحقبة الإعراض تعني: لفت الوجه عن الشيء، لأنه مشتق من العارض وهو صفحة الخد، لأن الكاره لشيء يصرف عنه وجهه.

وجيء بالاسم الظاهر في مقام الإضمار فقيل (أعرض عن من تولى عن ذكرنا) دون: (فأعرض عنهم) لما تؤذن به صلة الموصول من علة الأمر بالإعراض عنهم^(٢).

ونرى أن النهي بصيغة الأمر قد جاء في خطاب الله لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-

قوله تعالى: "يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ" (هود: ٧٦).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٣، ص ١٠٨.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج٢٧، ص ١١٥-١١٦.

قال الزمخشري في الكشاف: إن الملائكة قالت لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-

(أعرض عن هذا)، أي؛ الجدل، وإن كانت الرحمة بدينك فلا فائدة فيه (إنه قد جاء أمر

ربك)^(١).

وأما قوله تعالى ما جاء على لسان عزيز مصر مخاطباً سيدنا يوسف -عليه السلام:-

"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" (يوسف: ٢٩).

فلقد حمل فعل الأمر (أعرض) معنى (النهى)، فقال الزمخشري عن معنى (أعرض

عن هذا) الأمر، اكتمه ولا تحدث^(٢).

كما وردت آيات كثيرة فيها فعل الأمر (أعرض) الذي يحمل معنى (النهى أو الترك)

لقوله تعالى: "فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مِنْ نَظْرٍ" (السجدة: ٣٠)، وقوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" (الأعراف: ١٩٩)، وقوله: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"

(الحجر: ٩٤).

كما قد يكون لفظ الأمر دالاً على النهي بصيغ مختلفة وشاهد ذلك الفعل (ذر) في قوله

تعالى: "وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" (الأنعام: ٧٠)

أما الصيغ الأخرى للفعل ذر فهي:

- (ذرنا): قوله تعالى: "وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ

وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ" (التوبة: ٨٦).

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢) المرجع نفسه: ج ٢، ص ٣١٥.

- (ذروني): قوله تعالى: "فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ" (القلم:

٤٤) وقوله: "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا" (المدثر: ١١).

- (ذروا): قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ"

(البقرة: ٢٧٨).

- (ذروني): قوله تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ عُرْبَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" (غافر: ٢٦).

- (ذروه): قوله تعالى: "قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ"

"(يوسف: ٤٧).

- (ذرههم): قوله تعالى: "فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيُلْبُؤًا حَتَّى يَأْتُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ" (المعارج: ٤٢).

من الواضح أن الفعل (ذر) وجميع الصيغ الواردة في الآيات السابقة تحمل معنى

الترك أو الكف أو المنع، فعلى سبيل المثال لا الحصر لو أخذنا قوله تعالى: "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

وَحِيدًا" (المدثر: ١١) نجد أن القرطبي في تفسير هذه الآية يقول: إن الله خاطب النبي صلى

الله عليه وسلم- في شأن الوليد بن المغيرة الذي خصه الله تعالى بكفر النعمة وإيذاء الرسول -

صلى الله عليه وسلم- وكان يقول عن نفسه: إنه الوحيد بن الوحيد، ليس لي في العرب، ولا

لأبي المغيرة نظير بزعمه، فخاطب الله سيدنا محمداً : ذرني وحدي معه، فأنا أجزيك في

الإنبياء منه عن كل منتقم، وإني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه أحد، فأنا أهلكه، ولا أحتاج إلى ناصر في إهلاكه" (١).

ومن شواهد النهي بلفظ الأمر الفعل (احذر) وصيغته المتعددة فقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم -: "وَإِذَا مَرَأَتُهُمْ كُفِرَتْ بِكُمْ وَابْتَغَى الْكُفْرَ فَاسْتَأْذِنُوا لَهَا لِمَا كَفَرَتْ وَأَنْتُمْ لَسَاءٌ بِمَا كَفَرَتْ" (النساء: ١٥).
خَشِبُ مُسْتَدَةً يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (المنافقون: ٤).

فالشاهد في هذه الآية الفعل (احذر)، ففي هذا الفعل الذي يتضمن النهي وجهان:

الأول: احذر يا محمد أن تثق بقول المنافقين أو تميل إلى كلامهم.

والثاني: فاحذر مما يلبسهم لأعدائك وتخذيهم لأصحابك (٢).

ويكون النهي بلفظ الأمر الذي يفيد معنى (ذر) أو (دع) كما في قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام -: "وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ مَرَهُوا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ" (الدخان: ٢٤).

يقول ابن عاشور: يجوز في الآية وجهان:

الأول: أن الله أعلم سيدنا موسى - عليه السلام - حين أمره بالإسراء بأن يضرب البحر بعصاه فينفلق عن قعره اليابس حتى يمر بنو إسرائيل، لذا كان الأمر (اترك) بأن لا يخشى بقاءه منفلقاً فيتوقع أن يلحق به فرعون، بل يجتاز البحر ويتركه، فإنه سيطغى على فرعون وجنده فيغرقون، ولذلك في الكلام إيجاز تقديره: فإذا سريت بعبادي، فسنتح لكم البحر فتسلكونه، فإذا سلكته (فلا تخش أن يلحقكم فرعون وجنده واتركه) فإنهم مغرقون.

(١) محمد بن أحمد الأنصاري (القرطبي): تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) المرجع نفسه: ج ١، ص ٣٢.

الثاني: أي وقتلنا له: اترك البحر رهواً، أي سيدخله فرعون وجنده، ولا يخرجون منه، لأن في بقائه مفروقاً حكمة أخرى، وهي دخول فرعون وجنده في طرائقه طمعاً منهم أن يخلقوا موسى وقومه، حتى إذا توسطوه انضم عليهم فتحصل فائدة إنجاء بني إسرائيل وفائدة إهلاك عدوهم.

وعلى الوجهين (فالترك) مستعمل مجازاً في عدم المبالاة بالشيء كما يقال: (دعه) يفعل كذا (وذره) ^(١).

وعلى هذا فإن النهي كما جاء عند صاحب البرهان في وجوه البيان يكون على إحدى الوجهين، ما أمرت أن تعمل، فيخص باسم الأمر، أما الآخر فهو ما أمرت بأن يترك، فيسمى نهياً ^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٥، ص ٣٠٠.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٩٧م، ص ٢٧٥.

ثانياً: النهي بلفظ الرجاء (لعل)

تناول النحويون استعمال (لعل) كثيراً، فقال البصريون إنها تستعمل للترجي والتوقع، في حين جعلها الكوفيون للاستفهام، غير أننا نلاحظ أن لعل في خطاب القرآن للأنبيا لا تأتي كما في استعمال النحويين، وتخرج تلك اللفظة إلى دلالة النهي كما جاء في تفسير قوله الله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم- في سورة الكهف: "فَلَمَّا بَاخَعْتُمْ سِكِّتَ عَلَى أَنفُسِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" (الكهف: ٦).

إن (لعل) حقيقتها إنشاء الرجاء والتوقع، وتستعمل في الإنكار والتحذير على طريقة المجاز المرسل لأنها لازمان الأمر المكروه، وهي هنا مستعملة في (تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم- من الاغتمام والحزن على عدم إيمان من لم يؤمنوا من قومه، والمعنى فسي ذلك يكون تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم- لقلّة الاكتراث بهم^(١)).

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: "لَمَّا بَاخَعْتُمْ سِكِّتَ إِلَهُكُمْ أَن تَقُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تَقُولُونَ آمِينَ" (الشعراء: ٣) فالخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم- في حثه على ترك الأسف من ضلال المشركين وترك تساؤله عن استمرار إعراض المشركين عن الإيمان وتصديق القرآن^(٢). كما قال تعالى: "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ" (فاطر: ٨).

ويجعل ابن عاشور قوله تعالى: "فَلَمَّا تَأْمُرُكَ بِعُضِّ مَائِيحِي إِلَيْكَ وَضَائِقٍ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ" (هود: ١٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٢٥٤.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٧، ص ٩٣.

نظير قوله: "لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين: فقال: والتوقع المستفاد من (لعل)

مستعمل في تحذير من شأنه التبليغ، ثم يجوز جعل (لعل) مسبوقاً بأداة استفهام حذف،

والتقدير (ألعلك تارك)، ويحمل هذا الاستفهام معنى النفي للتحذير جاعلاً المعنى: تحريك همة

المخاطب وإيهاب همته لدفع الفتور عنه، فليس في هذا تجويز ترك النبي صلى الله عليه

وسلم - تبليغ بعض ما يوحى إليه، وذلك البعض هو ما فيه دعوتهم إلى الإيمان وإنذارهم

بالعذاب وإعلامهم بالبعث كما يدل عليه قوله تعالى في آية أخرى: "وَإِذْ أَلَمْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا

أَجِيبْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكَ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (الأعراف: ٢٠٣)

والمعنى تحذيره - عليه الصلاة والسلام - عن التأثر بعنادهم وتكذيبهم واستهزائهم، ويستتبع

ذلك تأييس المشركين من تركه ذكر البعث والإنذار بالعذاب، فالخطاب مستعمل في حقيقته

ومراد منه مع ذلك علم السامعين بمضمونه (١).

ويرى الشنقيطي في أضواء البيان أن (لعل) في قوله تعالى: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسًا" أنها

جاءت موضع (النهي) كأنه قيل لا تبخع (٢).

ويميل الدارس إلى رأي ابن عاشور بأن (لعل) في الآيات السابقة تستعمل في التحذير

تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وتحريكاً لهمته لدفع الفتور عنه، إذ إن (لعل) تستمد

معناها في الخطاب القرآني من السياق.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج ١٢، ص ١٦.

(٢) الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ج ٣، ص ٢٠١.

الثالث: النهي للتنزيه:

يعد النهي مصدراً رئيساً من مصادر التشريع الإسلامي، ولما كان الأنبياء معصومين عن الخطأ وهم مبتعدون عن ارتكاب الأفعال المنهي عنها لهذا جاء الخطاب القرآني تشريعاً للأنبياء.

ومن الأدلة على وجود صيغة النهي التي أفادت التنزيه في الخطاب القرآني للأنبياء قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - في سورة المدثر: "وَأَتَمَّنُ تَسْتَكْثِرُ" (المدثر: ٦).

لقد أول صاحب (الكشاف) هذه الآية التي خوطب بها النبي بقوله: إن النهي هو نهى تنزيه، جاء خاصاً بالنبي - صلى الله عليه وسلم - بحيث يكون المعنى: ولا تعط مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير أو أنه نهى عن الاستغزار؛ بمعنى أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب^(١).

غير أن القرطبي في تفسيره قد أول تفسير هذا النهي بأحد عشر تأويلاً وهي:

- الأول: ولا تمنن على ربك بما تتحملة من أنقال النبوة، كالذي يستكثر ما يتحملة بسبب [الغير].

- الثاني: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، وهذا حرمة الله على رسوله لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق، وأباحه لأمته.

- الثالث: لا تضعف أن تستكثر من الخير.

- الرابع: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك.

- الخامس: لا تمنن على الله بعملك فتستكثره.

(١) الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص ١٨١.

- السادس: لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجراً تستكثر به.

- السابع: لا تعط مالك مصانعة.

- الثامن: إذا أعطيت عطية فأعطها لربك.

- التاسع: لا تقل دعوت فلم يستجب لي.

- الحادي عشر: لا تفعل الخير لتراثي به الناس.

ويرجح القرطبي قول ابن عباس فيقول: هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها: ولا

تعط لتأخذ أكثر ما أعطيت من المال^(١).

وقد يقال كيف تكون (لا) الناهية في قوله: (ولا تمنن تستكثر) والفعل (تستكثر) جاء

مرفوعاً، فالجواب كما أوله ابن هشام الأنصاري في مؤلفه (قطر الندى) يقول: واعلم أنه لا

يجوز الجزم في جواب النهي إلا بشرط أن يصح تقدير شرط في موضعه مقرون (بلا) النافية

مع صحة المعنى.

وعلق ابن هشام على هذه المسألة بأمثله منها قولك: "لا تكفر تدخل الجنة" و "لا تدن

من الأسد تسلم" فإنه لو قيل في موضعها "إن لا تكفر تدخل الجنة" و "إن لا تدن من الأسد

تسلم" صح، بخلاف "لا تكفر تدخل النار" و "لا تدن من الأسد يأكلك" فإنه لا يصح

أن يقال: إن لا تكفر تدخل النار" و "إن لا تدن من الأسد يأكلك"؟

ويقول ابن هشام: ولذلك أجمعت السبعة قراء على الرفع في قوله تعالى: "ولا تمنن

تستكثر" لأنه لا يصح أن يقال: "إن لا تمنن تستكثر" وليس هذا بجواب، وإنما هو في موضع

نصب على الحال من الضمير في (تمنن) فكأنه قيل: ولا تمنن مستكثراً، ويصبح معنى الآية:

(١) القرطبي: تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٣٠.

أن الله تعالى نهى نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن أن يهيب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب" (١).

ونظير ذلك النهي، نهى التنزيه قوله تعالى في خطاب سيدنا نوح - عليه السلام - نهى تنزيهه: " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ " (هود: ٤٦).

فقال ابن عاشور عن هذا النهي: ثم إن كان نوح -عليه السلام- لم يسبق له وحي من الله بأن الله لا يغفر للمشركين في الآخرة، كان نهيه عن أن يسأل ما ليس له به علم، نهى تنزيهه لأمثاله لأن درجة النبوة تقتضي أن لا يقدم على سؤال ربه سؤالاً لا يعلم إجابته. وكان سؤاله -عليه السلام- المغفرة لابنه طلباً تخصيصه من العموم، ثم إن كان قول نوح (إن ابني من أهلي) إلى آخره تعريضاً بالمسؤول، وكان النهي في قوله (فلا تسألني ما ليس لك به علم) نهياً عن الإلحاح أو العود إلى سؤاله؛ وإن كان قول نوح -عليه السلام- مجرد تمهيد للسؤال لاختبار حال إقبال الله على سؤاله، كان قوله تعالى (فلا تسألني) نهياً عن الإفضاء بالسؤال الذي مهد له بكلامه، والمقصود من النهي تنزيهه عن تعريض سؤاله للرد" (٢).

(١) ابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، تحقيق ج. الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتتوير، ج ١٢، ص ٨٧.

رابعاً: النهي للتأديب

من الواضح أن الأنبياء قد أعدمهم الله لحمل الرسالة والقيام بتبليغها، وما صيغ النهي وورودها في الخطاب القرآني إلا تشريعاً كلف به الأنبياء كما أن تعدد السياق في الخطاب القرآني للأنبياء جاء ليؤدي حكماً شرعياً يسير عليه الأنبياء ومن ثم الأمة من بعدهم. كما أن صيغة النهي قد تخرج إلى معان مجازية منها التحذير، والنصح والإرشاد، والتسلية، والتنزيه، والتأديب، والتسوية...

فنهي التأديب إحدى تلك الصيغ المجازية وشاهد ذلك قوله تعالى في خطاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - "وَمَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَنْشَاءَ اللَّهُ" (الكهف: ٢٣).

ويقول الزمخشري: مؤكداً أن هذا النهي قد جاء على ثلاثة أوجه:

الأول: لا تقولنه إلا بأن يشاء الله: أي إلا بمشيئة الله ، وهو في موضع على الحال

يعني؛ إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله.

الثاني: ولا تقولن يا محمد ذلك القول إلا أن الله يعلم أنك تقولنه: بأن يأذن لك فيه.

الثالث: وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد، كأنه قيل: لا تقولنه أبداً،

ونحوه قوله: "وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا" (الأعراف: ٨٩) وهذا نهى

تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وذي

القرنين" (١).

(١) الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص ٤٧٩-٤٨٠.

خامساً: النهي للتسوية:

لقد خاطب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بشأن المنافقين بقوله: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ

أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة: ٨٠).

فهناك خلاف في التسوية عند المفسرين فيؤولون: "أو لا تستغفر لهم" إن كون ما بعد

(لا) مجزوماً يجعله في صورة النهي، ومعنى النهي لا يستقيم في هذا المقام، إذ لا يستعمل

فيها الأمر (استغفر)، من هنا فإن علماء الأصول لم يذكروا التسوية في صيغة النهي كما

ذكروها في معاني صيغة الأمر.

ويمكن تأويل (لا) على وجهين:

أولاً: أن تكون (لا) نافية، ويكون جزم الفعل بعدها بسبب كونه معطوفاً على فعل

الأمر (استغفر) مجزوم بلام الأمر المقدره على التحقيق وهو مذهب الكوفيين واختاره الأخفش

من البصريين، وابن هشام الأنصاري.

ويؤكد ابن عاشور: بأن ذلك هو الحق لأنه لو كان مبنياً للزم حالة واحدة، ولأن أحوال

آخره جارية على أحوال علامات الجزم فلا يبعد أن يكون ذلك التقدير ملاحظاً في كلامهم

فيعطف عليه بالجزم على التوهم.

ويتابع ابن عاشور قوله: ولا يصح كون هذا من عطف الجمل، لأنه لا وجه لجزم

الفعل لا كان كذلك، لا سيما والأمر مؤول بالخبر، ثم إن ما أفاده حرف التخيير قد دل على

تخيير المخاطب في أحد الأمرين مع انتفاء الفائدة على كليهما.

ثانياً: أن تكون صيغة النهي استعملت لمعنى التسوية، لأنها قارنت الأمر الدال على إرادة التسوية وبذلك يحمل المعنى على: أمرك بالاستغفار لهم ونهيك سواء، وذلك كناية عن كون الأمر والناهي لي بمغير مراده فيهم، سواء فعل المأمور أو فعل المنهي، ويجوز أن يكون الفعلان معمولين لفعل محذوف.

والتقدير: نقول لك: استغفر لهم، أو نقول: لا تستغفر لهم^(١).

(١) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٧٧-٢٧٨.

ثالثاً: صيغة النداء في الخطاب القرآني للأنبياء

لقد لقي النداء عند النحويين والبلاغيين اهتماماً واضحاً، فهذا سيبويه في كتابه المشهور (الكتاب) يفرد فصلاً كاملاً للنداء بدأه بقوله: (باب النداء) اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، المفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب،^(١) ثم ضمن هذا الباب مسائل متعددة أشبع من خلالها درس النداء.

وهذا ابن السراج خصص للنداء باباً سماه (باب النداء) ضمنه الحروف التي ينادى بها وهي (يا، أيا، وهيا، وأي، وبالآلف) وهذه ينبه بها المدعو، ثم ذكر أنواع المنادى^(٢). أما الزمخشري في (المفصل) فقد وضع النداء تحت (باب المنصوبات) فقال: المنصوب باللائم إضماره منه المنادى لأنك إذا قلت: (يا عبد الله) فكأنك قلت: يا أريد أو أعني عبد الله، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال، وصار بدلاً منه ولا يخلو من أن ينتصب لفظاً أو محلاً، ثم قال إن من المنادى: المنادى المبهم ويكون بـ (أي، واسم الإشارة) (فأي) يوصف بشيئين بما فيه الألف واللام مقحمة بينهما كلمة التنبيه، وباسم الإشارة كقولك: يا أيها الرجل^(٣).

وجعل ابن الحاجب في مؤلفه (الكافية في النحو) (المنادى) تحت (باب المنصوبات) وعرفه بقوله: المطلوب إقباله بحرف ناب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً^(٤).

(١) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٧، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) ابن السراج: الأصول في النحو، ج ١، ص ٣٢٩.

(٣) الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، د.ت، ط ٢، ص ٣٥-٣٩.

(٤) ابن الحاجب: الكافية في النحو، ج ١، ص ١٣١.

ولعل هذا الاهتمام بالنداء عند النحويين قادم إلى التفصيل في أحوال المنادى وأقسامه، فذهب جمهور النحاة على أن الأصل في المنادى هو النصب على تقدير فعل محذوف تقديره "أدعو" أو "أنادي"

كما اتجه بعض النحاة أمثال المبرد إلى أن حرف النداء (الياء) هي العاملة في المنادى النصب وليس الفعل وذلك بقوله: "اعلم أنك إذا دعوت مضافاً نصبته، وانتصابه على الفعل المتروك إظهاره، وذلك قولك: يا عبد الله، لأن (يا) بدل من قولك: أدعو عبد الله، وأريد، لا لأنك تخبر أنك تفعل، ولكن بها وقع أنك قد أوقعت فعلاً.

فإذا قلت: يا عبد الله، فقد وقع دعاؤك بعبد الله، فانتصب على أنه مفعول تعدى إليه فعلك"^(١). وأما ابن جني فقال: إن أداة النداء (الياء) تسد مكان الفعل، وذلك أن (هل) تتوب عن (أستقيم)، و (ما) تتوب عن (أنفي)، و (إلا) تتوب عن (أستثني) وتلك الأفعال النائية عنها هذه الحروف هي الناصبة في الأصل فلما انصرفت عنها الحروف إنما كانت طلباً للإيجاز، ورغبة في الإكثار أسقطت عمل تلك الأفعال، لئتم لك ما انتحيت من الاختصار، وليس كذلك (يا) وذلك أن (يا) نفسها هي العامل الواقع على زيد، وحالها في ذلك حال (أدعو)، (وأنادي) في كون كل واحد منهما هو العامل في المفعول"^(٢).

وأما عناية البلاغيين بالنداء فإنه تمثل في تعريفه، وذكر أدواته والمعاني التي يخرج إليها النداء لدواع تستبطن من السياق وقرائن الأحوال، ويظهر تباين النداء في تقسيماته لدى النحويين إذ خاضوا في تلك التقسيمات أكثر من البلاغيين، وحسبنا أن نتعرف إلى تعريف

(١) المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٠٢.

(٢) ابن جني: الخصائص، ص ٢٧٦-٢٧٧.

النداء عند بعض البلاغيين فيقول الخطيب القزويني في التلخيص: بأن النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء ينوب مناب (أدعو)، أو (أنادي) (١).

ويقول العلوي في الطراز: الأصل في النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك (٢).

وجعل البلاغيون النداء تحت الإنشاء الطلبي الذي يكون بأحد الحروف الثمانية وهي: (الهمزة، وأي، والياء، وأيا، وهيا، أي، آ، وا)، وعرفوا الطلب بأنه: كل ما طلبته من غيرك، ومنه بالإضافة إلى النداء الاستفهام والتمني والترجي والتعجب فإنك تطلب من الله بدعائك ومسألتك، وتطلب من المنادى الإقبال إليك أو نحوك (٣).

ولقد جاء خطاب النداء للأنبياء (بياء) في القرآن الكريم على الأوجه الآتية:

أولاً: ما كان في حق النبي صلى الله عليه وسلم - وجاء في صورتين:

١. نداء النبي صلى الله عليه وسلم - في فواتح السور بـ (يا أيها).

فمن الواضح أن أكثر حروف النداء وروداً في خطاب الأنبياء (الياء)، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - هو النبي المتفرد خطاباً بهذه الأداة، ولقد نودي النبي - صلى الله عليه وسلم - في فواتح خمس سور في القرآن الكريم، لم تكن لنبي غيره وهي:

١- سورة الأحزاب قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا" (الأحزاب: ١).

٢- سورة الطلاق قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

مَرَّةً كَدُّ" (الطلاق: ١).

(١) القزويني: التلخيص، ص ٩٧.

(٢) الطراز: العلوي، ج ٣، ص ٢٠.

(٣) إسحاق بن إبراهيم: البرهان في وجوه البيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

٣- سورة التحريم قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنِعْمَةِ رِزْقِهِ أَنْ تُرَاجِحَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

مَرْحِيمٌ" (التحريم: ١)

٤- سورة المزمل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ لِلَّيْلِ إِذَا قَلِيلًا" (المزمل: ١-٢)

٥- سورة المدثر قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ" (المدثر: ١-٢)

ولعل افتتاح تلك السور (بالنداء) يعد وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، فقال السيوطي في معترك الأقران عن افتتاح السور (بالنداء): "وهو من أحسن البلاغة عند البيانين، وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً قبل السامع، قبل الكلام ودعاه، وإلا أعرض عنه، وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأكملها، كالتحميدات، وحروف النداء..."^(١).

ويرى ابن عاشور بأن افتتاح سورة الأحزاب بخطاب النداء للرسول هو تحديد واجبات رسالته في تأدية مراد الله تعالى على أكمل وجه، دون أن يفسد عليه أعداء الدين أعماله، وهو نظير النداء الذي في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ" (المائدة: ٦٧) وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" (المائدة: ٤١) ويقول: "ونداء النبي - عليه الصلاة والسلام - بوصف النبوة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره، ولذلك لم يناد في القرآن بغير (يا أيها النبي)

(١) السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد الجاوي، ج ١، دار الفكر العربي، د.ت، ص ٧٤-٧٥.

وانظر: الإقتان في علوم القرآن: في فواتح السور، ص ٦٢٦.

أو (يا أيها الرسول) بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله (يوم لا يخزى الله النبي) (وقال الرسول يا رب) (قل الأنفال لله والرسول)، (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)^(١).
ويعلل الزمخشري ورود النداء في فواتح السور السابقة بقوله: (جعل الله نداء سيدنا محمد بالنبي والرسول وترك نداءه باسمه، كما قال (يا آدم)، (يا موسى)، (يا عيسى) (يا داود) كرامة له وتشريفاً، وتبويهاً بفضلها، فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله "محمد رسول الله" وما محمد إلا رسول" قلت: ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار"^(٢).

وأما قول الله تعالى في سورة التحريم: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك..." فإن افتتاح السورة بخطاب النبي بأداة النداء (الياء) إنما جاء تنبيهاً للرسول صلى الله عليه وسلم - على أن ما سيذكر بعده مما يهتم به النبي والأمة، ولأن سبب النزول كان من علاقته"^(٣).

ويؤكد ابن عاشور: أن افتتاح الكلام بالنداء إذا كان المخاطب واحداً، ولم يكن بعيداً يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام.

ويضيف قائلاً: والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفاً عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم نحو قوله تعالى: "يا أيها النبي"، أو تلطف وتقرب نحو: يا بني، ويا أبت، أو قصد أو تهكم نحو قوله تعالى: "وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون".

فإذا نودي المنادى بوصف هيئة من لبسة أو جلسة أو ضجعة، كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم - لعلي بن أبي طالب وقد وجده مضطجعاً في المسجد، وقد علق تراب المسجد بجنبه "قم يا أبا تراب".

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٤٩.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٢٤٨.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ٢٤٨.

وكذلك الأمر في خطاب الله لسيدنا محمد بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ" (المزمل: ١)

فنداء النبي هنا نداء تطف وارتفاق^(١). ومثل ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" (المدثر: ١)

فتعرض الزمخشري لبيان النداء فقال:

(يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد؛ يهتف به الرجل بما يناديه، وأما نداء القريب فله (أي والهمزة)، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤنن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً.

ويقول الزمخشري: فإن قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة —

(يا أيها) ما لم يكثر في غيره. قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة؛ لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعيده واختصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه من أمور عظام وخطوب جسام ومعان، عليهم أن يتيقضوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ^(٢).

ولقد كنت قد عرضت ورود النداء في فواتح السور بـ (يا أيها) في خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبينت آراء المفسرين الذين ذكروا أن هناك أغراضاً متعددة للنداء فمنهن من قال: إن غرض النداء في تلك الفواتح يعود إلى التوبيخ، أو التلطف أو الترفق أو التحبب أو الاعتناء به - عليه الصلاة والسلام -، ولكن بقي أن أشير إلى أمر التوبيخ الخارجي الذي طرقه النحاة فقال ابن يعيش: إن أصل النداء التصويت بالمنادى، ليقبل على المنادى^(٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٣) موفق الدين (ابن يعيش): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج ٨، ص ١١٨.

وذهب الفارابي إلى أن النداء يقتضى به أولاً من الذي نودي بالإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه لما يخاطبه به بعد النداء^(١)، وقال ابن عقيل: النداء هو الدعاء لعاقل وغيره بالياء وأخواتها ليجيب ويسمع ما تريده^(٢).

ولعل طرح النحاة للنداء يقودنا في الخطاب القرآني إلى مقصد النداء (بالياء) في خطاب الرسول وأرى أنه ربما يكون (النداء) تهيئة للرسول قبل البدء بالتشريع الرباني مستأنساً برأي هادي نهر في كتابه (التراكيب اللغوية في العربية) حين قال: إن صيغة النداء مركب اسمي قصد منه شد انتباه السامع لأمر يريده المتكلم^(٣).

والظاهر أن أداة النداء (الياء) قد دخلت على اسم في فواتح السور القرآنية في خطاب النبي، ولم تدخل على جملة، وذلك كما في حروف الاستفهام والنفي، فقال ابن جني في هذا المقام: "ألا ترى أنك إنما تذكر بعد (يا) اسماً واحداً، كما تذكره بعد الفعل المستقل بفاعله إذا كان متعدياً إلى مفعول واحد، كضربت زيداً، ولقيت قاسماً وليس كذلك حرف الاستفهام وحرف النفي، إنما تدخلهما على الجمل المستقلة فتقول: ما قام زيد، وهل قام أخوك، فما قويت (يا) في نفسها وأوغلت في شبه الفعل تولت بنفسها العمل.

فإن قلت: "فإنما تذكر بعد (إلا) اسماً واحداً أيضاً، قيل: الجملة قبل (إلا) منعقدة بنفسها، وإلا فضلة فيها، وليس كذلك (يا) لأنك إذا قلت: يا عبد الله تم الكلام بها وبمنصوب بعدها"^(٤).

(١) محمد أبو نصر (الفارابي): كتاب الحروف، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ص ٩٦.

(٢) بهاء الدين (ابن عقيل): المساعد على تسهيل الفوائد، شرح للإمام بهاء الدين على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، ج ٢، ص ٤٨٠.

(٣) هادي نهر: التراكيب اللغوية في العربية، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٨٧، ص ٢٩١.

(٤) ابن جني: الخصائص، ج ٢، ص ٢٧٧.

وبناءً على ذلك فإن النداء (بالياء) أيضاً يعد وسيلة لغوية توجيهية لأنه يحفز المرسل

إليه لردة فعل تجاه المرسل، وهذا ما قاله الشهري في مؤلفه (استراتيجيات الخطاب) (١).

ضارباً مثلاً من الخطاب الآتي:

قال المبرد: حدثني رجل من أصحابنا، قال: شهدت رجلاً في طريق مكة معتكفاً على

قبر، وهو يردد شيئاً ودموعه تكف من لحبته، فدنوت إليه لأسمع ما يقول، فجعلت العبرة

تحول بينه وبين الإبانة، فقلت له: يا هذا فرفع رأسه إلي، وكأنما هب من رقدة، فقال: ما

تشاء؟ فقلت: أعلى ابنك تبكي؟ قال: لا قلت: فعلى أبيك؟ قال: لا، ولا على نسيب ولا صديق،

ولكن على من هو أخص منهما، قلت: أو يكون أحد أخص من ذكرت؟ قال: نعم....." (٢).

والشاهد في هذا الخطاب هو استخدام المرسل أداة النداء (الياء) في قوله (يا هذا)

جاعلاً من تلك الأداة وسيلة لفت وشد انتباه المرسل إليه قبل أن يلقي إليه كلاماً.

وخلاصة القول إن لفواتح السور التي خوطب بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -

بأداة النداء (الياء) نرى أن الله - عز وجل - قد ميزه - عليه السلام - فلم يذكر اسمه البتة

تشريفاً وإكباراً وإعظماً له فلم يقل: (يا محمد، يا أحمد) بعكس خطابه لبقية الأنبياء الذين قال

فيهم سبحانه وتعالى: (يا موسى، يا عيسى، يا هود، يا داود، يا زكريا، يا يحيى...) ولعل

استخدم القرآن الكريم في خطابه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بدلاً من الاسم العلم؛

هي النبوة والرسالة، والصفة بالمزمل والمدثر" (٣).

٢. ما كان نداء للنبي صلى الله عليه وسلم - في غير فواتح السور، وذلك في آيات كثيرة

كقوله تعالى:

(١) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص ٣٦٠.

(٢) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٨١٠.

(٣) توفيق العامر: دلالات الخطاب بالنداء في النص القرآني، مجلة القرآن، نور، ٢٠٠٨، عدد ١، ص ٥.

- "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا"
(الأحزاب: ٤٥).

- وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"
(التحریم: ٩).

- وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الأنفال: ٦٤).

- وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا" (الممتحنة: ١٢).

- وقوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ مَرْسَلَتَهُ" (المائدة: ٦٧).

- وقوله: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ"
(المائدة: ٤١).

فأما النداء في سورة الأحزاب فقد تكرر خمس مرات، فاتحة السورة بدأت بالنداء

الأول بقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا"
(الأحزاب: ١).

فهذا النداء افتتح به الغرض الأصلي لبقية الأغراض، وهو تحديد واجبات رسالته -
عليه الصلاة والسلام- في تأدية مراد ربه تعالى على أكمل وجه دون أن يفسد عليه أعداء
الدين عمله^(١).

والنداء الأول هو نظير النداء الذي في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ"

(المائدة: ٦٧)، وكذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ" (المائدة: ٤١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٤٩.

أما النداء الثاني فقولته تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَنْزُوجِكِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمِنْهَا فِتْنَةٌ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا تَكْفُرِينَ" (الأحزاب: ٢٨).

وكان هذا النداء لافتتاح غرض التتويه بمقام أزواجه، واقتراجه من مقامه، وهو تنبيه على أن ما سينكر بعد النداء لما له مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه

سيرة تناسب مرتبة النبوة وتحديد تزوجه.

والنداء الثالث: قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا" (الأحزاب: ٤٥)

وكان الغرض التشريعي من هذا النداء هو افتتاح بيان تحديد تقلبات رسالته في معاملة الأمة، فناداه الله بأوصاف أودعها فيه من أجل التتويه بشأنه، وزيادة رفعة مقداره، وبين له أركان رسالته، فتلك هي الأغراض المتعلقة برسالته - عليه الصلاة والسلام - وبأحوال أمته وأحوال الأمم السالفة، وأما الأوصاف فهي: (شاهد، مبشر، نذير، داع إلى الله، سراج منير) وتتطوي جميعها على مجامع الرسالة المحمدية، فلذلك اقتصر عليها من بين أوصافه الكثيرة.

والنداء الرابع: افتتح في طالعة غرض أحكام تزوجه وسيرته مع نسائه - عليه الصلاة

والسلام - وكان ذلك النداء: هو بيان ما أحل له من الزوجات والسراري، وما يزيد عليه، وما

لا يزيد مما بعضه تقرير لتشريع له سابق، وبعضه تشريع له لمستقبل، ومما بعضه يتساوى

فيه النبي - عليه الصلاة والسلام - مع الأمة، وبعضه خاص به.

والنداء الخامس: في غرض تبليغه آداب النساء من أهل بيته ومن المؤمنات وهو قوله

تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَنْزُوجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ"

(الأحزاب: ٥٩) (١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٥٣-٢١٥.

ونلاحظ أن أداة النداء أُتبعَت بـ (أي) المضمومة والتنبيه، وهذا ما نجدُه كثيراً في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم - وأكد ابن هشام في حكم تابع المنادى بقوله: ويجري ما أفرد أو أضيف مقروناً بأل، نعت المبني وتأكيدُه وبيانه ونسقه المقرون بأل على لفظه أو محله، وما أضيف مجرداً على محله، ونعت على لفظه، والبدل المجرد (والنسق المجرد كالمنادى المستقل مطلقاً).

ويقول: وإن كان التابع نعتاً لأي تَعَيَّن رفعه على اللفظ كقوله تعالى: "يا أيها النبي" (١). ويقول القرطبي: ضُمَّت (أي) لأنه نداء مفرد، والتنبيه لازم لها (والنبي) نعت لأي عند النحويين إلا الأخفش فإنه يقول: إنه صلة (لأي) (٢)، ويقول عبده الراجحي إن استعمال (أي، وأية) في النداء كثيراً فيجب إفرادها، وإلحاق هاء التنبيه ووصفها (٣). ويرى الدارس أن استخدام ياء النداء في خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم - في فواتح السور وفي الآيات المختلفة، التي قال عنها المفسرون: بأنها تؤدي غرض التحبيب والتلطف والتهيئة والتنبيه، إنما وضعت في هذه الخطابات لنداء القريب بحيث يتناسب المعنى مع السياق القرآني، ولأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قريب من الله وليس ببعيد عنه، وقد ذكر ابن الحاجب "أن (ياء) هي أعم أدوات النداء وينادى بها القريب والبعيد على حد سواء" (٤).

(١) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص ٢١١-٢١٤.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١١٩.

(٣) عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٨٧.

(٤) ابن الحاجب: كتاب الكافية، ج ٢، ص ٣٨١.

ثانياً: ما كان خاصاً بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والمراد به العموم.

ومثل ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ" (الطلاق: ١)

قال الزمخشري في هذه الآية إن الله -عز وجل- قد خص النبي -صلى الله عليه وسلم- بالنداء وعم بالخطاب، لأن النبي إمام أمته وقوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه وإنه مدرة قومه (أي سيدهم) ولسانهم، الذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وساداً مسد جميعهم"^(١).

ويرى ابن عاشور بأن توجيه الخطاب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بتلك الصورة أسلوب من أساليب آيات التشريع المهتم به فلا يقتضي ذلك تخصيص ما يذكر بعده النبي مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ" (الأنفال: ٦٥).

ولأن النبي صلى الله عليه وسلم يتولى تنفيذ الشريعة في أمته، وتبيين أحوالها، فإن كان التشريع يشملها ويشمل الأمة جاء الخطاب مشتملاً على ما يقيد ذلك مثل صيغة الجمع في قوله هنا: "إذا طلقتم النساء".

وإن كان التشريع خاصاً بالرسول صلى الله عليه وسلم جاء بما يقتضي ذلك نحو: "يَا

أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ" (المائدة: ٦٧).

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ١١٧.

ويقول ابن عاشور: قال أبو بكر بن العربي: وهذا قولهم بأن الخطاب له لفظاً، والمعنى له وللمؤمنين، وإذا أراد الخطاب للمؤمنين لاطفه بقوله: "يا أيها النبي"، وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعاً له قال: "يا أيها الرسول" (١).

ثالثاً: نداء الأنبياء والرسل (نداء العين):

وشواهد ذلك قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ" (البقرة: ٣٥) وقوله: "قِيلَ

يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ" (هود: ٤٨) وقوله تعالى: "وَأَدْبَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا" (الصافات: ١٠٤).

وقوله: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ" (ص: ٢٦)

وقوله تعالى: "يَا مَرْكَرَبَا إِنَّا بَشَّرْنَاكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يُحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا" (مريم: ٧).

وقوله: "قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي" (الأعراف: ١٤٤).

وقوله: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ" (آل عمران: ٥٥).

ونكاد نلمح من آيات الخطاب السابقة أن الأنبياء جميعهم قد نودوا بأسمائهم، ولم يكن

ذلك تقليلاً من شأنهم . فكان نداء سيدنا آدم -عليه السلام- في سورة البقرة، نداء تنويه بذكر

اسمه بين الملأ الأعلى، وذلك لأن نداءه يستدعي إسماع أهل الملأ الأعلى لما سيخاطب به

-عليه السلام- وينتزع من هذه الآية أن العالم جدير بالإكرام بالعيش الهنيء، كما أخذ من

التي قبلها أنه جدير بالتعظيم" (٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٢٩٤.

(٢) المرجع نفسه: ج ١، ص ٤٢٨.

كما أن الأمر بقوله (اسكن) هو صيغة طلبية مستعملة كثيراً بعد النداء وتكون متممة

لأسلوب النداء.

"وقد كان الأمر (اسكن) مستعملاً في الامتتان بالتمكين والتخويل، وليس أمراً لسيدنا آدم -عليه السلام- بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة، إذ لا قدرة له على ذلك السعي فلا يكلف به"^(١).

كما أن نداء سيدنا نوح -عليه السلام- بقوله: "قيل يا نوح اهبط...." للتويه به -عليه السلام- بين المأ، وكان ذلك الخطاب إتماماً للمحاوره بما يسكن به جأشه وذلك عندما أجاب سيدنا نوح وجاء على لسانه قوله تعالى: "رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ" (هود: ٤٧).

ولقد كان مقتضى الظاهر في ذلك الخطاب أن يقول: قال يا نوح اهبط ولكنه عدل عنه إلى بناء الفعل للنائب ليجيء على وتيرة حكاية القصة المتقدمة في قوله تعالى: "وقيل يا أرض ابلغي ماءك".

وهذا النظم في الخطاب المبدؤ بالنداء في قوله: "قيل يا نوح..."

يقتضي أن الله بدأ نوحاً بالسلام والبركات وشرك معه فيهما أمماً ناشئين ممن هم معه"^(٢).

أما قوله تعالى مخاطباً سيدنا داود: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (ص ٢٦).

فنرى أن الغرض من النداء (بالياء) هو استرعاء وعيه واهتمامه بما سيقال له -عليه السلام- فالمعنى أنه: خليفة الله في إنفاذ شرائعه للأمة المجمعول لها خليفة، مما يوحي به إليه، ومما سبق من الشريعة التي أوحى إليه العمل بها"^(٣).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج ١، ص ٤٢٨.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٢، ص ٨٨-٩٠.

(٣) المرجع السابق: ج ٢٣، ص ٢٤٢.

"والمأمل لجملة "متمم النداء" في واقع الاستعمال اللغوي، في الآيات السابقة يجد أنها جملة غير مشروطة بشروط معينة، فقد جاءت جملة خبرية مثبتة" (١). ومثل ذلك الخطاب بالنداء قوله تعالى: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ" (مريم: ٧).

ففي هذا الخطاب (يا زكريا) حذف تقديره أي (قلنا) فاستجاب الله دعاءه فقال: (يا زكريا إن نبشرك) حيث تضمنت هذه البشري ثلاثة نقاط:

أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة لسيدنا زكريا -عليه السلام-.

والثاني: إعطاؤه الولد وهي قوة.

والثالث: أن يفرد بتسميته، أي لم نسّم أحداً قبل يحيى بهذا الاسم" (٢).

ولقد كان من إكرام الله لسيدنا زكريا -عليه السلام- "إذ جعل اسم ابنه يحيى ليكون مبتكراً. وللأسماء المبتكرة مزية قوة تعريف المسمى لقلة الاشتراك، إذ لا يكون مثله كثيراً مدة وجوده، وله مزية اقتداء الناس به من بعد حين يسمون أبناءهم ذلك الاسم تيمناً واستجادة. وهذا أيضاً أظهر في الثناء على سيدنا يحيى -عليه السلام- والامتنان على أبيه" (٣).

وأما نداء الله لسيدنا موسى -عليه السلام- بقوله: "قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ

بِرِسَالَتِي" (الأعراف: ١٤٤).

فقد جاء القول (قال يا موسى) لوقوعه في طريق المحاوراة والمجاوبة، وكان غرض النداء هو التأنيس وإزالة الروع عن سيدنا موسى -عليه السلام- (٤). وقد جاءت جملة متمم النداء مؤكدة في هذه الآية (إني اصطفتك) للاهتمام به إذ ليس محلاً للإنكار.

(١) حليلة عميرة: جملة النداء بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ص ٢٠.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٤٠٤.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ١٦، ص ٦٨-٦٩.

(٤) المرجع نفسه: ج ٩، ص ٩٥.

ولقد فضل سيدنا موسى على جميع الناس في زمنه، فالاستغراق في (الناس) لأنه مفضل يومئذ بمزية الكلام، ثم فرع على ذلك قوله (فخذ ما أتيتك) فهو تفريع على الإرسال والتكليم، والثاني تفريع على الامتنان، وكان الإخبار بـ (كن) بقوله (من الشاكرين) أبلغ من أن يقال (كن شاكراً) ^(١). وفي نداء الله لسيدنا عيسى -عليه السلام- "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ أَنْ قُلِي لِلنَّاسِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَبِّهِ" (آل عمران: ٥٥).

فالنداء فيه للاستئناس، وقدم الله في خطابه إعلامه بذلك، استئناساً له -عليه السلام- إذا لم يتم ما يرغبه من هداية قومه مع العلم بأنه يحب لقاء الله، وتبشيراً له بأن الله مظهر دينه لأن غاية هم الرسول هو الهدى، وإيلاج الشريعة، فلذلك قال له تعالى: "وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا" ^(٢).

رابعاً: نداء الواحد بلفظ الجمع (أو ما كان لفظه عاماً).

وشاهد ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ" (المؤمنون: ٥١).

إن الغرض من هذا النداء هو بيان كرامة الرسل عند الله ونزاهتهم في أمورهم الجسمانية والروحانية، فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية، والعمل الصالح نزاهة نفسانية.

والخطاب هنا يتعين تقدير قول محذوف اكتفاء بالقول، وهو استئناف ابتدائي أي: قلنا يا أيها الرسل كلوا، والمحكي هنا حكي بالمعنى، لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجهاً

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص ٩.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٥٨-٢٥٩.

للرسل في وقت واحد بضرورة اختلاف عصورهم، فالتقدير قلنا لكل رسول ممن مضى
ذكرهم: كل من الطيبات واعمل صالحاً إنني بما تعملون عليم.

وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام، وهي شائعة في خطاب الجماعات ومنه:
ركب القوم دوابهم" (١).

وفي هذا رد على ما قاله الزمخشري حين قال: هذا النداء والخطاب ليسا على
ظاهرهما وكيف؟ والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة، وحمل الزمخشري المعنى
فقال: إنما المعنى: هو الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك، ووصى به ليعتقد السامع
أن أمراً نودي له جميع الرسل، ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه" (٢).

وقال الزجاج: هذه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم - ودل الجمع على أن الرسل
كلهم كذلك أمروا، أي كلوا من الحلال" (٣).

ويقول القرطبي: سوى الله تعالى بين النبيين والمؤمنين في الخطاب، وذلك بوجوب
أكل الحلال وتجنب الحرام، ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى: "إنني بما تعملون
عليم" (٤).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٦٨.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٣٤.

(٣) الزجاج: إعراب القرآن، ج ٣، ص ٧٥.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ١٦٥.

خامساً: النداء بلفظ الفعل وبصيغته المختلفة

وذلك قوله تعالى: "وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (الشعراء: ١٠).

وقوله تعالى: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" (النازعات: ١٦).

وقوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا" (الصافات: ١٠٤).

وقوله تعالى: "وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم: ٥٢).

وقوله تعالى: "فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي يَا مُوسَىٰ" (طه: ١١).

وقوله تعالى: "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا" (النمل: ٨).

وقوله تعالى: "فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ" (القصص: ٣٠).

فالنداء في أصله: " هو الكلام الدال على طلب الإقبال، وهو أيضاً بالصوت لإسماع البعيد، فأطلق على طلب إقبال أحد مجازاً مرسلأ، وهو مشتق من الندى بفتح النون وبالقصر وهو بعد الصوت.

ولم يسمع فعله إلا بصيغة المفاعلة وليست بحصول فعل من جانبيين بل المفاعلة للمبالغة، وهذا النداء في قوله تعالى: " وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" (مريم: ٥٢)، هو الكلام الموجه إلى سيدنا موسى - عليه السلام - من جانب الله تعالى^(١).

وجاء النداء في أقاصيص رسله إنما هو تسليية للرسول - صلى الله عليه وسلم - أي وأذكر يا محمد، وائل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربك موسى - عليه السلام أن إئت القوم الظالمين^(٢). أما قوله تعالى: "فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي يَا مُوسَىٰ" (طه: ١١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، ج ٧، ص ٢٩١.

فبني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة، فإبهام المنادي يشوق سامع الآية إلى معرفته، فإذا فاجأه "إني أنا ربك" علم أن المنادي هو الله - سبحانه وتعالى- فتمكن في النفس كمال التمكن، ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن سيدنا موسى ناداه مناد غير معلوم له فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول.

وبهذا النداء علم سيدنا موسى -عليه السلام- أن الكلام موجه إليه من قبل الله تعالى لأنه كلام غير معتاد، والله تعالى لا يغير العوائد التي قررها في الأكوان إلا لإرادة الإعلام له عناية خاصة بالمغير.

والإخبار عن ضمير المتكلم بأنه رب المخاطب إنما جاء هنا لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطبه، فإن شأن الرب الرفق بالمربوب^(١).

وقال الزحيلي موضعاً النداء بقوله: أي نودي يا موسى، إن الذي يكلمك ويخاطبك هو ربك، فاخلع حذاءك، لأن ذلك أبلغ في التواضع، واقرب إلى التشریف والتكريم، وحسن التأديب، إنك بالواد المطهر المسمى (طوى)^(٢).

نستنتج مما سبق أن بحث النداء عند النحويين والبلاغيين يُعدُّ ضرباً من الإنشاء الطلبي في خطاب الأنبياء، وإن ما نلاحظه أن (الياء) هي أداة النداء الوحيدة التي خوطب بها الأنبياء، وأنا رأينا أن تابع المنادي، أو ما سمي "متم النداء" قد جاء متبوعاً بالأمر أو النهي أو بجملة خبرية مؤكدة قوامها الطلب الذي خرج إلى غرض التنبيه والتهيئة والتلطف والترفق بالأنبياء، علاوة على أن (الياء) عند أكثر النحويين هي (للبعيد) في معناها غير أنها في خطاب الأنبياء نزلت منزلة القريب، وإلا كيف تكون للبعيد وهم أنبياء مرسلون غير غافلين

(١) الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص ٢٩١.

(٢) وهبه الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١، ج١٥، ص ١٨٩.

عن تبعات التكليف الرباني والتشريع الذي أوكله الله إليهم ليقوموا بتبليغه على أحسن وجه للأمم التي بعثوا لها.

وكيف تكون (الياء) في دلالتها للبعيد في خطاب الله للأنبياء وهم في حالة تواصل مع الله يستمعون إلى كلامه ويسمعونه ويقومون لله بالطاعة والتعبد أثناء الليل وأطراف النهار. وخالصة القول إن النداء في الخطاب القرآني للأنبياء اشتمل على كل من عناصر التواصل التي أجملها فيما يلي:

١- عنصر الحوار: فحقق ذلك للعنصر اتصالاً وترابطاً بين المخاطب والمخاطب ودليل ذلك

ما رأيناه في قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاٰمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (الأعراف: ١٥٨)

وكذلك قوله تعالى في خطاب سيدنا نوح - عليه السلام - : " قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا

وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ " (هود: ٤٨).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا عيسى - عليه السلام - : " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

نِعْمِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ نَكَلِمَةً النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُرِي الْأَكْثَمَ وَالْأَبْرَصَ

بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا

سِحْرٌ مُّبِينٌ " (المائدة: ١١٠).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى - عليه السلام - : " وَمَا تَلَكَ بِمِثْنِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ

عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى عَنِي وَلِي فِيهَا مَبْرَبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ فَهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ

حَيَّةٌ تَسْعَى " (طه: ١٧-٢٠).

ولا يقف هذا النداء عند الاتصال والترابط بل يتعدى ذلك إلى القرب والتحبب والتشويق والتشريف.

٢- صرف ذهن المنادى إلى تبليغ الرسالة والنهوض بأعبائها والقيام بها دون النظر إلى

العواقب، فمآل الأمر عند أولئك الرسل يرجع إلى الله وحده، وذلك قوله تعالى مخاطباً

سيدنا يحيى - عليه السلام - : " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " (مريم: ١٢) وقوله تعالى

مخاطباً سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - في قوله: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " (المائدة: ٦٧).

وقوله تعالى: " أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ " (المدثر: ١-٢)

وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (الأنفال: ٦٤).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا داود - عليه السلام - لاسترعاء وعيه واهتمامه بما سيقال: "

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَكَاتَّبَعِ الْهُوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن

سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ " (ص: ٢٦)

ويقول ابن عاشور في هذا السياق: وفرع على جعله خليفة أمر الله لسيدنا داود - عليه

السلام - بأن يحكم بين الناس بالحق، للدلالة على أن ذلك واجبه وأنه أحق الناس بالحكم

بالعدل، ذلك لأنه هو المرجع للمظلومين، والذي ترفع إليه مظالم الظلمة من الولاة، فإذا كان

عادلاً خشية الولاة والأمراء لأنه أَلَفَ العدل وكره الظلم، فلا يَفِرُّ ما يجري من رعيته كلما بلغه فيكون الناس في حذر من أن يصدر عنهم ما عسى أن يرفع إلى الخليفة فيقتص الظالم وأما إن كان الخليفة يظلم في حكمه فإنه يألف الظلم فلا يغضبه، إذا رفعت إليه مظلمة شخص ولا يحرص على إنصاف المظلوم" (١).

ونظير ذلك قوله تعالى: "يَا مُوسَى لَا تَخَفْ" (النمل: ٨) أي لا تخف يا موسى مما ترى—

فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجيهاً، ولا يخاف عندي الرسل والأنبياء" (٢).

٣- حق النداء (بياء) الإيجاز والاختصار أي البعد عن الإطالة في الخطاب كقوله تعالى: "

يَا مَرْكَرَبًا إِنَّا بَشَرِكْ بِغَلَامِ اسْمِهِ يَحْيَى" (مريم: ٨).

وقوله تعالى في خطاب سيدنا نوح -عليه السلام- في شأن ابنه: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (هود: ٤٦).

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنُحْسُ الْمَصِيرِ"

(التوبة: ١٥٤).

٤- صرف ذهن المنادى (وهم الرسل) إلى أكل الطيبات وعمل الصالحات وذلك قوله

تعالى: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ" (المؤمنون: ٥١)

٥- صرف ذهن المنادى إلى البشرى بالخير بعد أن ظهر ضعفه الضعف.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٢٤٣.

(٢) الزحيلي: التفسير المنير، ج١٩، ص ٢٦٥.

وانظر: الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦، ج٧-٨، ص ٣٣١.

وذلك بعد أن أظهر سيدنا زكريا ضعفه ونادى ربه مبيناً ذلك الضعف جاءته البشري
 فقال تعالى: " إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
 رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ
 آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا " (مريم: ٢-٧)

ومثل ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم: " فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ " (الصافات: ١٠١)
 وقوله تعالى: " وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ " (الصافات: ١١٢).

٦- حقق النداء تخيير النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- في أمر زوجاته- عليهم السلام-
 وذلك في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَرَوْا حِكْمًا إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا فَعَلَّيْنِ أَمْ كُنْتُمْ
 وَاسْتَرْحَمْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَمَرْسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
 مِمَّا كُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا " (الأحزاب: ٢٧-٢٩)

فنداء الله للنبي - صلى الله عليه وسلم في شأن زوجاته اللاتي أردن من رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم- توسعة في الرزق والنفقة بعد أن فتحت على المسلمين أرض خريطة
 وغنموا أموالهم، وكانت أرض بني النضير قبيل ذلك فيناً للرسول - صلى الله عليه وسلم "أن
 يخيرهن وبنين زوجاته بين إيثار الدنيا أو الآخرة.

لذلك كان افتتاح هذه الأحكام بندااء النبي - صلى الله عليه وسلم - بـ (يا أيها النبي)
تتبيه على أما ما سيذكره بعد النداء له مزيد اختصاص به وهو غرض تحديد سيرة أزواجه
معه سيرة تتاسب مرتبة النبوءة^(١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٣١٤-٣١٥.

الفصل الرابع

الصورة البلاغية في الخطاب القرآني

أولاً: الصورة التشبيهية

ثانياً: الصورة الاستعارية

ثالثاً: الصورة المجازية

رابعاً: الصورة الكنائية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أولاً: الصورة التشبيهية!

شهد مصطلح الصورة اضطراباً كبيراً في الدراسات الحديثة، وجوهر هذا الاضطراب

هو تحديد مفهوم الصورة، إذ كان للعلماء والباحثين آراء متباينة في تعريف الصورة وذلك حسبما تقتضيه حقول المعرفة المختلفة، ولعل شاهدنا في ذلك ما قاله كامل البصير في مؤلفه (بناء الصورة الفنية في البيان العربي).

"إن مفهوم الصورة الفنية لا يزال يضرب في عموميات من المسائل الفلسفية والدراسات النفسية فلا يستوي في حدود البحث النقدي مدلولٌ محدد تتشكل أسسه من التعبير اللفظي الذي يجسده ويمثله"^(١)، وليس أدل على ذلك من أن يختم البصير قوله: "فالصورة تتمرد على التحديد والحصر"^(٢). ويعزو مؤلف آخر صعوبة تحديد ذلك المصطلح بقوله: "إن الصورة من المفاهيم المختلف فيها ككثير من المفهومات الأدبية والنقدية، ويرى أيضاً أن مصطلح الصورة هو مصطلح وافد، لم يتفق البحث عليه اتفاقاً تاماً حداً ودراسة لأسباب مدرسية ومنهجية"^(٣).

ويؤكد نصرت عبد الرحمن ذلك بقوله: "اعترف أن مصطلح الصورة من المصطلحات النقدية الوافدة التي ليس لها جذور في النقد العربي، واختلفت الآراء في تحديد ذلك المصطلح"^(٤).

(١) حسن كامل البصير: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ص ٢٠.

(٢) حسن كامل البصير: المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٣) حسن محمد علي ربابعة: الصورة الفنية في شعر البحري، المركز القومي للنشر، اربد، ٢٠٠٠، ص ١٢.

(٤) نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، عمان، ط ٢، ص ١٢.

ويرجع بعض الباحثين إلى أن إشكالية تحديد مصطلح الصورة يعود إلى وظائفها وتقسيماتها المتعددة، فهذا واحد من الباحثين يقسم الصورة إلى أقسام متعددة منها؛ الصورة البصرية والصورة السمعية، والصورة الإيحائية، والصورة العقلية، والصورة الرمزية، والصورة الأسطورية، والصورة الشعرية، والصورة التشبيهية...^(١).

ويبدو أن تلك التقسيمات المتعددة للصورة كانت مستمدة من الشيء الذي يغلب عليها، فسميت الصورة الشمية، أو اللمسية، أو البصرية، أو الذوقية لأنها استمدت من تلك الحواس.

وربما تعود تسمية الصورة في بعض الأحيان إلى المادة اللغوية، وما ارتبطت بها من علاقة دلالية حين يقال: صورة تشبيهية، أو صورة استعارية، وأحياناً ينسبون الصورة إلى العقل فذهبوا إلى تسميتها بالصورة العقلية.

ويمكننا في هذا الفصل أن نحدد بعض ملامح الصورة التي تخدم دراستنا هذه، وأن نضع لها إطاراً، وذلك وفقاً لما جاء في معاجم اللغة، وآراء البلاغيين والنقاد ومفسري الآيات القرآنية التي وردت فيها الصورة البلاغية.

فالصورة لغة: جمعها صُور، وصور، وصُور، وقد صَوَّرَه فتصور، وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي.

وقال الجوهري: والصور (بكسر الصاد) لغة في الصور جمع صورة.

وقال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء

وهيئته، وعلى معنى صفته.

(١) نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دم، ص ٥٠-٧٠.

فيقال صورة الفعل كذا وكذا أي؛ هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي؛ صفته، وتجري

معاني الصورة كلها عليه، إن شئت ظاهرها أو هيئتها أو صفتها.

ورجل صَيْرٌ شَيْرٌ أي؛ حسن الصورة والشارة^(١).

وجاء في تاج العروس أن (الصورة) بالضم هي، الشكل والهيئة والحقيقة، وقال:

وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة، وجاء في القاموس، قال المصنف في البصائر

الصورة هي: ما ينتقش به الإنسان ويتميز بها عن غيره وذلك ضربان؛ ضرب محسوس

يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان. والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة

كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي ميز بها، وإلى الصورتين

أشار الله سبحانه وتعالى بقوله: "وَصَوَّرَكُمُ أَخْسَنَ صَوْرِكُمْ" (غافر: ٦٤)^(٢).

وأشار المعجم الوسيط إلى أن (الصورة) تقترب تماماً مما ورد عند ابن منظور

والزبيدي في معجميهما فقال: صَوَّرَهُ: جعل له صورة مجسمة، وفي التنزيل: "هُوَ الَّذِي

يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ" (آل عمران: ٦).

وصور الشيء أو الشخص: رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم أو الفرجون

و بآلة التصوير، والأمر: وصفه وصفاً يكشف عن جزئياته، وتصور الشيء: تخيله واستحضر

صورته في ذهنه، وتصور: تكونت له صورة وشكل^(٣).

(١) ابن منظور: لسان العرب: مادة (صور).

(٢) الزبيدي: شرح القاموس (تاج العروس)، مادة (صور).

(٣) أحمد الزيات (وآخرون): المعجم الوسيط، مادة (صور).

أما الصورة اصطلاحاً:

فقد عرفها إحسان عباس في كتابه (فن الشعر) بقوله: هي تعبير عن نفسية الشاعر وإنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام، ودراستها مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهر للقصيدة^(١).

ويرى عبد القادر الرباعي أن مفهوم الصورة مختلف فيها لدى أفرع المعرفة في العصر الحديث، ويقول: والصورة بالمفهوم الفني هي: أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن. شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن، وأما المجال التفصيلي للصورة فهي: تركيبية عقلية تحدث بالتناسق أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهري وآخر باطني، وإن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافظ والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة^(٢).

كما وردت كلمة (صورة) في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها :

قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (آل

عمران: ٦).

وقوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ نُصُورًا نَّاكُ" (الأعراف: ١١).

وقوله تعالى: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" (غافر: ٦٤).

وقوله تعالى: "هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ" (الحشر: ٢٤).

(١) إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٣٨.

(٢) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري، مكتبة الكتاني، اربد، ١٩٩٥، ص ٨٥-٨٦.

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾" (الانفطار: ٦-٨).

من هنا فإن معنى الصورة عند المفسرين ما يأتي: قال الألويسي في تفسير قوله تعالى: "هو الذي يصوركم في الأرحام" إن التصوير، هو جعل الشيء على صورة لم يكن عليها، والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف، أي أن الله يصوركم وأنتم في الأرحام مضع^(١). ويقول سيد قطب في معنى يصوركم: يمنحك الصورة التي يشاء؛ ويمنحك الخصائص المميزة لهذه الصورة، وهو وحده الذي يتولى التصوير، بمحض إرادته ومطلق مشيئته^(٢).

وأما معنى (صورناكم) في قوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم" فقد بين الألويسي معنى الآية في تفسيره (روح المعاني)، خلقنا أباكم آدم - عليه السلام - طيناً غير مصور ثم صورناه أبداع تصوير وأحسن تقويم^(٣).

وقوله تعالى: "وصوركم فأحسن صوركم" قال الزمخشري "إن الله لم يخلق حيواناً أحسن صورة من الإنسان، وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى: في أحسن تقويم^(٤). وبناءً على ما تقدم فإن المفسرين جعلوا (الصورة) تحمل في معناها قريبة من المعنى المعجمي ويكادون يجمعون على أن الصورة هي الشكل، والتمايز، والحسن، والجمال جاعلين الإنسان منفرداً في هيئته وشكله عن بقية المخلوقات بعد أن كان طيناً.

(١) الألويسي: روح المعاني، ج ٣، ص ٧٨.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٢، ص ٣٦٩.

(٣) الألويسي: روح المعاني، ج ٤، ص ٨٦.

(٤) الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٤٣٥.

ولعل إشارات المفسرين إلى تلك المعاني المتعددة للصورة قد يتبادر إلى أذهان بعض الدارسين، أن الآيات السابقة الذكر تحصر تلك الصورة (بالشكل)، لا بل قد يتبادر إلى الذهن أن القرآن فصل بين الشكل والمضمون، أو بين الشكل والجوهر فهذا ليس صحيحاً، لأن سياق الآيات الكريمة قد بينت أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وما العقل والإحساس والشعور إلا جزء يسير من مظاهر التكريم الرباني، وأن الجوهر هو الأصل يتلوها المظهر والشكل الذي يظهر تمايزه وتباينه عن سائر المخلوقات.

ويكاد يربط سيد قطب في التصوير الفني في القرآن بين الصورة والتصوير فيقول: التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة.

ويقول: ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل؛ كما أنه تصوير بالنعمة حيث تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن، والحس والخيال والفكر والوجدان^(١).

ولقد جعل الجرجاني في دلائل الإعجاز إشارة واضحة بل صريحة للصورة في إطارها الاصطلاحي بقوله: "الصورة هي تمثيل وقياس نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا.

(١) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٢-٣٣.

ويذكر الجرجاني في باب اللفظ والنظم أن الصورة: هي شكل ومضمون وصياغة إذ لا يفصل بينهم فيقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداعته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصناعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد المعنى"^(١).

مفهوم الصورة التشبيهية:

يعد التشبيه رأس علم البيان في البلاغة العربية الذي أولاه النقاد والبلاغيون عنايتهم الخاصة، ورعوه حق الرعاية، وتلمسوا مدلوله، وتوسعوا في بحثهم له من جوانب متعددة مستندين في آرائهم إلى أن التشبيه قد أخذ من واقع الحياة العربية ولغتها، وارتضوا لأنفسهم أن يكون التشبيه مبحثاً هاماً ورئيساً من مباحث علم البيان، كما فاضت شواهد التشبيه ينابيع تغذي أحاسيس المتلقين له، وليس أدل من ذلك على قول قدامة بن جعفر إن التشبيه كان "من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة"^(٢).

ولقد احتوت الصورة الفنية الصورة التشبيهية التي تصدرت علم البيان، وذلك لأنها كانت الأقرب إلى واقعهم الملموس حين نصبت علاقة المشابهة الحسية بين طرفي التشبيه، ومن ثم حصل لبس في مفهوم الصورتين ووضع حد لهما عند القدامى والمحدثين.

(١) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٢٥٤-٥٠٨.

(٢) قدامة بن جعفر: نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٥٨.

فالصورة الفنية في نظر البصير في كتابه (بناء الصورة الفنية) هي "ما يتماثل بواسطة الكلام للمتلقي من مدركات حساً، ومعقولات فهماً، ومتخيلات تصوراً وموهومات تخميناً، وأحاسيس وجدانا، وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركبة في الإنسان وعياً ومن غير وعي"^(١).

ومما ورد في تعريف الصورة التشبيهية قول الرباعي بأنها: "الصورة التي تجمع بين أشياء متماثلة، وأساس هذا التماثل كامن في النفس والشعور"^(٢).

ويرى نصرت عبد الرحمن أن الصورة التشبيهية: هي التي يتجسم فيها المعنى على هيئة علاقة بين حدين. فإذا قلنا: سعيد كأسد، فلا يعني هذا أن سعيداً يشبه الأسد في شكله بل نعني أن سعيداً قد حلّ بجنس الأسود ونال منها معناها وهو الشجاعة^(٣).

أما الصورة التشبيهية في القرآن فهي: "تلك الصورة التي لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء؛ بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية وتعمقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى حركة أو هيئة، وتجسمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد"^(٤).

ولما نظر النقاد إلى أن الصورة التشبيهية هي أحد أشكال البلاغة العربية، حيث إن بناء الصورة مستمد من طبيعة التشبيه. قال القيرواني في "العمدة إن التشبيه هو: صفة الشيء

(١) كامل حسن البصير: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ص ٢٦٧.

(٢) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ط٣، ص ٢٠٣.

(٣) نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية الشعر الجاهلي، ص ١٤.

(٤) محمد محمود القاسم: البلاغة القرآنية، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥، ص ٢٢٨.

بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة لكان إياه" (١).

ويقول أبو هلال العسكري: "التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب" (٢).

أدوات التشبيه:

بحث البلاغيون في أدوات التشبيه وقسموها إلى أسماء وأفعال وحروف، ونظر إلى أدوات التشبيه على أنها تعد من أركان الصورة التشبيهية، وعرفت هذه الأدوات بأنها "كل ما يتوصل إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه، وهي الكاف، وكأن، ومثل، وشبه، وما في معناهما كحكي، ونحو" (٣).

وقد ناقش بعض البلاغيين تلك الأدوات بتوسع فجعلوا تقسيمات التشبيه مبنية على هذه الأدوات فقالوا: تشبيه مرسل، وتشبيه مؤكد، كما قال أكثرهم بأن أدوات التشبيه لا تقف عند (الكاف وكأن) فحسب، بل إن حقيقة الأدوات كل ما كان في حكم المماثلة والمشابهة.

ومن شواهد أدوات التشبيه في خطاب الأنبياء التشبيه (بالكاف) قوله تعالى: "قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ افَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَعُتِبُوا وَلَا ضَرَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (الرعد: ١٦).

(١) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٧٢، ط ٤، ص ٢٨٦.

(٢) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢، ص ٢٣٩.

(٣) شرف الدين الطيبي: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢١٢.

فقد دخلت الكاف على المشبه به الذي أفاد نفي الخلق، إذ كان التعقيب على هذا التشبيه بقوله تعالى: " قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " ولعل من خصوصية أداة التشبيه (الكاف) في هذه الآية "أنها لم تأت في سياق نفي مماثلة خلق غير الله لخلقه، فتثبت بذلك مخلوقاً لهم، وإنما أتت لإنكار الخلق من أساسه، وهو ما تختص به الكاف في الدلالة"^(١).

وتختص كاف التشبيه بإتمام النعمة على الإطلاق نحو قوله تعالى في سورة يوسف: " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (يوسف: ٦).

فقد بين ابن عاشور في التحرير والتنوير أن الآية اشتملت على تشبيهين: الأول قوله تعالى: "وكذلك يجتبيك ربك" والإشارة في قوله (كذلك) إلى ما دلت عليه الرواية من العناية الربانية به، أي ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك في المستقبل فالتشبيه هنا، تشبيه تعليل، لأنه تشبيه أحد المعلولين بالآخر لاتحاد العلة.

ويقول: ثم إن الارتقاء النفساني الذي هو من الواردات الإلهية غايته أن يبلغ بصاحبه إلى النبوة أو الحكمة، فلذلك علم سيدنا يعقوب -عليه السلام- أن الله سيعلم سيدنا يوسف -عليه السلام- من تأويل الأحاديث، لأن مسبب الشيء مسبب عن سبب ذلك الشيء فتعليم التأويل ناشئ عن التشبيه الذي تضمنه قوله تعالى: "وكذلك".

(١) محمود موسى حمدان: أدوات التشبيه ودلالاتها واستعمالاتها في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٠.

أما التشبيه الثاني في قوله تعالى: "كما أتمها على أبويك من قبل" فهو تذكير له بنعم سابقة، وليس مما دلت عليه الرويا. ثم إن كان المراد من إتمام النعمة النبوة فالتشبيه تام، وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك، فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق" (١).

ومثل ذلك قوله تعالى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (يوسف: ٢٢).

وقوله تعالى: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ

مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف: ٢٤).

فالآيتان تبيينان أن التشبيه بالكاف يراد به مطلق الإحسان والإنعام على سيدنا يوسف -

عليه السلام- وهذا ما تمتاز به الكاف عن غيرها من أدوات التشبيه.

وأما قوله تعالى في سيدنا يونس -عليه السلام-: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ" (الأنبياء: ٨٨) فكاف التشبيه في "وكذلك" أي مثل ذلك الإنعاء ننجي المؤمنين" (٢).

أما حرف التشبيه (كأن) فقد ورد في خطاب الأنبياء حاملاً معاني متعددة، ومن الأمثلة

على ذلك قوله تعالى: "وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرَّ بِعَقْبَيْ يَأْمُوسَىٰ لَّا تَخَفْ إِنِّي لَا

يَخَافُ الَّذِي الْمُرْسَلُونَ" (النمل: ١٠).

وقوله تعالى: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرَّ بِعَقْبَيْ يَأْمُوسَىٰ أَقْبَلْ وَكَأ تَخَفْ

إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" (القصص: ٣١).

فقد جاء عند أهل اللغة أن (كأن) تحمل المعاني الآتية (١):

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٧، ص ١٣٣.

أولاً: التشبيه وهذا المعنى أطلقه الجمهور.

ثانياً: الشك والظن ومثل ذلك: كأنك بالشتاء مقبل أي: أظنه مقبلاً

ثالثاً: التحقيق.

رابعاً: التقريب

ولذلك فقد جاء التشبيه في الآيتين (كأنها جان) إذ شبه الله العصا بالحية، والجان الحية الصغيرة السريعة الحركة، فولى سيدنا موسى مديراً، وكان ذلك منه -عليه السلام- لخوف لحقه. قيل: لمقتضى البشرية، فإن الإنسان إذا رأى أمراً هائلاً جداً يخاف طبعاً، أو لما أنه (ظن) أن ذلك الأمر أريد وقوعه به. ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: (يا موسى لا تخف) أي من غيري أي مخلوق كان حية أو غيرها ثقة بي واعتماداً علي، أو لا تخف مطلقاً على تنزيل الفعل منزله اللازم، وهذا إما لمجرد الإيناس دون إرادة حقيقة للنهي، وإما للنهي عن منشأ الخوف وهو الظن^(١).

وفي تعليق آخر على هذا التشبيه بـ (كأن): أن تشبيه العصا بالثعبان الغليظ هو تصوير لإحساس سيدنا موسى بهذا الشبه الذي تمكن منه، حتى كان يعتقد أن العصا قد خرجت طبيعتها الجمادية إلى الحيوانية، فصارت حية فعلاً، بدليل أنه (ولى مديراً ولم يعقب) فالظن هنا إحساس بكمال المشابهة وليس هو الظن هنالك الذي هو أضعف عما هنا في الإحساس بهذه المشابهة^(٢).

(١) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) الأوسى: روح المعاني، مج ١٠، ص ١٦٣.

(٣) محمد موسى حمدان: أدوات التشبيه، ص ١٨٢.

ومن شواهد التشبيه (بكأن) الذي جاء بمعنى التقريب قوله تعالى: "وَمَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (فصلت: ٣٤).

فالتشبيه في قوله تعالى: "كأنه ولي حميم" تشبيه في زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبة، فوجه الشبه هو المصافاة والمقاربة، وهو معنى متفاوت الأحوال، أي: مقول على جنسه بالتشكيك على اختلاف تأثر النفس بالإحسان، وتفاوت قوة العداوة قبل الإحسان، ولا يبلغ مبلغ المشبه به، إذ من النادر أن يصير العدو ولياً حميماً، فإن صار فهو لعوارض غير داخلية تحت معنى الإسراع الذي أذنت به (إذا الفجائية) ووجه الجمع بين (ولي حميم) أنه جمع خصلتين كلتاهما لا تجتمع مع العداوة وهما خصلتا الولاية والقربان^(١).

ولقد أكد الجويني في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن) أن التشبيه في هذه الآية هو للمقاربة، حيث أكد الصفة بتعدد اللفظ ليعطي دلالة على قوة السبب في وقوع التشبيه، وحضاً على استعماله والأخذ بمثاله^(٢).

أقسام التشبيه:

من الواضح أن أركان التشبيه أربعة: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، وجه الشبه. فالمشبه والمشبه به هما طرفا التشبيه إذ لا يمكن حذفهما أو حذف أحدهما، وذلك لأنهما طرفان أساسيان في التشبيه، وبدونهما يخرج التشبيه إلى باب آخر من أبواب البيان هو باب الاستعارة، وقد جرى تقسيم التشبيه عند البلاغيين إلى الأقسام الآتية:

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٢) مصطفى الصاوي الجويني: الجمان في تشبيهات القرآن، ابن نايقا البغدادي، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص ٢٤٢.

أولاً: تشبيه محسوس بمحسوس.

وهذا التشبيه هو ما يدرك طرفاه (المشبه والمشبه به) بوساطة الحواس، وما ينبغي أن تغيب عن أذهاننا دور هذه الحواس من تأثير في النفس، إذ إن النفس تستقبل المحسوس وتستوعبه كونه من مادته.

ولقد قال عبد العزيز عتيق: والمراد بالحسي ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة؛ ومعنى هذا أنهما قد يكونان من المبصرات، أو المسموعات، أو في المذوقات، أو المشمومات، أو الملموسات^(١).

ومن أمثلة ذلك التشبيه قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام: "وَمَا تَلُكُ بِمِثْنِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَأَلْقَاهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" (طه: ١٦-٢٠).

فالصورة التشبيهية حسية بصرية تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى بأن جعل العصا حية، فكان طرف التشبيه الأول حسي (العصا) وهو المشبه، أما الطرف الآخر فهو المشبه به وهي (الحية) وهو حسي أيضاً.

ويقول ابن عاشور: وإبراز انقلاب العصا حية في خلال المحاوراة لقصد تثبيت قلب سيدنا موسى، ودفع الشك عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربة. لأن مشاهد الخوارق تسارع بالنفس بادئ ذي بدء إلى تأويلها، وتدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بسائر

(١) عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ٦٨.

خفي أو تخييل، فلذلك ابتدئ بسؤاله عما بيده ليقن أنه ممسك بعصاه حتى إذا انقلبت حية لم يشك في أن تلك الحية هي التي كانت عصاه^(١).

ولعل جمال الصورة التشبيهية بأن أدرك سيدنا موسى بحاسة البصر انقلاب العصا حية، وذلك عندما أمره الله بإلقاء العصا تثبيتاً له -عليه السلام-، ودفعاً للشك من خلال محاورته.

وأما غرابة الصورة التشبيهية تكمن في هذه المعجزة العظيمة حين انقلبت العصا حية تسعى، فيها من مظاهر الحياة الكاملة تأكل حيات السحرة الذين جمعهم فرعون، كما أن الصورة ليست مبتذلة بل فيها من الجدة والابتكار ما يحرك النفوس، وتبعث فيها الإحساس بقوة الله تعالى في جمعه بين طرفين مختلفين العصا والحية، ويستحيل الجمع بينهما في سنن الكون، وهذا مبعث جمال الصورة أيضاً، ذلك لمن كان له عقل يفكر به.

وأرى بأن الصورة حققت أسلوباً ترغيبياً لسيدنا موسى -عليه السلام- في المضي بدعوته بنشاط، وذلك لأن وقت الصورة المحسوسة والمائلة أمامه قد نشرت في نفسه جواً من الفرح والسرور بهذه المعجزة الباهرة، والتي أيده الله بها وكانت مثلاً واضحاً في زيف وضلال فرعون وسحرته.

ونظير هذا التشبيه: "فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" (الشعراء: ٦٣).

فطرفا التشبيه محسوسان، وهو تشبيه مرسل مجمل حيث ذكرت أداة التشبيه (الكاف) وحذف وجه الشبه.

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ١٧، ص ٢٠٤.

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً: " خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (التوبة: ١٠٣) الآية تتحدث عن قوم من المسلمين

تخلفوا عن غزوة تبوك لا لنفاقهم بل لكسلهم ثم ندموا على ذلك، فأمر الله سيدنا محمداً أن يأخذ من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهرهم من الذنوب، ثم أمره الله أن يصلي عليهم بمعنى أن يدعو لهم بالمغفرة.

فجعلت الصلاة نفس السكن والاطمئنان مبالغة وأصله كالسكن وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح التشبيه بليغاً^(١).

ثانياً: تشبيه معقول بمعقول

وذلك في قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم: "فَأَضْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

وَكَأَنَّكَ كَصَاحِبِ الْوَيْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدْمَرَكُمْ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّي لَبَدَّ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ"

(القلم ٤٨-٥٠).

تعد هذه الصورة التشبيهية واحدة من الصور التي شبه فيها معقول بمعقول في حين يوجه الله سبحانه وتعالى - سيدنا محمداً ويذكره بتجربة سيدنا يونس - عليه السلام - الذي استعجل وضجر من دعوة قومه، فطرفا التشبيه المشبه والمشبه به معقولان لا يدركان إلا بالعقل كتشبيه الإيمان بالحياة، والكفر بالموت.

فالله سبحانه وتعالى - يوجه نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى تحمل تكاليف

الدعوة بالصبر، وأن لا يضيق صدره، فضرب له مثلاً من إخوته الأنبياء السابقين وهو سيدنا

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفسير، مج ١، ص ٥٦٣.

يونس -عليه السلام- صاحب الحوت الذي استبطناً إيمان أهل قريته فتركهم وضاق صدره فتوجه إلى البحر والتقمه الحوت، ولولا أنه كان من المسبحين للبت إلى يوم يبعثون.

ويفصل القرآن الكريم تلك الصورة التشبيهية جاعلاً المشبه به صورة صاحب الحوت (سيدنا يونس) ماثلة أمام سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وكأنها واقعة في زمن ليس بعيداً عنه، ولقد كانت هذه الصورة مواساة وتثبيتاً للرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما يلاقيه من عناد وكفر وإعراض عن دعوته التي كلف بها من الله -عز وجل- كما كانت هذه الصورة المفصلة حافظاً قوياً مؤثراً في نفس سيدنا محمد لينهض بأعباء الدعوة دون كلل أو ملل أو ضجر.

ونظير هذا التشبيه قوله تعالى: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَكَأَنَّكَ تَسْتَعْجِلُ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهُ مَآ يُوْعَدُونَ كَمَا يُبَشِّرُونَا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَمَنْ لِيَلْهُكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ" (الأحقاف: ٣٥).

ويكاد هذا التشبيه يكون قريباً من التشبيه السابق إذ ترى مشاهد الصورة المفصلة في المشبه حيث يدعو الله النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكون صابراً صبراً صبر أولو العزم من إخوته الأنبياء الذين سبقوه في تحمل مشاق الرسالة والدعوة، وفي هذا التشبيه تسلية وتصبيراً لسيدنا محمد، ثم تكون عاقبة الذين كفروا وأعرضوا المصير الأبدي بالعذاب الشديد.

وقد تضمن المشبه به عنصرين مفصلين:

الأول: صورة أولي العزم شاخصة بكل تفاصيلها أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث أخبره الله حالهم في تحمل المشاق الكبيرة وثباتهم على الدعوة، وينبغي عليك أن تصبر كما صبر أولئك الرسل -عليهم السلام-. أما الآخر: صورة تهديد الكافرين بالمصير المحتوم وهو الهلاك.

ولقد كثر التشبيه على هذه الصورة في القرآن الكريم لأن " مثل هذا الأسلوب من التشبيه في القرآن يتوجه إلى القضايا الخطيرة ذات الشأن، فالقرآن لا يأتي بهذا الأسلوب إلا حينما يكون هناك أمر يراد تقريره وتثبيته في النفوس، وهذا ما يجعل القرآن بتشبيهاته يختلف عن كثير من التشبيهات عند الناس"^(١).

ونظير ذلك التشبيه مخاطباً سيدنا إبراهيم قوله تعالى: "وَأَدْبَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (الصافات: ١٠٤-١٠٥).

وفُسرَت هذه الآية أن سيدنا إبراهيم قد صدق الرؤيا من إيقاع الذبح بإبنة إسماعيل إلى أن نهاه الله عن إكمال مثالها، وجعل ذبح الكبش تأويلاً لذبح الولد الواقع في الرؤيا. ثم أخبر الله -عز وجل- بقوله "إنا كذلك نجزي المحسنين" بمعنى؛ إنا نجزي المحسنين كذلك التصديق، وأنت منهم يا إبراهيم، ولما يتضمنه لفظ الجزاء من معنى المكافأة ومماثلة المجزي عليه، عظم شأن الجزاء بتشبيهه بمشبهه مشار إليه بإشارة البعيد المفيد بعداً اعتبارياً وهو الرفعة وعظم القدر في الشرف، فالتقدير: إنا نجزي المحسنين جزاء كذلك الإحسان الذي أحسنت به بتصديقك الرؤيا، مكافأة على مقدار الإحسان، فالمشبه والمشبه به معقولان، إذ ليس واحد منهما بمشاهد ولكنهما متخيلان بما يتسع له التخيل المعهود عند المحسنين مما يقتضيه اعتقادهم في وعد الصادق من جزاء القدر العظيم"^(٢).

ثالثاً: تشبيه محسوس بمعقول

من الملاحظ أن هذا التشبيه قد واجه الرفض عند بعض البلاغيين، فقال الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن): إن هذا التشبيه قد منع عند البعض وذلك لأن الحس طريق

(١) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، دار الفرقان للنشر، عمان، ٢٠٠٧، ط ١١، ص ١٠٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ١٥٤-١٥٥.

إلى العقل، والمحسوس أصل المعقول، فلو شبهنا المحسوس بالمعقول لشبهنا الأصل بالفرع، وهذا يستلزم جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً وهو غير جائز^(١).

أما الجاحظ، فكانت وجهة نظره في هذا التشبيه أنه جائز، حيث بنى نظره على أن حاسة البصر تأتي لتصوير معنى في الذهن، وقد ضرب مثلاً من القرآن الكريم الذي كان محل خلاف البلاغيين وهو قوله تعالى: "طَلَمَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (الصفات: ٦٥).

فقال عن هذا التشبيه: حين شبه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين "وليس أن الناس رأوا شياطيناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين وكراهيته، وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإحاش والتنفير وبالإضافة والتفريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع الأمم، وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن"^(٢).

ويقول الجاحظ مضيفاً توضيحاً آخر عن هذا التشبيه: "فزع ناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كرية، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا: ما عني إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم إلا فسقه الجن ومردتهم، فقال أهل الطعن والخلاف: ليس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق، أو خبر صادق، ومخرج الكلام يدل على أن التخويف بتلك الصورة والتفريع منها، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ من الزجر في ذلك لنذكره"^(٣).

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص.

(٢) الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص ١٣١.

(٣) المرجع نفسه: ج ٣، ص ١٦٥.

ويرى فضل عباس في مؤلفه (البلاغة فنونها وأفنانها) "إن تشبيهات القرآن كلها لا تخلو عن كونها تشبيه محسوس بمحسوس أو معقول بمعقول اللهم إلا تشبهين اثنين"^(١). هما قوله تعالى: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" وقوله تعالى حين خاطب سيدنا موسى -عليه السلام: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرَّ يَعْصِبُ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ" (القصص: ٣).

لقد نظر فضل عباس إلى هذا التشبيه "على أن المشبه به مما لا يدرك بالحواس، ولكن لما كان ذلك مما لا تتكرر النفوس صورته، بل لا تجد نفساً إلا وتشمئز من هذه الصورة شبه به القرآن، وذلك إذا فسرنا الجان بذلك المخلوق من النار، ووجه الشبه الخفة وسرعة الحركة، وهو ما نختاره"^(٢).

ورأى بعض المفسرين أن هذا التشبيه "كأنها جان" هو تشبيه محسوس بمحسوس، إذ فسر سيد قطب المشبه به (الجان) بالحية الصغيرة بقوله: "وألقى موسى عصاه إطاعة لأمر مولاه، ولكن ماذا؟ إنها لم تعد عصاه التي صاحبها طويلاً، والتي يعرفها معرفة اليقين وأنها حية تدب في سرعة، وتتحرك في خفة، وتتولى كصغار الحيات وهي حية كبرى"^(٣).

ويؤكد ابن عاشور رأي سيد قطب فيقول: "والجان؛ ذكر الحيات وهو شديد الاهتزاز،

وجمعه جنان والتشبيه في سرعة الاضطراب"^(٤).

(١) فضل عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٠٧.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٩٢.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٢٢٨.

رابعاً: تشبيهه معقول بمحسوس:

إن هذه الصورة البلاغية لها تأثير واضح في النفس فمن شأنها أن تزيل ما يعلق بالنفس من شكوك أو غموض، وذلك عندما تصبح تلك الصورة ماثلة محسوسة أمام العين حقيقة حين صاغها العقل وألبسها لباس المحسوسات، وشاهد ذلك الآية الكريمة الآتية والتي فيها تأنيس لنفس المخاطب وهو سيدنا محمد حيث أمره الله - سبحانه وتعالى - أن يضرب للمشركين هذا المثل من الحياة الدنيا "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْمُرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا" (الكهف: ٤٥).

فلقد كان أمر الله لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن يضرب هذا المثل للمشركين المنهمكين في الحياة الدنيا وزخرفها حين غرت تلك الفئة الضالة الكافرة، ولتوضيح ذلك قال ابن عاشور: إن الحياة الدنيا تطلق على مدى بقاء الأنواع الحية على الأرض وبقاء الأرض على حالتها، فإطلاق أسم (الحياة الدنيا) على تلك المدة لأنها مدة الحياة الناقصة غير الأبدية لأنها مقدر زوالها، فهي دنيا.

وتطلق الحياة الدنيا على مدة حياة الأفراد، أي حياة كل واحد، ووصفها بالدنيا بمعنى القريبة، أي الحاضرة غير المستترة، كنى عن الحضور بالقرب، والوصف للاحتراز عن الحياة الآخرة وهي الحياة بعد الموت^(١)، (والكاف) التي هي أداة التشبيه في قوله (كماء) في محل الحال من (الحياة) المضاف إليه (مثل) أي اضرب لهم مثلاً لها حال أنها كماء أنزلناه، وأما اختلاط النبات فهو وفرته والتفاف بعضه ببعض من قوة الخصب والازدهار، والهشيم: هو المهشوم محطماً، والهشم، الكسر والتفتت^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٣١.

فالحياة الدنيا معقولة والماء محسوس، وتلك الصورة إنما جعلت لتكون محط تفكير

وتعقل وتدبر لمن أراد لنفسه الهداية والفلاح.

وقد علق الرازي على هذه الصورة التشبيهية التي طرفاها المعقول والمحسوس من جهة وجة الشبه قوله: "اعلم أن المقصود اضرب لهم مثلاً يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها، والكلام متصل من قصة المشركين الذين افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين (مثل الحياة الدنيا) ثم ذكر المثل (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) وحينئذ يربو ذلك النبات، ويهتز ويحسن منظره كما قال تعالى: "فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ" ثم إذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات، وصار هشيماً، وإذا صار النبات كذلك، طيرته الرياح وذهبت بتلك الأجزاء إلى سائر الجوانب"^(١).

وقال ابن عاشور: تذروه الرياح، أي تفرقه في الهواء، فشبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زماناً بهجة خضرة ثم يصير نبتها إلى بعد حين إلى اضمحلال، ووجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال شين (قبيح)، وهذا تشبيه معقول بمحسوس، لأن الحالة المشبعة معقولة إذ لم ير الناس بوادٍ تقلص بهجة الدنيا، وأيضاً شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدّة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك، وزوال نفعه ثم انقراضه أشتاتاً بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته، ثم أخذه إلى الانتقاص وانعدام التمتع به، ثم تطايره أشتاتاً في الهواء تشبيهاً لمركب محسوس بمركب محسوس"^(٢).

وقد ينظر إلى أن ذكر أداة التشبيه أبلغ من حذفها، والأمر ليس كذلك فلكل تشبيه صورته البلاغية الخاصة إذ يعد التشبيه البليغ أعلى مراتب التشبيه في البلاغة وقوة المبالغة،

(١) أحمد هنداوي هلال: المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٠٥.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٣٣٢.

لما فيه من ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، لما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة
والوجه معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب، ويوحى لها بصور شتى
من وجوه التشبيه^(١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص ١٠٤-١٠٥.

التشبيه التمثيلي:

اعلم أن من بلاغة التشبيه في خطاب الأنبياء التشبيه التمثيلي، الذي قال فيه البلاغيون أمثال الجرجاني والسكاكي والقزويني أن وجه الشبه في هذا التشبيه هو صورة منتزعة من أشياء متعددة، ويطلق البعض على هذا التشبيه أيضاً (التشبيه المركب)، ويرى البعض أن التشبيه غير التمثيلي هو: ما لم يكن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد^(١).

ومن شواهد هذا التشبيه في الخطاب الرباني الذي أمر الله رسوله أن يضرب للمشركين مثلاً من حالة اهتداء (أمية بن أبي الصلت) بقوله: "وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ بَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَكَوْشَتَا لِرَفَعَتَاهُ بِهَا وَكَكِنَتْهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْجَ هَوَاهُ فَكَلَّمَهُ كَمَلَّ الْكَلْبُ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَسْرُكُهُ يَلْهَثُ" (الأعراف: ١٧٥-١٧٦).

لقد أفادت الآية (واتل) ما يفيد أن التوحيد جعل في الفطرة بذكر حالة اهتداء بعض الناس إلى نبذ الشرك في مبدأ أمره، ثم تعرض وساوس الشيطان له بتحسين الشرك، وشأن القصاص المفتحة بقوله (واتل عليهم) أن يقصد منها وعظ المشركين بصاحب القصة بقرينة قوله: (ذلك مثل القوم) الخ، ويحصل من ذلك أيضاً تعليم، مثل قوله: واتل عليهم نبأ نوح (واتل عليهم نبأ إبراهيم) (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق)^(٢).

فشبه القرآن الكريم هذا الإنسان الكافر التارك لآيات الله، والمعرض عنها بالكلب في أخص وأخص صفاته وهو اللهث المستمر، فوجه الشبه صورة مركبة من هذا المتعدد المذكور في كل من الطرفين، وفي الآية إشارة لطيفة وهي: أن القرآن عبر بكلمة (انسلخ) ولم يعبر

(١) فضل عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ص ٥٩.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٩، ص ١٧٦.

بكلمة (ابتعد أو كفر) وذلك لما تحمله كلمة (الانسلاخ) من الانفصال التام الذي لا يؤمل بالعودة إلى الآيات البتة مثل: سلخ جلد الشاة عنها.

ومن جهة ثانية نقول: لماذا خص صفة اللهث في الكلب دون الصفات الأخرى؟ لأن هذه الصفة ثابتة في الكلب لا تنفك عنه بأي حال من الأحوال، وكأن القرآن يعلق الأمر بأمر مستحيل، فإذا زالت هذه الصفة عن الكلب تزول صفة الضلال عن هذا الرجل^(١).

ولما كان هذا التشبيه التمثيلي (المركب) "صورة منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدد (تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) في شق الحالة المشبهة بها، تعين أن يكون لها مقابل في الحالة المشبهة، وتتقابل أجزاء هذا التمثيل على النحو الآتي:

بأن يشبه (الضال) بالكلب، ويشبه شقاؤه واضطراب أمر ذلك الرجل الباحث عن الاهتداء للدين بلهث الكلب، في حالة تركه في دعة، وهذا يعد أيضاً من تشبيه المعقول بالمحسوس^(٢).

ونظير هذا التشبيه ما أخبر الله به سيدنا محمداً عن حال الذين ينفقون أموالهم بقصد حسن الذكر والثناء عليه قوله تعالى: "مَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلِّ مَرِحٍ فِيهَا صَرَ أَصَابَتْ حَرَّثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ" (آل عمران: ١١٧).

فشبه هيئة إنفاق المعجب ظاهرياً والمخيب آخرها بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ودمرته وجعلته حطاماً^(٣).

ومثل ذلك التشبيه التمثيلي قوله تعالى: "مَثَلُهُ كَمَلِّ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ" (البقرة: ١٧)

(١) محمد شعبان علون: من بلاغة القرآن، الدار العربية للنشر، مصر، ط٢، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٩، ص ١٧٨.

(٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج١، ص ٢٢٦.

وانظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج١، ص ٦١.

لقد شبه المنافق بالمستوقد للنار وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء

النار^(١).

ثانياً: الصورة الاستعارية:

مفهومها:

خاض البلاغيون في الاستعارة بغية وضع حد جامع لها، ولقد عرفنا أن مثل هذه التوضيحات والتعريفات للاستعارة تعد خطوة بالغة الأهمية في الكشف عن جمال الاستعارة، كما لا يخفى على أحد روعة البيان الذي تؤديه الاستعارة في الكلام، وإنك لا تكاد تجد تعريفاً للاستعارة يخرج عن محيط نقل اللفظ من معناه اللغوي الذي وضع له إلى معنى غيره، لم يعرف به .

ولعل بعض التعريفات تعطي صورة واضحة عن الاستعارة منها ما قاله القاضي الجرجاني: "الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر"^(٢).

ويقول الرماني: "الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة واستشهد الرماني بقول الحجاج: إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها"^(٣).

وعرفها العسكري: بأنها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه..."^(٤).

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج ١، ص ٣٩.

(٢) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، ج ١، ص ٢٧٠.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٧١.

(٤) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص ٢٦٨.

ويقول الجرجاني: اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية^(١). ويظهر مما سبق أن الاستعارة منبثقة عن التشبيه، فهي تشبيه لكنه "مضمّر في النفس، ومعنى هذا أننا لم نأت بتشبيه ما لنجعل منه استعارة، ولكننا نضمّر تشبيهاً ما في أنفسنا، ونحذف أحد طرفيه فندعي أن أحد الطرفين هو عين الآخر، فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، ولا بد أن تشتمل الاستعارة على المستعار والمستعار له والمستعار منه"^(٢).

وفي ضوء ما سبق فإن أركان الاستعارة هي:

١- المستعار منه: الذي يعد بمنزلة (المشبه به) وهو عبارة عن ذلك اللفظ المستعار منه الكلمة.

٢- المستعار له: ما يكون اللفظ الذي تستعار منه الكلمة الصفة وهو بمكانة (المشبه).

٣- المستعار: وهو بمثابة وجه الشبه الذي يحوى: الصفة المشتركة بين طرفي الاستعارة؛ المستعار له والمستعار منه.

ولتوضيح أركان الاستعارة في خطاب القرآن للأنبياء قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم: "كُنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (إبراهيم: ١).

(١) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٢٢.

(٢) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ط ١١، ص ١٦٣-١٦٤.

"قالآية فيها ثلاث استعارات (الظلمات، والنور، والصراط) وهذه الكلمات هي المستعار أما المستعار له فإن الظلمة أستعيرت للضلال، والنور أستعير للهدى والصراط أستعير للهدى أيضاً، حيث صور الهدى بالنور والضللال بالظلمة"^(١).
أما المستعار منه فهو معنى الظلمة والمعنى الذي وضعت له كلمة النور، والمعنى الذي وضعت له العرب للصراط"^(٢).

وعلى هذا فالاستعارة تقوم بعملية خلق جديد في اللغة، ولغة داخل لغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات وبها تحدث إذابة لعناصر "الواقع" لميعاد تركيبها من جديد، وهي في هذا التركيب الجديد كأنها منحت تجانساً كانت تفتقده، وهي بذلك أيضاً تبث حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرتيبة"^(٣).

والصورة الاستعارية في الخطاب القرآني خاطبت الأنبياء بطريقة متكاملة محدثة مقاصدها في نفوسهم بأسلوب جمالي مؤثر، تصيب المعنى وتصل إلى أدق التفاصيل وأكملها، كما أن الصورة الاستعارية تحرك المشاعر وتثير الانتباه.

ومن بديع الاستعارة في خطاب الأنبياء استعارة المحسوس للمعقول قوله تعالى مخاطباً النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِتِكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (الأنعام: ٦٨).

فالاستعارة قد بنيت على طرفين محسوس ومعقول، وحقيقة تلك الاستعارة فيها أمر للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالإعراض عن الذين كانوا يخوضون في آيات الله بالطعن والسباب.

(١) الألوسى: روح المعاني، مج ٧، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ص ١٦٤.

(٣) رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ١٥٧.

أما كيفية بناء الاستعارة فإن (الخوض) محسوس وهو المستعار الذي يعني الحركة في الماء، والمستعار له معقول وهو الاستهزاء بآيات الله.

والمنتبع للاستعارة يلمس حقيقة خوطب بها سيدنا محمد وجرى حكم الأمر على المسلمين بعدم الجلوس مع الذي يخوضون في آيات الله، كما أن الصورة الاستعارية تضع النفس البشرية المؤمنة أمام موقف مفارقة وترك كل كافر و منافق يهزأ ويلعب بآيات الله.

ويقول ابن عاشور: والخوض حقيقته الدخول في الماء مشياً بالرجلين دون سباحة للتصرف الذي فيه كلفة أو عنت، كما أستعير التعسف وهو المشي في الرمل لذلك، وأستعير الخوض أيضاً للكلام الذي فيه تكلف الكذب والباطل لأنه يتكلف له قائله. وقال الراغب: وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه، قال تعالى: "يخوضون في آياتنا نخوض ونلعب"، "وخضتم" كالذي خاضوا "فذرهم يلعبون" ومعنى "يخوضون في آياتنا" يتكلمون فيها بالباطل والاستهزاء^(١).

ومثل هذه الصورة الاستعارية قوله تعالى: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ" (إبراهيم: ١)

فالمستعار في هذه الآية لفظان (الظلمات) و (النور) وهما محسوسان، والمستعار له (الإيمان)، و(الكفر) وهما معقولان.

انظر إلى جمال الصورة الاستعارية المرشحة في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا

ضَرَامًا وَكُفْرًا وَفِرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرًا صَادِقًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ

يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٧، ص ٢٨٩.

يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بِنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بِنْيَانَهُ

عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَامٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (التوبة: ١٠٦-١٠٩).

يبدو أن تسمية هذه الاستعارة (بالمرشحة) يرجع إلى تقسيم الاستعارة باعتبار ملائم، أي ما ذكر معها ملائم المشبه به (المستعار منه)

فالاستعارة في قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى) استعارة مرشحة إذ إن هذه الاستعارة جرى تقسيمها باعتبار الملائم "حيث يذكر معها ما يلائم المشبه به"^(١) (المستعار منه)، وفي قوله تعالى (شفا جرف هار) عبر بها عن الباطل، ثم قفى الاستعارة بما يلائم المستعار منه وهو (الجرف) وهو يكمل صورتها ويقوي تمثيل المعنى وإبرازه فيها "ولما جعل الجرف الهار مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم، على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم، إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ (الانهيار) الذي هو الجرف، وليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف، فهو في قعرها"^(٢).

وملاحظة الباطل الذي هو مستعار منه متناسقة مع السياق الذي جاءت فيه الاستعارة، فهي في سياق الإخبار عن المنافقين الذين اتخذوا مسجداً لضرر المسلمين وتقوية النفاق وتفريق جمع المصلين، لهذا جاء الخطاب نهياً للنبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة فيه، ثم جاءت الموازنة بين المسجد المؤسس على تقوى الله، والمسجد المؤسس على الباطل"^(٣). حيث وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى"^(٤).

(١) محمد شعبان علوان: من بلاغة القرآن، ص ٢٢٣.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٢١٥.

(٣) محمد كريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن، دار المكتبة الوطنية، بنغازي، ١٩٩٧، ص ٤١٠.

(٤) الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ٢١٥.

ولقد كانت الاستعارة المرشحة في تلك الآية قد أبانت الصلة الوثيقة بين دلالتها

التصويرية وسياقها بين معاني الآيات^(١).

ويعلق ابن عاشور على جمال الصورة الاستعارية المرشحة في الآية فيقول: وشبه

القصدي الذي جعل البناء لأجله بأساس البناء، فاستعير له فعل (أسس) في الموضعين.

ويقول: ولما كان من شأن الأساس أن تطلب له صلابة الأرض لدوامه، جعلت التقوى

في القصد الذي بُني له أحد المسجدين، فشبهت التقوى بما يرتكز عليه الأساس على طريقة

المكنية، ورمز إلى المشبه به المحذوف بشيء من ملائماته، وهو حرف الاستعلاء (على)،

وفهم أن هذا المشبه به شيء راسخ ثابت بطريق المقابلة في تشبيه الضد بما أسس على شفا

جرف هار، وذلك بأن شبه المقصد الفاسد بالبناء بجرف منهار في عدم ثبات ما يقام عليه من

الأساس، بله البناء على طريقة الاستعارة التصريحية، وحرف الاستعلاء ترشيح.

وفرع على هذه الاستعارة الأخيرة تمثيل حالة هدمه في الدنيا وإفضائه بيانيه إلى جهنم

في الآخرة بانتهيار البناء المؤسس على شفا جرف هار بساكنه في هوة، وجعل الانهيار به إلى

نار جهنم إفضاء إلى الغاية من التشبيه.

فالهئية المشبهة مركبة من محسوس ومعقول، وكذلك الهئية المشبه بها^(٢).

ومن بلاغة خطاب الله للأنبياء الاستعارة التصريحية والمكنية: إذ إن الاستعارة هي

تشبيه حذف أحد طرفية (المشبه أو المشبه به) وعلى ذلك فإن الاستعارة التصريحية سميت

بذلك الاسم لأن المشبه به (المستعار فيه) قد صرح به وحذف المشبه (المستعار له).

(١) محمد كريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن، ص ٤١٠.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٣٤.

ومن أمثلة الاستعارة التصريحية قوله تعالى: "قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ

الْخَيْثِ فَأَتَقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ" (المائدة: ١٠٠).

والاستعارة في هذه الآية هو تشبيهه الحرام بالخبيث والحلال بالطيب، حيث استعملت

كلمتا (الخبيث والطيب) في غير معناهما الحقيقي فهما على سبيل المجاز.

ونظير ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام-: "وَاضْمُرْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ

تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءِ آيَةٍ أُخْرَى" (طه: ٢٣).

فالمعنى في هذه الآية أن الله -عز وجل- قد أعطى سيدنا موسى -عليه السلام-

معجزة أخرى غير العصا لقوله (آية أخرى) فهذه المعجزة كانت بأن أمر سيدنا موسى "بإدخال

يده تحت إبطه فخرجت بيضاء نيرة مضيئة كضوء الشمس والقمر من غير عيب ولا

برص" (١).

فقال ابن كثير في تفسيره: "هذا برهان ثان لموسى -عليه السلام- وهو أن الله أمره

أن يدخل يده في جيبه ثم أخرجها فخرجت تتلألأ كأنها فلقه قمر" (٢).

وقد أجريت الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: "واضمم يدك إلى جناحك" فأصل

الجناح للطائر، ثم استعير لجنب الإنسان، وذلك لأن كل جنب في موضع الجناح للطائر

فسميت الجهتان جناحين بطريقة الاستعارة" (٣).

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٣.

(٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير، مج ٣، ص ١٤٦.

(٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٥.

ويقول ابن عاشور مفسراً الاستعارة بقوله: "الجناح هو العضد وتحتَه إلى الإبط، وأطلق عليه ذلك تشبيهاً بجناح الطائر، والضم: الإصاق، أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكاً بها العصا.

أما عن كيفية إصاقها بجناحه أن تباشر جلد جناحه بأن يدخلها في جيب قميصه حتى تماس بشرة جنبه، كما في قوله تعالى في سورة النمل: "وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوٍ" (النمل: ٢٧).

فجعل الله تغير لون جلد يده عند مماسها جناحه تشريفاً لأكثر ما يناسب جسمه بالفعل والانفعال^(١).

ومثل هذه الاستعارة التصريحية حين كلف الله سيدنا موسى بالرسالة فخطبه بقوله: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" (الحجر: ٥)

ومثل ذلك قوله تعالى: "الرَّكَّابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" (إبراهيم: ١).

فقد شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور فقد صرح بالمشبه به، وحذف المشبه.

وإذا تأملنا المجاز اللغوي في لفظتي (الظلمات والنور) فإن المراد بهما (الكفر والإيمان)، إذ إن استعارة (الظلمات) (للكفر) بينهما علاقة مشابهة في عدم اهتداء صاحبهما، وكذلك استعارة (النور) (للإيمان) بينهما علاقة المشابهة تبدو واضحة تماماً في الهداية، وأما

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٠٨.

القربنة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي في ألفاظ الاستعارة السابقة هي القربنة الحالية التي تفهم من خلال سياق الكلام.

إن في جمال الاستعارة التصريحية صوراً للمعاني الذهنية المجردة تجسدت فكانت توجيهات حية في مجالات الحياة جميعها^(١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفناها، ص ١٨٥.

الاستعارة التمثيلية:

عد البلاغيون الاستعارة التمثيلية من قبيل الاستعارة المركبة، فأطلق عليها السبكي المجاز المركب، فقال: وأما المركب فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة، وهذا التمثيل على سبيل الاستعارة، وقال: وحقيقة التمثيل: أن تريد العبارة في معنى فتعدل عن المعنى والعبارة الدالة عليه، إلى معنى آخر يكون مثلاً للمعدل عنه^(١). ويقول فضل عباس: والحق أن بين الاستعارة التمثيلية والتشبيه التمثيلي نسبة وصلة، فالتشبيه التمثيلي: هو تشبيه مركب، وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، كذلك استعارة التمثيل أن تشبه صورة بصورة لما بينهما من صلة من حيث المعنى، ثم تحذف الصورة الأولى المشبه، ويبقى المشبه به.

ويضيف فضل عباس: إن تلك الاستعارة من أكثر الاستعارات بلاغة وتأثيراً^(٢). ولاستجلاء حقيقة هذه الاستعارة في الخطاب القرآني للأنبياء أورد الشواهد الآتية: قوله تعالى مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَكَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا بُيُوتَ مَنْ ظَهَرَ بِهَا وَكَكِنَ الْبِرِّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا بُيُوتَ مَنْ أَبْوَابُهَا وَأَقْبُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (البقرة: ١٨٩).

فقد شبهت حالة الذي يعنى بغير ما يجديه، وينشغل بغير واقعه، ويعطي الأولوية في البحث لما في شأنه التأخير، ويترك ما من شأنه أن يبحث - كما هو شأن أمتنا اليوم - شبه حال هذا بحال الذي يأتي البيت من ظهره، فهو مضطر أن ينقب ويخرب ليستطيع دخول البيت،

(١) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٩٨.

وكان من حقه أن يلج البيت من بابه، فهو أيسر من جهة، وليس فيه الضرر والخراب من جهة أخرى، فأنت ترى أنه قد ذكر المشبه به، وهو من يأتي البيت من ظهره ولا يأتيه من بابه وهو صورة مركبه^(١).

وقوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام-: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَكُفِّرْتُ عَنْكَ عَيْنِي" (طه: ٣٩).

فالمعنى: أن الله سبحانه وتعالى في خطابه لسيدنا موسى قد زرع محبته في القلوب، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك، حتى أحبك فرعون، وكذلك لتربي بعين الله بحفظي ورعايتي، والتركيب الاستعاري لهذه الآية تمثل لشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة بمن يصنع برأى من الناظر، لأن الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمثل لذلك بمن يصنع على عين الآخر^(٢).

ويقول ابن عاشور: والصنع هنا مستعار للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال: لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعه فلان، وقوله تعالى "على عيني" (على) للاستعلاء المجازي، أي المصاحبة المتمكنة، ف (على) هنا بمعنى باء المصاحبة كقوله تعالى: (فإنك بأعيننا) والعين: مجاز في المراعاة والمراقبة كقوله: (واصنع الفلك بأعيننا)^(٣).

ونظير ذلك قوله تعالى مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام-: "وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي"

(طه: ٤١).

(١) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢١٨-٢١٩.

فقد اشتملت هذه الآية على استعارة تمثيلية حيث أُجريت الاستعارة بأن شسبه الله ما خول به سيدنا موسى من القرب والاصطفاء بحال من يراه الملك أهلاً للكرامة وقرب المنزلة لما فيه من الخلال الحميدة فيصطنعه لنفسه، ويختاره لخلته، ويصطفيه لأموره الجايبة، فاستعير لفظ (اصطنع) لذلك^(١).

ويرى ابن عاشور: أن تلك الاستعارة قد ختمت بالامتتان على سيدنا موسى وذلك الذي هو بمنزلة رد العجز على الصدر على قوله: (ولتصنع على عيني) وهو تخلص بديع إلى الغرض المقصود، وهو الخطاب بأعمال الرسالة المبتدأ من قوله تعالى: (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) ومن قوله: (اذهب إلى فرعون إنه طغى) والاصطناع هنا: صنع الشيء باعتناء، والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه^(٢).

وقوله تعالى حين استجاب الله دعاء سيدنا نوح -عليه السلام-: "فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ" (القمر: ١٠-١١).

لقد تضمنت الآية (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) استعارة تمثيلية إذ شسبه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء، وانشق بها أديم الخضراء^(٣). ويقول ابن عاشور: "إن هذه الاستعارة مركب تمثيلي لهيئة اندفاق الأمطار من الجو بهيئة خروج الجماعات من أبواب الدار"^(٤). على طريقة الشاعر في قوله:

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي ألا باطح

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٤١.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج ٣، ص ٢٩١.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٨٢.

ومثل ذلك قوله تعالى حينما كلف الله سيدنا يونس -عليه السلام- بالذهاب إلى بنى

إسرائيل لإبلاغهم رسالة الله خرج مغاضباً منها قاصداً بلداً آخر "وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾

إِذْ أُنْبِئَ إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ" (الصافات: ٣٩-٤٠).

"فالفعل (أبق) استعارة تمثيلية شبهت حالة خروجه من البلد الذي كلفه ربه فيه بالرسالة

تباعداً من كلفة ربه بإباق العبد من سيده الذي كلفه عملاً"^(١).

ومن بديع الاستعارة التمثيلية قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَتْ مُرْسَلًا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ" (هود: ٧٧).

"لقد كانت الاستعارة في قوله (ضاق بهم ذرعاً) تمثيلاً بحال الإنسان الذي يريد مد

ذراعه فلا يستطيع مداها كما يريد، فيكون ذرعه أضيق من معتاده. ويجوز أن يكون تمثيلاً

بحال البعير المثقل بالحمل أكثر من طاقته فلا يستطيع مد ذراعيه كما اعتاده.

وأياً ما كان فهو استعارة تمثيلية لحال من لم يجد حيلة في أمر يريد عمله بحال الذي

لم يستطع مد ذراعه كما يشاء"^(٢).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير ج ٢٣، ص ١٧٣.

(٢) المرجع نفسه: ج ١٢، ص ١٢٤-١٢٥.

ثالثاً: الصورة المجازية:

المجاز المرسل

يُعد المجاز المرسل مجازاً لغوياً وهو يقوم على علاقة غير المشابهة، وسمي مرسلًا "لأنه مطلق في علاقاته، أي ليس له علاقة معينة كما هو الشأن في الاستعارة، فالاستعارة علاقتها المشابهة بينما المجاز المرسل له علاقات كثيرة^(١).

وقد عرف الجرجاني: المجاز بقوله: "وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول. وإن شئت قلت: كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز^(٢).

وفرق السكاكي بين الحقيقة والمجاز فقال: "الحقيقة اللغوية هي الكلمة المستعملة في ما وضعت له، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع^(٣).

من هنا فإن من علاقات المجاز المرسل: الكلية والجزئية والسببية والمسببية والعلاقة الحالية والعلاقة المحلية والعلاقة باعتبار ما كان واعتبار ما سيكون.

ولقد نظر البلاغيون إلى المجاز من وجهة الدلالة حين جعلوا الكلمة تحمل دالتين الأولى: حقيقته، والثانية: مجازية وحين وضعوا حداً للدلالة المجازية بالعلاقة والقرينة فيها بعض النظر، وذلك لأن هذا الحد والتقيد للدلالة المجازية يعد وسيلة لبقاء الدلالة الحقيقية، "وإن المجاز عند البلاغيين ظل محط خلاف بينهم إذ ينكر بعضهم ورود المجاز في القرآن

(١) فضل عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٥٣.

(٢) الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣٠٤.

(٣) القزويني: التلخيص، ص ٣٢٨.

مستدئين إلى أن المجاز قرين الكذب، ويناقض الحقيقة، وأن استخدامه ما هو إلا دليل عجز عن التعبير الحقيقي^(١).

غير أن هناك بعض الآراء تقول: إن المجاز ظاهرة فنية في اللغة العربية، بل إن اللغة العربية هي (لغة المجاز) لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصورة المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة^(٢).

ولعل هذا الرأي يعني أن المجاز ما هو إلا طريقة في التعبير عن الحقيقة وهذا ما ذهب إليه (أبو عبيدة في مجاز القرآن)، غير أن لفظة المجاز تطورت عندما غدت التقسيمات العقلية والقواعد الصارمة فوضعت مقابل الحقيقة.

فالمجاز: تعبير صوري فني يعبر عن الحقيقة، وهو طريقة جميلة في بلاغة اللغة، يثير خيال المخاطب، وتترك وقعاً جميلاً في نفسه ووجدانه، كما تنقل المخاطب من جو الرثابة إلى رحابة التفكير والإبداع.

ومن أمثلة المجاز المرسل الذي علاقته الكلية ما نقله إلينا القرآن الكريم حين أرسل الله سيدنا نوحاً -عليه السلام- إلى قومه يدعوهم إلى وحدانية الله بقوله تعالى: "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا

إِلَى قَوْمِهِ أَنِ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَقْوَاهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِّن دُونِكُمْ وَلِيُخْرِجَكُمْ مِّن دُونِكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ

كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمَّ بَرَزُوا لِي دُعَانِي إِذَا فَرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي

(١) مهدي صالح السامرائي: المجاز في البلاغة العربية، مكتبة دار الدعوة، سورية، ١٩٧٤، ص ١٤٣.

(٢) عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، مطبعة الاستقلال، القاهرة، ص ٤٠.

كَلَّمَ دَعْوَتَهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سِكْكِارًا"
(نوح: ١-٧).

فالشاهد في قوله تعالى (جعلوا أصابعهم) وذلك أن قوم نوح -عليه السلام- أعرضوا عنه وعن دعوته إعراضاً شديداً، فجاءت لفظة (أصابعهم) تحمل صورة شديدة من المبالغة في الإعراض بإدخال الأصابع في الأذان، ويقرأ من هذه الصورة المجازية "إنها تعتمد على نظام العلاقة بين الكلي والجزئي، وإن القارئ ليظل في حركة انتقال من الجزئي إلى الكلي أو العكس لتحريك خياله، وتنشيط ذهنه كما أنها تخضع لنظام العلاقات السياقية الأخرى من خلال ارتباطها بالصور الأخرى لتتناسق معها في رسم مشهد الإعراض عن الحق والكراهية له"^(١).

وحملت هذه الآية عند ابن عاشور دلالتين:

الأولى: مجازية فقال: وجعل الأصابع في الأذان يمنع بلوغ أصوات الكلام إلى السامع وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه المجاز بعلاقة الجزئية، فإن الذي يجعل في الأذن الأناملة لا الأصبع كله، فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها، واستغشاء الثياب: جعلها غشاء، أي غطاء على أعينهم، تعصيماً لسد آذانهم بالأصابع لئلا يسمعوا كلام سيدنا نوح، ولا ينظروا إشارته.

الثانية: حقيقته فيقول: ويجوز أن يكون جعل الأصابع في الأذان، واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل إصبعه في أذنيه، ويجعل من ثوبه ساتراً لعينه"^(٢).

(١) عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة، حلب، ٢٠٠١، ص ٧٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٩٥-١٩٦.

فتوجيه ابن عاشور للأصابع واستثناء الثياب على الحقيقة فيه بلاغة تصويرية

جميلة، وهذا ما أكده الناقد محمد غنيمي هلال في مؤلفه (النقد الأدبي الحديث) فيقول: ومن المعلوم أن البلاغة ليست مقصورة على المجاز، وضروب الحيلة في الألفاظ فقد تكون الألفاظ حقيقية الاستعمال في موقعه الملائم أبلغ من المجاز، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب^(١).

ويذهب عبد الفتاح نافع بقوله: نجد كثيراً من الصور الجميلة الخصبة جاءت من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها^(٢).

ونلاحظ أن سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن) ينظر إلى أن التصوير الذي يثير مخيلة المتلقي قد يكون قائماً على العبارات الحقيقية أو المجازية^(٣).

ومن الواضح أن الصورة المجازية لها دور فاعل في المعنى، حيث نراها تسهم في إثراء المعنى وإبرازه، ونلمح أثر ذلك حين يفاجأ المتلقي (المخاطب) بعلاقة جديدة، وليس أدل على ذلك من الآيات القرآنية التي خوطب بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - وهو يعاني أذى المشركين، فجاءت تلك الآيات أمثلة على المجاز المرسل علاقته الجزئية وكانت تسلية وتسرية للنبي - عليه الصلاة والسلام.

كقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلُّ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِنَّا قَلِيلٌ" (المزمل: ١-٢).

وقوله تعالى: "كَلَّا لَأَنطَعُهُ وَأَسْجُدُ وَاقْتَرِبُ"

(١) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٥٠.

(٢) عبد الفتاح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣، ص ٥٨-٥٩.

(٣) سيد قطب: نظرية التصوير الفني في القرآن، ص ١٧.

وقوله تعالى " وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ

السَّاجِدِينَ (الحجر: ٩٧-٩٨).

أما طبيعة هذه العلاقة الجديدة التي تظهرها الصورة المجازية وهي: "أن الصورة ليست في اللفظة، وفي استخدامها في غير ما وضعت له أصلاً، وإنما هي في العلاقة بين الدال والمدلول من جهة، وبين ارتباط الدال والمدلول بالسياق العام للآية، وبذلك يتحرر المجاز المرسل من النظرة الجزئية، والعلاقة التبادلية بين حديه، ليصبح ضمن نظام العلاقة السياقية، فيشتد ارتباطه بالصورة الكلية التي يرسمها السياق من هذه الصورة الجزئية المرتبطة به.

ويؤكد هذا الارتباط بين الدال والمدلول في المجاز من ناحية، والسياق من ناحية أخرى، كثرة تعبير القرآن عن (الصلاة) بجزء من أجزائها المهمة حسب ما يقتضيه السياق، مثل (القيام) و (الركوع) و (السجود)^(١).

ولعل قوله تعالى: "قم الليل" يراد به "الصلاة" ويبدو أن السياق الذي نزلت فيه هذه الآية باعتبار حالته -عليه السلام- والتي أصابها الحزن، فأمر بالقيام (لصلاة) إلا قليلاً من الليل، لذلك حمل التزم على (المجاز).

والمجاز ليس ألفاظاً تحذف لمجرد الحذف، وإنما هو حركة متفاعلة مع السياق، إذا إن العلاقة بين الدال (قيام الليل) والمدلول الذي هو (الصلاة) ليست علاقة لفظية فقط، أو تبادلية بين الألفاظ وإنما هي علاقة بنائية يقتضيها السياق، من هنا أدركنا أن المجاز قد أسهم في إثراء المعنى وإبرازه، ففيه مفاجأة للمتلقي بالعلاقة الجديدة في التعبير، ثم يركز اهتمامه على

(١) عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص ٧٣.

الدال موضع الاهتمام في التعبير القرآني دون أن يهمل المدلول الذي هو حاضر في الذهن لأنه مرتبط بالدال ومتفاعل معه^(١).

وقد جاءت لفظة المجاز (قم) في خطاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم- في القرآن؛ حيث كانت لفظة (قم) دالة على الجزء الواضح في القيام ضمن سياق الكل، وكان التعبير بالجزء؛ وهو القيام. والمراد به الكل؛ وهو (الصلاة)، ويفسر المجاز على هذه الصورة (صل الليل إلا قليلاً).

وقد ينظر إلى أن الأمر في (قم) في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم- على أنه يحمل معنى ليس فيه لطف، وهذا الكلام ليس دقيقاً لأن الخطاب يذهب إلى الوصف الذي فيه إشعار بالملاطفة والملاينة وهذا ما سار عليه العرب في حديثهم وخطابهم. كما نجد الصورة المجازية الجزئية في قوله تعالى: " وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلًا " (الإنسان: ٢٦).

فقد أطلق الله -عز وجل- لفظة السجود على الصلاة؛ وهو بعضها، وفي هذا المجاز إشارة إلى أن الليل هو وقت التفرغ في بث الدعوة وذلك كما جاء في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ قُمْ لَيْلًا قَلِيلًا "

والتسبيح هو التنزيه بالقول والاعتقاد، حيث غلب إطلاق مادة التسبيح على الصلاة النافلة، وقوله (طويلاً) صفة (ليلاً) حيث وصف الليل بالطول بعد الأمر بالتسبيح فيه، علم أن (ليلاً) أريد به أزمان الليل لأنه مجموع الوقت المقابل للنهار، لأنه لو أريد ذلك المقدار كله لم يكن في وصفه بالطول جدوى، فتعين أن وصف الطول تقييد للأمر بالتسبيح، أي سبجه أكثر الليل^(٢).

(١) عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص ٧٢-٧٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ٢٩، ص ٤٠٦.

ومثل هذه الصورة المجازية الجزئية خطاب الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم-

"لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ" (التوبة: ١٠٨).

فالآية تتحدث عن مسجد الضرار، وكانت تلك الصورة مبنية على أن المراد من القيام

(الصلاة) فكان (القيام) هو جزء من (الصلاة).

وقوله تعالى أيضاً مخاطباً سيدنا موسى -عليه السلام- "فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَتَبْنَا لَكِ تَقْرَعِيهَا وَأَنَّا

تَخْرَجِينَ" (طه: ٤٠) فذكر الجزء (العين) وأراد الكل (كي تقرأ نفسها).

ومن الأمثلة على المجاز المرسل الذي علاقه المحلية قوله تعالى: "كَلَّا لئن لم يرئته

لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدْعُ الزَّبَابِيَةِ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطِعُهُ

وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ" (العلق: ١٥-١٩) فقد نزلت هذه الآيات في شأن أبي جعل الذي كان من أشد

أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم- وكان ينهيه عن الصلاة فقد أظهر السياق الصورة

المجازية حين ذكر لفظ المحل (النادي) وأريد منه الحال، فأطلق اسم المحل على الحال، ولقد

حملت هذه الصورة المجازية أشع صور التقليل والاستخفاف بأبي جهل واتباعه، الذين كانوا

يجتمعون في ذلك المكان الذي يدعى (النادي)، وواضح أن النادي لا يدعى ولكن الذي يدعى

أهل النادي، وأما القرينة الدالة هنا فهي لفظة (يدعو) (١).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٥٣.

رابعاً: الصورة الكنائية

يفهم من هذا العنوان أن الكناية صورة بيانية طرقها البلاغيون بالتحليل والتفسير والكشف، ضاربين أمثلة متعددة من القرآن والأدب، وما يهمنا هنا هو الوقوف على ماهية الكناية وأقسامها كصورة بنائية في الخطاب القرآني، إذ إن لها تأثيراً في نفس المتلقي، وإنها تبين المعاني وتثبتها في الذهن وتؤكدها بالدليل والبرهان من هنا كانت بلاغة الكناية أفضل من التصريح.

ونرى أن الكثير من البيانين ومن بينهم ابن الأثير يجمعون بين الكناية والتعريض والإشارة والتورية ويفرقون بينها وبين المجاز بغية الوصول إلى معنى دقيق وواضح.

الكناية لغة:

جاء في لسان العرب أن الكناية هو أن تتكلم بشيء وتريد غيره، فيقال: كنى عن الأمر بغيره يكنى كناية بمعنى إذا تكلم بغيره^(١).

أما اصطلاحاً:

فقد عرفها البلاغيون تعريفات عدة منها:

تعريف عبد القاهر الجرجاني الذي قال: والمراد بالكناية هو أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك: قولهم: هو "طويل النجاد" يريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر، يعنون كثير القرى.

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كنى).

فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى معنى ثم لم يذكره بلفظه الخاص به، ولكنهم

توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود^(١). وبهذا يكون الجرجاني قد

ركز على إثبات المعنى في الكناية من طريق المعقول دون طريق اللفظ.

أما تعريف القزويني للكناية فقال: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه

حينئذ^(٢).

من خلال هذين التعريفين ندرك أن الفرق واضح بين الكناية والمجاز، فالمجاز لفظ

أريد به لازم معناه مع عدم إرادة المعنى الحقيقي للفظ، بمعنى أن المجاز يحتاج إلى قرينة

تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، أما الكناية فإن القرينة فيها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

كقولنا: فلان كثير الرماد، فالكناية تدل على الكرم، ويجوز إرادة المعنى الحقيقي وهو كثرة

الرماد.

وعليه فإن الكناية تحتاج إلى ثلاثة أركان هي: "اللفظ المكنى به، واللفظ المكنى عليه،

والقرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء أكانت هذه الإرادة ممكنة أم غير

ممكنة"^(٣).

وأما عن دور الكناية في خطاب الأنبياء فإنها تقوم بنصيبتها كاملاً في أداء المعاني

وتصويرها خير أداء وتصوير، وهي حيناً راسمة صورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة تتجنب

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٦٦.

(٢) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠، ج ١، ط ٥، ص ٤٥٦.

(٣) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٢٤٧.

ما ينبو على الأذن سماعه وحيناً موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل، ولا تستطيع الحقيقة

أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية^(١).

فالصورة الكنائية إذن موحية وتمتاز بإيجاز اللفظ مع كثرة المعاني وشاهد ذلك قوله

تعالى: "وَأَمَّا تُعْرِضُنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا" (الإسراء: ٢٨).

إن المقصود بالخطاب هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ويعدله ما روي عن

النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان إذا سأله أحد ما لا ولم يكن عنده ما يعطيه يعرض عنه

حياءً، فذبهه الله إلى أدب أكمل من الذي تعهده من قبل، ويحصل من ذلك تعليم سائر الأمة.

فالإعراض: أصله ضد الإقبال، أي الجانب فأعرض بمعنى أعطى جانبه، وهو هنا

مجاز في عدم الإيتاء، أو كناية عنه لأن الإمساك يلزمه الإعراض، أي إن سألك أحدهم

عطاء فلم تجبه إليه، أو إن لم تفتقدهم بالعطاء المعروف فتباينت عن لقائهم حياء منهم أن

تلاقيهم بيد فارغة فقل لهم قولاً ميسوراً^(٢).

ألا ترى أن جمال الصورة الكنائية في هذا الخطاب هو استخدام (تعرضن) بدلاً من

(الإمساك) إذ إن لفظة (تعرضن) تفهم كنتيجة لازمة للإمساك ومثل ذلك قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ

عَنْكَ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ" (التوبة: ٤٣).

لقد أدت الصورة الكنائية جمالاً تعبيرياً تجنبت ما ينبو على الأذن سماعه في خطاب

الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- إذ جاءت الكناية بصورة الإرداف الذي عرفه ابن

(١) أحمد محمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٢٢٦.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتتوير، ج ١٥، ص ٨٢.

النقيب بقوله: هو أن يراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه وراذف له^(١).

فافتتاح العتاب للرسول بقوله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) بالإعلام بالعفو هو إكرام عظيم ولطافة شريفة، فأخبره بالعفو قبل أن يباشره بالعتاب، وفي هذا الافتتاح كناية عن خفة موجب العتاب، لأنه بمنزلة أن يقال: ما كان ينبغي، وتسمية الصفح عن ذلك عفواً ناظر إلى مغزى قول أهل الحقيقة: حسنات الأبرار سيئات المقربين^(٢).

ولعل في هذه الكناية المهدبة في لفظها أبلغ الأثر في نفس المتلقي قوله تعالى مخبراً عن سيدنا عيسى -عليه السلام-: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَا كُلَانَ الطَّعَامِ" (المائدة: ٧٥)

فقوله تعالى: "كانا يأكلان الطعام" فالكناية في هذه الآية كما بينها القرآن حين اكتفى بالملزوم فكفى بالأكل عما بعده، إنه التغوط فما أبدع هذا المنطق، وما أنظف هذا الأسلوب^(٣). الكنائي الذي أغناك عن أن تسمع أذنك: كانا يتبرزان ويتبولان^(٤).

وتقودنا الكناية إلى إشارة لتبنيان وصف المسيح وأمه زيادة في إبطال معتقد النصراني إلهية المسيح وإلهية أمه، في قوله تعالى: "ما المسيح ابن مريم إلا رسول" قصر موصوف

(١) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان (ابن النقيب): مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدیع وإعجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٦٦.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢١٠.

(٣) فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها، ص ٢٦٥.

(٤) أحمد محمد بدوي: فن بلاغة القرآن، ص ٢٢٧.

على صفة، وهو قصر إضافي مقصور على صفة الرسالة، لا يتجاوزها إلى غيرها، وهي الإلهية، فالقصر قصر قلب لرد اعتقاد النصارى أنه الله^(١).

ومما جرى مجرى الصورة الكنائية الجميلة قوله تعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِرُوا وَكَانَ قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (الحجرات: ١٤).

يقول ابن النقيب: "ألا ترى إلى لطافة هذه الكناية، فإنها أفادت تكذيب دعواهم ودفع انتحلوه، وفائدتها ها هنا أنه روعي في تكذيبهم أدب حسن، حيث لم يصرح بلفظه، فلم يقل "كذبتم" لأن فيه نوع استقباح في الخطاب؛ فوضع قوله: "قل لم تؤمنوا" الذي هو نفي ما ادعوا إثباته"^(٢).

واستمع إلى التعبير الكنائي في الخطاب الموجه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: "وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (يونس: ٦٥).

فصيغة (لا يحزنك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم - وظاهر هذه الصيغة أنه نهى عن أن يحزن النبي صلى الله عليه وسلم - كلام المشركين مع أن شأن النهي أن يتوجه الخطاب به إلى فعل الفعل المنهي عنه، ولكن المقصود من مثل هذا التركيب نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أن يتأثر بما شأنه أن يحزن الناس من أقوالهم.

فلما وجه الخطاب إليه بالنهي عن عمل هو من عمل غيره، تعين أن المراد بذلك الكناية عن نهيه هو عن حصول ذلك الحزن في نفسه بأن يصرف عن نفسه أسبابه وملزوماته

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص ٢٨٥.

(٢) ابن النقيب: مقدمة تفسير ابن النقيب، ص ٢٧٠.

فيؤول إلى معنى: لا تُترك أفعالهم تُحزنك: وهذا كما يقولون: لا أرينك تفعل كذا، ولا أعرفك تفعل كذا، فالمتكلم ينهى المخاطب عن أن يراه المتكلم فاعلاً كذا.

والمراد نهي عن فعل ذلك حتى لا يراه المتكلم، فهو من إطلاق الملزوم وإرادة اللزوم.

والمعنى: لا تفعلن كذا، فأراك تفعله، ومعنى "لا يحزنك قولهم" لا تحزن لقولهم فيحزنك^(١).

ومن شواهد الكناية ما كان من خبر سيدنا نوح -عليه السلام- عندما دعا ربه بعد تكذيب قومه له، فاستجاب الله له بقوله: "فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ" (القمر: ١١-١٣).

فقوله تعالى: " وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ " كناية عن موصوف، فصفة العناية، أقيمت مقام الموصوف هنا، معرضاً عن أن يقال: وحملناه على الفلك، لأن في هذه الصفة بيان مكانة هذه العناية وإحكام صنعها، وفي هذه الكناية أيضاً إظهار لعناية الله بنجاة سيدنا نوح ومن معه^(٢).

ويمكن أن يقال: إن الكناية عن السفينة بذات الألواح والدرس، ليس بياناً لمكانتها وقوتها، وأنها يأمن من فيها، وإنما هو تهوين لها، وأنها لا تحفظ أحداً، وإنما كان الحفظ بعناية الله وحدها، وكأنهم في وسط هذا الموج الهادر الذي ابتلع الحياة والأحياء آمنون وهم على

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٢١.

(٢) المرجع نفسه: ج ٢٣، ص ١٨٤.

ألواح لا تغني عنهم من الأمر شيئاً، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ، وفي هذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا، وأنهم لم ينجوا بسفينة ناجية، وإنما نجوا على سطوح ألواح هينة^(١).

ومن لطيف الكناية ما قاله الله تعالى في افتتاح الخطاب بالنداء لسيدنا داود عليه السلام "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَنَا تَبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّاءُوا يَوْمَ الْحِسَابِ" (ص: ٢٦) ومعنى الهوى: المحبة وأطلق على الشيء المحبوب مبالغة، أي ولو كان شديداً تعلق النفس به فالهوى كناية عن الباطل والجور والظلم لما هو متعارف عليه من الملازمة بين هذه الأمور وبين هوى النفوس، فإن العدل والإنصاف ثقيل على النفوس فلا تهواه غالباً، ومن صارت له محبة الحق سجية فقد أوتي العلم والحكمة وأيد بالحفظ والعصمة^(٢).

وأما قوله تعالى مخاطباً سيدنا سليمان -عليه السلام- حين سأل الله ملكاً ينبغي لأحد من بعده "هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (ص: ٣٩).

فلقد أعطى الله سيدنا سليمان سلطاناً وملكاً عظيمين، وكانت الكناية في لفظة (أمنن) التي استعملت في الإذن والإباحة، وهي مشتقة من الإنعام، أي فأنعم من شئت بالإطلاق، أو أمسك في الخدمة من شئت، وجعلت الكناية عن الإطلاق يلزم اللازم^(٣).

كما أن تلك الكناية سهلة قريبة من الذهن فلا يكدر الذهن في الوصول إلى المعنى وفهم المقصود ببسر وهذا ما سماه المتأخرون من البيانين بالكناية القريبة أو الواضحة.

(١) محمد أبو موسى: التصوير البياني، ص ٤١٨.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج ٢٣، ص ٢٤٤.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٦٧، وانظر: الصابوني، صفوة التفسير، ج ٣، ص ٦٠.

ومن شواهد الكناية قوله تعالى: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرًا" (القمر: ١٤) أي

بمرأى منا وكنى به عن الحفظ بمعنى تجري في ذلك الماء بحفظنا وكلاءتنا^(١).

ويقول ابن عاشور: إن (أعين) جمع عين بإطلاقه المجازي، وهو الاهتمام والعناية، وجمع العين جاء هنا لتقوية المعنى، لأن الجمع أقوى من المفرد، أي بحراسات منا وعنايات، ويجوز أن يكون الجمع باعتبار أنواع العناية بتنوع آثارها، وأصل استعمال لفظ العين في مثله: تمثيل بحال الناظر إلى الشيء المحروس مثل الراعين، كما يقال للمسافر: عين الله عليك، ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقة فجمع بذلك الاعتبار.

ومن شواهد الكناية عن الموصوف قوله تعالى مخاطباً سيدنا داود -عليه السلام: "

اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سبأ: ١٠-١١).

فقال الألويسي: والسابغات الدروع، وأصله صفة من السبوغ وهو التمام والكمال فغلب

على الدروع، فلا حاجة إلى تقدير موصوف، أي دروعاً سابغات^(٢).

ويقول ابن عاشور: إن سابغات صفة لموصوف محذوف لظهوره في المقام، إذ شاع

وصف الدروع بالسابغات والسوابغ حتى استغنوا عن ذكر هذا الوصف عن ذكر الموصوف^(٣).

أما قَدَّرَ في السرد: أي أجعله على تقدير، والسرد: صنع درع الحديد، أي تركيب

حلقها ومساميرها التي تشد شقق الدرع بعضها ببعض كالخياطة للثوب، والدرع توصف

(١) الألويسي: روح المعاني، ج ٢٧، ص ٣٨.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ١٨٥.

(٣) الألويسي: روح المعاني، ج ٢٢، ص ١١٤-١١٥.

بالمسرودة كما توصف بالسابغة، ولما سخر الله لسيدنا داود -عليه السلام- ما استصعب على غيره اتبعه بأمر بالشكر بأن يعمل صالحاً لأن الشكر يكون بالعمل الذي يرضي المنعم^(١).

ومن أقسام الكناية التعريض الذي يعد عند البلاغيين بأنه أخفى من الكناية، وقد تكفي قرائن الحال في الدلالة عليه، ولعل أقرب توضيح للتعريض ما يسمى "بالشيفرة" التي توصل المعاني من خلال تلك الرموز الخفية، وتكون أكثر قبولاً من التصريح، وفي هذا يرى البلاغيون أن الفرق يغدو واضحاً بين الكناية والتعريض، حيث إن التعريض يعتمد على قرائن الحال في كثير من الأحيان، بينما الكناية لا تقف عند هذا الحد بل تتعدى ذلك إلى قرائن المقال، والتعريض كما جاء عند أهل اللغة أنه ضد التصريح، بمعنى أن تخاطب واحداً وتريد غيره، ومنه المعاريض في الكلام أي الستر والتورية.

ولتوضيح التعريض نورد الشاهد الآتي قوله تعالى: "قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمَ"

﴿ ٦٢ ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ" (الأنبياء: ٦٢-٦٣).

لقد كان غرض سيدنا إبراهيم -عليه السلام- فيما جاء على لسانه (بل فعله كبيرهم هذا) أن يعرض بالكفار لأنهم أشركوا بالله في عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، والتعريض هنا دل عليه السياق وقرائن الأحوال ولم يدل عليه اللفظ.

ومن أمثلة التعريض في خطاب الأنبياء وإن لم تكن كثيرة غير أنها منيرة قوله تعالى:

"وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (الزمر: ٦٥).

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٥٧.

لقد ذهب ابن عاشور في التحرير والتنوير إلى أن التاء في "أشركت" تاء الخطاب لكل من أوحى إليه بمضمون هذه الجملة من الأنبياء، فتكون الجملة بياناً لما أوحى إليه، وإلى الذين من قبله.

ويقول: ويجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم - فتكون الجملة بياناً لجملة أوحى إليك، ويكون "وإلى الذين من قبلك" اعتراضاً، لأن البيان تابع للمبين عمومته ونحوه، وأياماً كان فالمقصود بالخطاب، تعريض بقوم الذي أوحى إليه لأن فرض إشراك النبي غير متوقع^(١).

"ومن المعلوم في أصول الدين أن الرسول الذي يصطفيه الله لتبليغ رسالته للناس، لا بد أن يكون معصوماً عن أن يشرك بالله، فقول الله للرسول محمد صلى الله عليه وسلم - ولكل رسول اصطفاه الله من قبله "لئن أشركت ليحبطن عملك" هو خطاب بصريح العبارة للرسول، وهو تعريض لكل من آمن به واتبعه أن يحذروا من الشرك لئلا تحبط أعمالهم ويكونوا من الخاسرين"^(٢).

وإن التعريض في هذه الآية أبلغ من مواجهة غير الرسول بصريح الخطاب، وذلك لأن الرسول إذا كان لا يملك لنفسه عند ربه الحماية من أن يحبط عمله ويكون من الخاسرين إذا أشرك، وهو ذو المكانة العالية عند ربه والمحظوظ بالاصطفاء فكيف يكون حال سائر الناس الذين ليس لهم عند ربهم مثل ذلك.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٥٨.

(٢) عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٥٥.

وهذا نظير من يهدد ولده بالعقاب الشديد إذا كسر له شيئاً من تحف قصره أمام أولاد الآخرين، وكان قد حذر كل من يكسر له شيئاً منها بالعقاب الشديد وهو قادر على تنفيذ عقوباته^(١).

كما نلاحظ في الآية الآتية أنها تضمنت إشارة على سبيل التعريض تفيد بأن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - يرتفع درجات على سائر الرسل، قال تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَيُّنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ وَأَيُّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة: ٢٥٣).

وقبل الحديث عن قوله "ورفع بعضهم درجات" ينبغي أن نؤكد أن المقصود بهذه الآية هو تمجيد الرسل عليهم السلام، وتعليم المسلمين أن هاته الفئة الطيبة مع عظيم شأنها قد فضل الله بعضها على بعض، وأسباب التفضيل لا يعلمها إلا الله تعالى، غير أنها ترجع إلى ما جرى على أيديهم من الخيرات المصلحة للبشر ومن نصر الحق، وما لقوه من الأذى في سبيل ذلك، وما أيدوا به من الشرائع العظيمة المتفاوتة في هدى البشر، وفي عموم ذلك الهدى ودوامه، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس"، فما بالك بمن هدى الله بهم أمماً في أزمان متعاقبة، ومن أجل ذلك كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - أفضل الرسل، ويتضمن الكلام ثناء عليهم، وتسلياً للرسول - عليه الصلاة والسلام - فيما لقي من قومه^(٢).

(١) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية، ص ١٥٥.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٦.

أما قوله تعالى "ورفع بعضهم درجات" فإن التعريض بمكانة سيدنا محمد، "يتعين أن يكون المراد من البعض هنا واحداً من الرسل مغيباً لا طائفة، وتكون الدرجات مراتب من الفضيلة ثابتة لذلك الواحد؛ لأنه لو كان المراد من البعض جماعة من الرسل مجملاً، ومن الدرجات درجات بينهم لصار الكلام تكراراً مع قوله: فضلنا بعضهم على بعض، ولأنه لو أريد بعض فضل على بعض لقال: ورفع بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى في الآية الأخيرة (ورفع بعضكم فوق بعض درجات).

وعليه فالعدول من التصريح بالاسم أو بالوصف المشهور به لقصد دفع الاحتشام عن المبلغ الذي هو المقصود من هذا الوصف، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- والعرب تعبر بالبعض عن النفس^(١).

ولعل من أقوال العرب في التعبير بالبعض عن النفس قول الشاعر لبيد بن ربيعة:

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعلق بعض النفوس حمامها^(٢)

والشاهد هنا أن الشاعر أراد ببعض النفوس هنا نفسه، بمعنى إنني لا أترك الأماكن التي احتويتها وأقلبها إلا أن أموت .

وقول أبي الطيب المتنبّي:

إذا كان بعض الناس سيفاً للدولة ففي الناس بوقات لها وطبول^(٣)

لقد عنى الشاعر ببعض الناس سيف الدولة، بمعنى أنه أراد المخاطب.

(١) ابن عاشور: التحرير والتوير، ج٢، ص ٦.

(٢) لبيد بن ربيعة: الديوان، قدم له عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٤٩.

(٣) أحمد بن الحسين الجعفي (أبو الطيب المتنبّي): الديوان، شرح العكبري، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج٣، ص ١٠٨.

وقول طرفه بن العبد:

إذ القوم قالوا من فتى؟ خلّت أنى عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد^(١)

والمعنى: إذا ناب أمر جليل، فنأدى القوم، فقالوا من لهذا الأمر الجليل ظننت أنى عنيت بذلك فبادرت إليه، ولم أتأمل، ومما يؤكد تلك المفاضلة قوله تعالى: "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا" (الإسراء: ٥٥).

فالمفاضلة بين الأنبياء عند الألويسي في تفسيره روح المعاني: هي بالفضائل النفسانية والمزايا القدسية وإنزال الكتب السماوية لا بكثرة الأموال والاتباع "وأتينا داود زبوراً" بيان لحيثية تفضيله - عليه السلام - وأنه بإيتائه الزبور لا بإيتائه الملك والسلطنة، وفيه إيدان بتفضيل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن كونه خاتم الأنبياء، وأتمه خير الأمم مما تضمنه الزبور، وقد أخبر سبحانه عن ذلك بقوله: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون" يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأتمه: ويقول الألويسي: ونص بعضهم أن هذا من باب التلميح^(٢).

وأشار الزمخشري في الكشاف إلى قوله تعالى: "ورفع بعضهم درجات" فقال: أي ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كبيرة.

ويقول: والظاهر أنه أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر، ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه

(١) طرفة بن العبد: الديوان، تحقيق رحاب خضر عكاوي، دار الفكر، بيروت، ١٩٣، ص ٤٠.

(٢) الألويسي: روح المعاني، ج ٨، ص ٩٥.

الدهر دون سائر المعجزات، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشبهه والمتميز الذي لا يلتبس^(١).

ويعلق ابن عاشور على مفاضلة الرسول صلى الله عليه وسلم - في الدرجات فيقول: "وهذه الدرجات كثيرة منها: عموم الرسالة لكافة الناس، ودوامها طول الدهر، وختمها للرسالات، والتأييد بالمعجزة العظيمة التي لا تلتبس بالسحر والشعوذة، وبدوار تلك المعجزة وإمكان أن يشاهدها كل من يؤهل نفسه لإدراك الإعجاز، وبابتداء شريعته على رعي المصالح، ودرء المفسدات والبلوغ بالنفوس إلى أوج الكمال، وبتيسير إدانة معانديه له، وتمليكه أرضهم وديارهم وأموالهم في زمن قصير، ويجعل نقل معجزته متواتراً لا يجهلها إلا مكابر بمشاهدة أمته لقبره الشريف، وإمكان اقترابهم وائتناسهم به صلى الله عليه وسلم -.

وقد عطف ما دل على نبينا على ما دل على موسى -عليهما السلام- لشدة الشبه بين شريعتهما، لأن شريعة سيدنا موسى أوسع الشرائع مما قبلها، بخلاف شريعة سيدنا عيسى - عليه السلام -^(٢).

وفضل سيدنا محمد أكد أيضاً في سورة سبأ في قوله تعالى مخبراً عن سيدنا داود: " وَكَذَٰلِكَ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلْنَا بِمَا جِبَالٍ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّكَلَةَ الْحَدِيدَ " (سبأ: ١٠).

فقد جاء في روح المعاني للألوسي: أن الله قد أتى سيدنا داود فضلاً، أي نعمة وإحساناً وزيادة على سائر الأنبياء المتقدمين عليه أو أنبياء بني إسرائيل أو على ما عدا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه ما من فضيلة في أحد من الأنبياء عليهم السلام إلا وقد أوتي سيدنا

(١) الزمخشري: الكشاف، ج ١، ص ٣٨٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص ٨.

محمد - عليه الصلاة والسلام - مثلها بالفعل أو تمكن منها فلم يختر إظهارها، أو على الأنبياء مطلقاً" (١).

ومن شواهد التعريض قوله تعالى: "وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَيَّاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ فِي مَرْحَمَتِنَا مَنْ عِنْدَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ

(الأنبياء: ٨٣-٨٤).

فالتعريض هنا في قوله (وأنت أرحم الراحمين) وذلك بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال، فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضاً بسؤاله ولكون ثناء سيدنا أيوب - عليه السلام - تعريضاً بالدعاء، فرع عليه قوله تعالى "فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر" والسين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بأثر كلامه وكشفنا ما به من ضر، إشارة إلى سرعة كشف الضر عنه" (٢).

(١) الألويسي: روح المعاني، مج ١١، ص ١١٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ١٢٧.

الخاتمة:

تناولت الدراسة موضوع الخطاب القرآني للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وقد بينت نظرة اللغويين والبلاغيين والمفسرين لهذا الخطاب حيث لا تكاد تخلو سورة من القرآن إلا وفيها خطاب أو خبر عن نبي، وعن كيفية مخاطبته وتلقيه وتأديته للرسالة الربانية التي كلف بها، وكان الخطاب رسالة تواصلية بليغة وهادفة قوامها اللغة.

وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

إن جميع الأنبياء دعوا إلى وحدانية الله تعالى وإفراده، فتوحدت أساليبهم الدعوية حيث لم يتركوا طريقاً للحوار ومخاطبة العقل والعاطفة إلا سلكوها بغية إنقاذ أقوامهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومع كل ذلك قابلتهم أقوامهم بالرفض والسخرية والاستهزاء.

إن جميع الأنبياء خوطب بحرف النداء (يا)، أما الرسول -صلى الله عليه وسلم- فخوطب (بِيا) النداء مقترنة بـ(أيها) "يا أيها النبي" "يا أيها الرسول"، وصفتي النبوة أو الرسالة لبيان مكانته - صلى الله عليه وسلم- أن أداة النداء (الياء).

كان النداء في الخطاب القرآني للأنبياء واضحاً وجاء بأساليب متعددة كان من أبرزها صرف ذهن المنادى إلى تبليغ الرسالة النهوض بأعبائها، وتحمل مشاق الدعوة وعدم النظر إلى النتائج، وذلك لأن مآلات الأمور ترجع إلى الله وحده، كما حقق الخطاب للأنبياء طرائق دعوية فيها من التلطف والحوار الهادئ مع الخصم، إضافة إلى البشري بالخير والتأييد، حين تصمّ الأقوام آذانهم عن الدعوة ويصل الأمر إلى ذروة العناد ويغدو الحوار مقفلاً.

جاء خطاب الأمر في القرآن الكريم يحمل في طياته الرعاية والعناية والإشفاق والتلطف والمواساة وعدم الابتئاس مما يفعله الكفار من عناد وإجرام وذلك لأن مصير المعاندين إلى زوال.

وقف الدارس على صيغة النهي القياسية والتي أفادت معنى الترك والكف والإعراض، ثم بين دلالة تلك الألفاظ وما تخرج إليه من معانٍ بلاغية متعددة أشار إليها النحويون ومفسرو القرآن، كما حاول الدارس الوقوف عند بعض الشواهد القرآنية التي تؤكد أن صيغة النهي قد خرجت إلى معانٍ جديدة.

إن الحذف والعطف والتوكيد جاء الخطاب القرآني للأنبياء مترابطاً ومنتاسباً مع السياق والإعراب، وكان معربو القرآن ومفسروه يلجأون إلى الربط بين المعنى والإعراب من خلال البناء السياقي للخطاب.

لم يقف اللغويون والبلاغيون عند ألفاظ الأمر والنهي والنداء في الخطاب القرآني على أن تلك الصيغ مسلمات أفادت الاستعلاء والحرمة والكرهية والاستحباب، بل تعدى ذلك عندهم إلى دلالة ومعنى تلك الصيغ، وتعدى ذلك إلى أغراض تناسب فهمهم للخطاب، مما جعل الدارسين يسعون إلى فهم جديد للخطاب.

بين الدارس أن أهداف الخطاب القرآني للأنبياء كانت تغيير المعتقدات على المعتقدات والاتحرافات والأباطيل التي حكمتها الأهواء البشرية وشرعة الأقوياء والجبابرة والمتسلطين على الضعفاء، والتي فتنت المجتمعات وجعلتها واهنة وضعيفة، فكان الخطاب القرآني للأنبياء جميعهم أداة تغيير فاعله في واقع تلك المجتمعات، حين كُلف الأنبياء على اختلاف الأزمان بهدم كل المعتقدات والقيم الفاسدة الوضعية وبناء المجتمعات الربانية الداعية إلى الوحدانية والأخوة والعدل والمساواة.

جاءت الصورة البلاغية في خطاب الأنبياء دقيقة وواضحة ومؤدية للمعنى بإيجاز،
كما أنها كانت تشخص وتجسم المعنى وتترك أثراً في النفس، ورأينا أن الصورة مستمدة من
البيئة ليس فيها غرابة بل هي بسيطة غير معقدة، عناصرها ومشاهدتها من الطبيعة ومن أمثلة
ذلك (الماء، النار، الجبل، السفينة، العصا، الهشيم، الرياح)، ولا نكاد نجد تشبيهاً أو استعارة أو
كناية إلا وفيها من الألفاظ المختارة والمعبرة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تفسير الآيات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصفحات التي وردت فيها الآية	السورة	رقم الآية	الآية
٨١	الرعد	١١	لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
٨١	النحل	١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِحِي هِيَ أَحْسَنُ لِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
٨١	الحجرات	١٣	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
٨٢	هود	٥٠-٤٩	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ
٨٢	هود	٢٧	وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَادِبِينَ
٨٢	الشعراء	١١١	قَالُوا أَأُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ
٨٣	المؤمنون	٢٤	مَا هَذَا إِلَّا بُشْرٌ مِثْلَكُمْ بَرِيدٌ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَيْكُمْ
٨٣	هود	٣١-٢٨	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي كُنتُمْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رِبِيِّ وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا كُتُوبَهَا وَأَتَمَّمْنَا كَأْرَهُونَ
٨٣	هود	٣٠-٢٩	مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ تَجْهَلُونَ
٨٣	هود	٣٧	وَأَصْحَابُ الْفَلَكِ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ
٨٣	هود	٤٢	يَا بَنِي آدَمَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ
٨٤	هود	٤٦	إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
٨٤	هود	٤٧	قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْزِلِي وَتَرَحَّمِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
٨٥	مريم	٤٥-٤١	إِذْ قَال لَأُيَبِّهَنَّ يَا أَبَتِ لِمَ تَقْبُدُنَا مَا لَا نَسْمَعُ وَلَا نُبْصِرُ وَلَا يُعْزِلُنَا عَنْكَ شَيْئًا
٨٥	هود	٦٩	قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا
٨٧، ٨٦	هود	٧٦	يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ
٨٦	هود	٧٤-٧٣	فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ
٨٧	الأعراف	٨٤-٨٠	وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ
٨٨	الحجر	٦٦-٦٥	فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْمُكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُ إِبْنَةٌ مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعَدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ
٩٠، ٨٩	الأعراف	٨٦-٨٥	وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِهَا شُعْبًا قَالُوا يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
٩٢	القصص	٤	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شُعْبًا يَسْتَغْفِرُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِجُ أَوْلَادَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

٩٢	الزخرف	٥٦-٤٦	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
٩٣	البقرة	٢١٥	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِلِينَ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
٩٨	الكهف	٥٤	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدًّا
٩٤	البقرة	٢١٩	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
٩٥	هود	١١٧-١١٧	فَأَسْتَفْتِهِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ الْكَارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ
٩٩	إيراهيم	٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِنُكَفِّرَ بِسَبِّهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِشَاءٍ وَيَهْدِي مِنَ شَاءٍ
١٠٠	الكهف	١١٠	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
١٠٠	إيراهيم	١١	قَالَتْ لَهُمْ مَرْسَلُهُمْ إِنِ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
١٠٠	يوسف	١٠٩	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ
١٠٠، ١٠١، ١٩٧،	النازعات	٢٦-١٥	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّمِ صَلَوَىٰ (١٦) إِذْ هَبَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
١٠٢	البقرة	٦٧	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
١٠٢	البقرة	٧٣-٧١	قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنِ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ تَلَوَّتْ بِشَرِّ الْأَرْضِ وَكَانَتْ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَرِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْإِنِّ جَنَّتْ بِالْحَقِّ فذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ
١٠٤	المائدة	-١١٦ ١١٧	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْيَهُودِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ
١٠٦	يونس	٣٥-٣٤	قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكِكُمْ مِمَّنْ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى يُؤْفِكُونَ
١٠٧	هود	٤٢-٣٦	وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنْذَرْنِ يَوْمَ مَنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تُؤْنِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
١٠٧	هود	٣٧	وَاصْصِعِ الْفَلَكَ يَا غَيْثَنَا وَوَحْيَنَا
١٠٨	هود	٤٧-٤٥	وَأَدَّي نُوْحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ
١٠٧	هود	٢٧	وَكَأَيُّ تَخَاطُبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا
١٠٩، ١٩٩	هود	٤٨	قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْرٌ

رقم الآية	السورة	الصفحات التي وردت فيها الآية	الآية
٤٤	هود	١١٠	لَسْتَ لَهُمْ نَذِيرٌ وَمَا كَانَ لَكُمْ بِهِ عَدَابٌ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِي
٧٤-٨٠	الأنعام	١١١	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ أَمْرًا اتَّخَذَ اصْتِمَاءَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ وَأَتَّقِي ضَلَالِ مِثْلِي
٧٦	الأنعام	١١٢	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْبَاطِلِينَ
٧٢	الأنعام	١١٢	فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
٧٨	الأنعام	١١٣	فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
٢٦٠	البقرة	١١٣	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّرُ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
رقم الآية	السورة	الصفحات التي وردت فيها الآية	الآية
٢٦٠-٢٦١	البقرة	١١٤	فَخَذَ مِنْهُم مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرُوهنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جَبْرًا ثُمَّ أذْعُنْ بِأَنفِكَ سَعِيرًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
٤٦-٤٧	سبأ	١١٤، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥	قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشِيًّا وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ
١٩٩	الأعراف	١١٦	خُذِ الْعَصَا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
١٩٧-١٩٥	الأعراف	١١٧	قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ
١٥٤	آل عمران	١١٩	قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
٢٦	فصلت	١١٩	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوَىٰ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ
٤٧	الإسراء	١٢٠	نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعْبُونَ آلَ مَرْجَلًا مَّسْحُورًا
٤١-٤٥	مريم	١٢١	وَإِذْ كَرَّمْنَا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَديقًا نَبِيًّا
٤٣	مريم	١٢٢	يَا آتَىٰ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا
٤٩	القصص	١٢٥	قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَن تَتَّبِعُنَّ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
٢٤-٢٧	سبأ	١٢٦	قُلْ مَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَلَكٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
١-٢	الكافرون	١٢٧	قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ
٤٢-٤٤	طه	١٢٨	أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَكَانَ تَبْيَاحِي فِي ذِكْرِي
٤٩-٥٠	طه	١٢٩	قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ

١٢٩	طه	٤٧	قَدْ جِئْنَاكَ يَا بَنِي مَرْيَمَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَيْمَنِ الْهُدَى
١٣١	الشعراء	١١-١٠	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمٌ فَرُوعُونَ الْأَبْتُونَ
١٣١	آل عمران	٣٩	فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَبَيِّنًا مِنَ الصَّالِحِينَ
١٣١	الصفات	١٠١	فَبَشِّرْهُ بِبَنِيهِ عَلَيْهِ
١٣١	مريم	٧	يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ ابْنُ بَشِيرٍ بِبَنِيهِ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
١٣١	الحجر	٥٣	قَالُوا لَا تَوْحَلْ إِيَّا بَشِيرٍ عَلَيْهِ
١٣١	الأحزاب	٤٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
١٣١	هود	٧١	فَبَشِّرْهُنَّ بِمَا لِيَسْحَقْنَ مِنْهُنَّ وَرَمَاهُ إِسْحَاقُ بِعُتُوبٍ
١٣١	آل عمران	٣٨	هَذَاكَ دَعَا نَزَرَ كَرِيماً رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ
١٣٢	الشورى	٥٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَرْحَمًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَكُنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يُهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
١٣٣	الحاقة	٣-١	الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

الصفحة التي وردت فيها الآية	السورة	رقم الآية	الآية
١٣٣	الانفطار	١٧-١٨	وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ
١٣٤	المرسلات	١٤	وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ
١٣٤	النمل	٣٤	إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوهَا عِزَّةً أَهْلِهَا أَذْنَةً
١٣٤	المائدة	٢٠	إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
١٣٥	آل عمران	٢٦	قَالَ اللَّهُ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
١٣٥	يونس	٣١	قَالَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ
١٣٥	المائدة	١٧	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
١٣٦	الأعراف	١٨٨	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَتُوكِنْتُ غَلْمَ النَّبِيِّ لَأَسْتَكْفُرَنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
١٣٦	سبأ	٢٢	قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زُرِعْتُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَلِمٍ
١٣٧	القيامة	٢٤-٢٥	وَوَجْهَهُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ
١٣٧	النمل	٧٠	وَمَا تَخْزَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
١٣٧	آل عمران	١٧٦	وَمَا يَخْزَيْكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
١٣٧، ١٣٨	المائدة	٤١	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
١٣٨	يوسف	٨٤	وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْخُرْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ
١٣٨	يوسف	٨٦	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
١٣٨	هود	٣٦	وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
١٣٩	نوح	٥-٧	قَالَ رَبِّ ابْنِي دَعْوَتَ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمَّا بَرَزَتْهُمُ دَعْوَاتِي إِلَّا فَرَارًا

الصفحة التي وردت فيها الآية	السورة	رقم الآية	الآية
١٤٣	آل عمران	١٢	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُونَ وَخَشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَسَّسَ الْمَهَادُ
١٤٢	آل عمران	١١٩	هَآأَسْرُ أَوْلَآءَ نَحْبُهُمْ وَلَا يَحْيُونَكَ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوا لِقَاؤَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
١٤٣	آل عمران	١٢	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُونَ وَخَشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَسَّسَ الْمَهَادُ
١٤٣	النازعات	١٧-١٨	أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ قُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَرَكَى
١٤٣	هود	٣٥	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ
١٤٣	القمر	٢٧	إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَمْرِ شَيْبُهُمْ وَأَصْطَبِيرُ
١٤٣	طه	٢١	قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُنَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ
١٤٣، ١٤١	الأعراف	٩٩	خُذِ الْعَصَا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
١٤٨، ١٤٤	هود	٣٧	وَاصْصِعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا ووَخِينَا وَكَآ تَخَاطَبِينِي فِي الذِّينِ ظَلَمُوا إِلَهُمْ مُفْرَقُونَ
١٤٤	الغاشية	٢٣	فَذَكَّرْنَا بِمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
١٤٤	مريم	٣٩	وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
١٤٤	نوح	١	إِنَّا أَمْرُسُكُنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
١٤٤	الكهف	٢٧	وَآتَىٰ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ
١٤٤	الشعراء	٦٩	وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ تَبَا بَرَاهِيمَةَ
١٤٤	النحل	١٢٥	ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِآتِي مِمْ أَحْسَنُ
١٤٤	هود	١٢	إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَالٍ
١٤٤	النحل	١٢٣	ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
١٤٥	النازعات	٤٥	إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِمَّنْ يَخْشَاهَا
١٤٥، ١٩٥، ٢٠١	المؤمنون	٥١	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
١٤٦	العلق	١٩	كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ
١٤٧	الأحزاب	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
١٤٨	هود	٤٠-٣٦	وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَيْسَسُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْصِعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا ووَخِينَا وَلَا تَخَاطَبِينِي فِي الذِّينِ ظَلَمُوا إِلَهُمْ مُفْرَقُونَ
١٤٨	البقرة	٣٦	وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَكَفَرُوا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقِرًّا وَمَسَاجِدًا إِلَىٰ حِينٍ

الصفحات التي وردت فيها الآية	السورة	رقم الآية	الآية
١٤٩	الأنعام	١٥٠	قُلْ هَلْ مِنْكُمْ شَيْءٌ كَسِبُوا مِنْهُ لَمْ يَلْبَسُوهُ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا لَا يَوَدُّونَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَنْكُم بَرَكَةٌ كَيْفَ يَهْتَدُونَ
١٤٩	البقرة	١١	قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
١٤٩	النور	٥٨	لَيْسْتَ أَذَىٰ كَرِيمٌ الَّذِينَ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ عَاقِبَةٌ أُخْتًا إِذِ الصَّالِحِينَ كَانُوا أَزْوَاجًا ثَمَرًا
١٤٩	القلم	٤٠	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ
١٥٠	مريم	٧٥	قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا مَرَّؤَاتٍ مَّا يُوْعَدُونَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَلَمَّا أَصْعَقْنَا مَرْيَمَ وَضَعَتْ بِهَا حَبْلًا فَتَرَ حَبْلًا هُنَّ لَهَا رِيَابٌ وَإِلَىٰ رَبِّهَا فَهَوَىٰ
١٥٠	الغاشية	٢١	فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ
١٥٠	المزمل	٨	وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبِئْسَ إِلَهًا ثَبِيلًا
١٥١	المؤمنون	٢٧	فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْمَعْ فَالْمَلِكُ أَصْبَحَ وَوَحْيُنَا وَوَحْيُنَا فَأَاجَأَ أَمْرًا وَقَامَرُ التَّوْبَىٰ فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَا تَخَاطَبَتِ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ
١٥٢	الذاريات	٥٥-٥٤	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
١٥٢	النحل	١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِي هَيِّئْ لِي سَبِيلًا وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
١٥٣	البقرة	٩٤-٩٥	قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّامِرُ الْبَاطِلُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا بِالْمَتِّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَإِنْ يَسْتَوْهُوا بِنُفْسِكُمْ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مِمَّا حَمَلْتُمْ وَأَنْذِرْ لِقَوْمٍ لَّهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
١٥٤	البقرة	٩٧-٩٨	قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ
١٥٥	آل عمران	١٢-١٣	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا يَرْجُوا إِلَى اللَّهِ جَنَّةً
١٥٩	الأنعام	٩١	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طَبِيسَ يُدَوِّبُهَا وَيُخْفُونَ كَيْفًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَأَنْتُمْ كَانُوا لِلَّهِ لَدُنْكُمْ فِي حُجُوبٍ لَبِيبُونَ
١٥٦	التوبة	٥٣	قُلْ أَتَقْرَأُونَ مَا نَزَّلْنَا مِنْكُم مِّنْ آيَاتِنَا فَاسْتَفْتَيْتُمْ تَوْبًا
١٥٨	الإخلاص	٤-١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
١٥٨	الأنفال	١٩	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
١٥٩	الزخرف	٣٤	قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَنَاءُ أُولِ الْعَالَمِينَ
١٦١	العلق	٩-١٠	أَمْ رَبَّكَ الَّذِي يَهَيِّئُ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى
١٦١	الأنفال	٣٩	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحات التي وردت فيها الآية
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَسْرَامُ لَا مَرْجِسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	٩٠	المائدة	١٦٢
فَلَمَّا لَا تَخَفُ بِكَ أَنْتَ الْأَعْلَى	٦٨	طه	١٦٤
فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ	٤٦	هود	١٦٤
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَتَرَوُجُكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنْ الْجَنَّةِ تَشْفَى وَلَا تَقْرَبْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ	١١٧	طه	١٦٤
فَلَمْ تَقْرَبْهَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ	٣٥	البقرة	١٦٤
فَالَّذِي دَعَاكُمْ فَمَا تَعْلَمُونَ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	٨٩	يونس	١٦٥
سَسْفُوكَ فَلَا تَتَسَى	٦	الأعلى	١٦٥
وَقَالُوا مَرْبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا	٦٧	الأحزاب	١٦٦
كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ	٢	الأعراف	١٦٦
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا	٦٣	النساء	١٦٨
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	٢٩	النجم	١٦٨
يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ مَرِيكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ	٧٦	هود	١٦٩
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ	٢٩	يوسف	١٦٩
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مِنْ تَطْرَفٍ	٣٠	السجدة	١٦٩
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	١٩٩	الأعراف	١٧٠
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	٩٤	الحجر	١٧٠
وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرِيفَةً الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يُسْكَتَ نَفْسُ بِنَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَدُلُّ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ	٧٠	الأنعام	١٧٠
وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَمَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ	٨٦	التوبة	١٧٠
فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ هَذَا الْحَدِيثِ سَسْتَنْدِرُ بِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ	٤٤	القلم	١٧٠

١٧٠، ١٧١	المدثر	١١	ذُرِّيهِ وَمَنْ حَفَّطَهُ وَحِيدًا
١٧٠	البقرة	٢٧٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ
١٧٠	غافر	٢٦	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
١٧٠	يوسف	٤٧	قَالَ تَرْمَعُونَ سِتْرِي سِتْرِي دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُونِي فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ
١٧٠	المعارج	٤٢	فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ
١٧١	المنافقون	٤	وَإِذَا مَرَّ بِتَنْجِيكٍ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خَشَبٌ مُسْتَدْرَجٌ يَخْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَآخِذْ بَعْضُهُمْ فِتْنَتَهُمُ اللَّهُ إِنِّي بِؤْتِسُونَ
١٧٢	الدخان	٢٤	وَأَتْرَكَ الْبَخْرَ رَهْوًا إِنَّهم جندٌ مُّعْرِضُونَ
١٧٣	الكهف	٦	فَلَمَّا كَبُحَ نُفَسِكْ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا
١٧٣	الشعراء	٣	لَمَّا كَبُحَ نُفَسِكْ الْآيِكُونَا مُؤْمِنِينَ
١٧٣	هود	١٣	فَلَمَّا كَامَرَكَ بَعْضُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلِ عَلَيْنَا كِتَابًا مِنْ رَبِّكَ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
١٧٤	الأعراف	٢٠٣	وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعْتُ مِيقَاتِ اللَّهِ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
١٧٥	المدثر	٦	وَمَا تَنْتَ تَسْتَكْفِرُ
١٧٧، ٢٠١	هود	٤٦	قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
١٧٨	الكهف	٢٣	وَمَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا
١٧٨	التوبة	٨٠	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
١٨٢، ١٨٨	الأحزاب	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

١٨٢، ١٩١	الطلاق	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهََ مَرْبِعَكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِقَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْمِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا
١٨٣	التحريم	١	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ لِيُبَيِّنَ مَرْضَاتَ أَمْرَأَتِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
١٨٣، ١٨٥	المزمل	٢-١	يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا
١٨٣، ١٨٥، ٢٠٠	المدثر	٢-١	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ
١٨٣	المائدة	٤١	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
١٨٨	الأحزاب	٤٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَمْسَكْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
١٨٨، ٢٠١	التحريم	٩	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَظْمُورِينَ
١٨٨	الأنفال	٦٤	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
١٨٨	المتحنة	١٢	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِعَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يُقْتَلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهَيْئَانٍ يَفْتَرِيَنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِحِهِنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
١٨٨، ١٩١، ٢٠٠	المائدة	٦٧	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
١٨٨	المائدة	٤١	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
٥٩	الأحزاب	٤٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَمْسَكْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
١٨٩	الأحزاب	٥٩	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَمْرَأَتُكَ وَأَبْنَاؤُكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
١٨٩	الأحزاب	٢٩	وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَمَسْئُولَهُ فَالذَّامِرَ الْبَاحِرَةَ فإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِمَّنْ أَنْجَسْنَ أَجْرًا عَظِيمًا
١٩١	المائدة	٦٧	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

١٩١	الأطفال	٦٥	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
١٩٢	البقرة	٣٥	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ
١٩٢	هود	٤٨	قَبْلِ يَا نُوحُ اهْبِطْ سَلَامًا مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّهَ سَنُنَفِّسُهَا فِي الْبِحَارِ سَهْمًا غَابِغًا
١٩٢، ١٩٧	الصافات	-١٠٤ ١٠٥	وَأَدَّبْنَاهُ إِنْ يُرِيدُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا
١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠	ص	٢٦	يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ
١٩٢، ١٩٤، ٢٠١	مريم	٧	يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
١٩٢، ١٩٤	الأعراف	١٤٤	قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي
١٩٢، ١٩٥	آل عمران	٥٥	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُزُقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
١٩٣	هود	٤٧	قَالَ رَبِّ ابْنِي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
١٩٧	الشعراء	١٠	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
١٩٧	مريم	٥٢	وَأَدَّبْنَاهُ إِنْ يُرِيدُ
١٩٧	طه	١١	فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي يَا مُوسَى
١٩٧، ٢٠١	النمل	٨	فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسَبَّحَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
١٩٧	القصص	٣٠	فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
١٩٩	الأعراف	١٥٨	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا تُولُوا بِاللَّهِ وَمَرْسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ
١٩٩	المائدة	١١٠	قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُزُقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ

			مَرَجِعُكُمْ فَأَخْكُم بِكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
٢٠٠	مريم	١٢	يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَيُّهَا الْحُكْمُ صَبِيحًا
٢٠٢	مريم	٧-٢	إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ ابْنِي وَمِنْ الْعِظَمِ مِنِّي وَاشْعَلِ الرَّأْسَ شَيْبًا وَكَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْعَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَكِيًا ﴿٥﴾ يَرْبُّنِي وَيَرْبِّثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا مَرْكَبًا إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
٢٠٢	الصفات	١٠١	فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
٢٠٢	الصفات	١١٢	وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحات التي وردت فيها الآية
وَصَوَّرَكُمُوهَا فَحَسَّنْ صُورَكُمْ	٦٤	غافر	
هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ	٦	آل عمران	
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ	١	الأعراف	
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ	٢٤	الحشر	
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ مِرْيَكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَبِي صُورَةٍ مَا شَاءَ مَرَكَبَكَ	٨-٦	الانفطار	
وَمَا تَلَكَ بِمِيبِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَمْشِي بِهَا عَلَى عَنَتِي وَلِي فِيهَا مَبْرَبٌ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَفَهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبِيبَةٌ تُسَمَّى	٢٠-١٦	طه	٢٠٠
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَكَأَنَّكَ كَاصِحُّ الْهُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَّامَرَكُمُوعَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْقَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ	٥٠-٤٨	القلم	
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْسِ مِنَ الرُّسُلِ وَكَأَنَّكَ تَسْتَعْجِلُ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا يَوْمَ يُعَدُّونَ لَهَا يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ	٣٥	الأحقاف	
طَلَعَهَا كَأَنَّهَا مِنْ شَيْطَانٍ	٣٥	الصفافات	
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا نُهْزًا كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكَرِهَ يَعْثُبُ بِهَا مُوسَى أَقْبَلَ وَكَأَنَّكَ تَخَفُ مِنْكَ مِنَ الْإِيمَانِ	٣	القصص	
قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتِخَذُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ	١٦	الرعد	
وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَسِّرُ لَكَ الْقُرْآنَ وَيُفَسِّرُ لَكَ عَنَتَكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أُنْتَهَى عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	٦	يوسف	
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ	٢	يوسف	

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحات التي وردت فيها الآية
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ أَرَىٰ بُرْهَانَ رَبِّي كَذَلِكَ لَنَصْرَفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ	٢٤	يوسف	
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجِئْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ	٨٨	الأنبياء	
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتْرَكَةً أَنهَىٰ جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْمِرًا وَكَذَلِكَ يُعَذِّبُ يَا مُوسَىٰ لَأَن تَخَفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّْ الْمُرْسَلُونَ	١٠	النحل	
وَكَأَنَّ سُبُوِي الْحَسَنَةَ وَكَأَنَّ السَّيِّئَةَ اذْفَعُ بِأَلْبِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ	٣٤	فصل	
وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنتَرَفْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِنَّ تِبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْمُرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا	٤٥	الكهف	
وَكَذَا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيثَاتَا وَكَذَلِكَ مَرَّبُهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي بِالنَّارِ لِنُ تَرَانِي وَكَذَلِكَ اُنْظُرِ اِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَمَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ مَرَّبُهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتِ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ	١٤٣-١٤٢	الأعراف	
وَأَلَّ عَلَيْهِمْ بَأُ الَّذِي اِيْتَاهُ اَبَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (١٧٥) وَكَوْثُرًا لِرَفْعَتَاهُ بِهَا وَكَذَلِكَ اُخْلِدُ اِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَكَلَبَهُ كَمَلِ الْكَلْبِ اِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ اَوْ تَسْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ	١٧٦-١٧٥	الأعراف	
كَتَابُ اُنْزِيلَانِ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَى صِرَاطٍ الْعَرْشِ الْحَمِيدِ	١	إبراهيم	
وَإِذَا مَرَّ اَبْتُ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْتَدُ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ	٦٨	الأنعام	
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَافًا وَكُفْرًا وَتَفَرُّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُفْرًا صَادًا لَعَنَ حَامِرُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَنْ قُتِلَ وَكَيْفَ لَمْ يَنْ أَرَدْنَا اِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ اِبْنَهُمْ لَكَاذِبِينَ (١٠٧) لَا تَقْعُدُ فِيهِ اَبْدًا لِمَسْجِدٍ اُسِّسَ عَلَى التَّفْوِيهِ مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ اَحَقُّ اَنْ يُقَوْمَ فِيهِ فِيهِ مَرَجَالٌ يُجُونَ اَنْ يَطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) اَفَقَنَّ اُسِّسَ بُيَاتَهُ عَلَى تَفْوِيهِ مِنْ اللَّهِ وَرَضُوَانِ خَيْرٍ اَمْ مِنْ اُسِّسَ بُيَاتَهُ عَلَى شَنَا حُرْفٍ هَامٍ فَاتَّهَمَ بِهِ فِي نَامِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	١٠٩-١٠٦	التوبة	

الصفحات التي وردت فيها الآية	السورة	رقم الآية	الآية
	المائدة	١٠٠	قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَا أَبْغَضَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
	نوح	٧-١	إِنَّا أَمَرْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمَّ بَرَزَهُمْ دَعَايَ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَنْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
	العلق	١٩	كَلَّا لَا تَطْلَعُ وَالسَّجْدُ وَاقْتَرِبُ
	الحجر	٩٨-٩٧	وَلَقَدْ تَلَّمْنَاكَ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ
	المزمل	٢-١	يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلِّ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِذَا قَلِيلًا
	الإنسان	٢٦	وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا
	طه	٤٠	فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَنْرَيْهَا وَكَأ تَحْزَنَ
	العلق	١٧-١٨	فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَدِّحِ الرَّيَّانِيَةَ
	الإسراء	٢٨	وَإِذَا تَرْضَى عَنْهُمْ آتِنَاهُمْ مَرْحَمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا
	التوبة	٤٣	عَمَّا اللَّهُ عَنكَ لَمْ آذَنْتْ لَهُمْ حَتَّى يَسِينَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَلَّمْنَا الْكَافِرِينَ
	المائدة	٧٥	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا بِأَكْثَانِ الطَّعَامِ
	الحجرات	١٤	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَكُنْ قَوْلُوا أَسَلْنَاكُمْ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
	يونس	٦٥	وَلَا يَخْرُجُ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

المصادر والمراجع

© Arabic Digital Library - Yamouk University

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٢- إبراهيم مصطفى (وآخرون)، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٧٢، ط٢.
- ٣- إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩.
- ٤- أحمد بن الحسين الجعفي (أبو الطيب المتنبى): الديوان، شرح العكبري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ٥- أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩.
- ٦- أحمد محمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ٧- أحمد محمد الفيومي: المصباح المنير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٨- أحمد بن محمد بن يعقوب (مسكويه): من تهذيب الأخلاق، قدمه سهل عثمان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١.
- ٩- أحمد هندراوي هلال: المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٠- أرسطوطاليس: فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١١- الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
- ١٢- إسحاق بن إبراهيم بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجه الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٩٧م.

- ١٣- إسماعيل حقي: تفسير روح البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٤- إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م، ط٢.
- ١٥- امرؤ القيس: الديوان، شرحه عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ٢٠٠١.
- ١٦- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (أبو البقاء): الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢، ط٢.
- ١٧- بدر الدين محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق عبد الرحمن المرعشلي (وآخرين)، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٨- بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢.
- ١٩- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر، خرج آياته عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠- بسيوني عبد الفتاح: علم المعاني، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٢١- بكرى عبد الكريم: الزمن في القرآن الكريم، دار الفجر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩.
- ٢٢- بول ريكود نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغامدي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٣م.
- ٢٣- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، هيئة الكتاب، مصر، ٢٠٠٣.
- ٢٤- جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢٥- _____: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق أحمد القيسية، مؤسسة النداء، الإمارات، ٢٠٠٣.

٢٦- _____: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار

الفكر العربي، د.ت.

٢٧- _____: همع الهوامع، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال مكرم، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٨- جمال الدين (ابن الحاجب): كتاب الكافية في النحو، شرحه رضي الدين محمد بن

الحسن الأسترايادي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٩- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية

العامة، مصر، ١٩٩٨.

٣٠- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، دار

الكتب الشرقية، د.ت.

٣١- الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد، دار الجيل، ١٩٨٢، ط٤.

٣٢- الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة،

ومحمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

٣٣- حسن كامل البصير: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، المجمع العلمي العراقي،

بغداد، ١٩٨٧م.

٣٤- حسن محمد ربابعة: الصورة الفنية في شعر البحتري، المركز القومي للنشر، اربد،

٢٠٠٠.

٣٥- حسين نصار: إعجاز القرآن (الفواصل)، مكتبة مصر، الفجالة، ١٩٩٩.

٣٦- حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية في المصطلح، ضمن كتاب نظريات الحجاج

في التقاليد الغربية.

٣٧- حمد بن محمد (أبو سليمان الخطابي): ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد

خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د.ت.

٣٨- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار

الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ط٥.

٣٩- خلود العموش: الخطاب القرآني (دراسة في العلاقة بين النص والسياق)، عالم الكتب

الحديث، أريد، ٢٠٠٥م.

٤٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٣م.

٤١- ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة

الأكاديمية، دم، ٢٠٠١.

٤٢- الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دار

الكتب العلمية، ٢٠٠٤.

٤٣- رجاء عيد: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

٤٤- رمزي البعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية للعلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٤٥- الزجاج: إعراب القرآن، الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤٦- زين الدين، محمد بن أبي بكر (الرازي): مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت،

١٩٨٨م.

٤٧- سعد الدين (التفتازاني): شروح التلخيص، دار الإرشاد، بيروت.

٤٨- سعد كموني: الخطاب القرآني (القرآن مرجعية الخطاب النهضوي)، المركز الثقافي

العربي، المغرب، ٢٠٠٨.

٤٩- أبو السعود حسين الشاذلي: العناصر الأساسية للمركب الفعلي وأنماطها من خلال

القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٥٠- سعيد بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية العالمية للنشر،

القاهرة، ١٩٩٧.

٥١- سمير شريف استيتية: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث،

أربد، ٢٠٠٥م.

٥٢- _____: اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت، ٢٠٠٢م.

٥٣- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، شرح عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي

صبيح، الأزهر، ١٩٦٩.

٥٤- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩م.

٥٥- _____: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢م، ط١٧.

٥٦- شرف الدين الحسن بن محمد (الطبيبي): التبيان في البيان، علق عليه يحيى مراد، دار

الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٥٧- الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٥٨- شهاب الدين السيد (الألوسي): تفسير روح المعاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٩- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة،

٢٠٠٠م.

٦٠- صلاح الخالدي: القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨م.

٦١- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢.

- ٦٢- طرفة بن العبد: الديوان، تحقيق رحاب خضر عكاوي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
- ٦٣- عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، مطبعة الاستقلال، القاهرة، د.ت.
- ٦٤- عبد الرحمن بن بكر السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، حققه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، ١٩٧٥م.
- ٦٥- أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان (ابن النقيب): مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- ٦٦- عبد الرحمن حسن حنبلية: البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.
- ٦٧- عبد الرحمن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تحقيق محمد إبراهيم البنبا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤، ط٢.
- ٦٨- عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسة والترجمة، حلب، ٢٠٠١م.
- ٦٩- عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٧٠- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- ٧١- عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، دار الفكر العربي، الأزهر، د.ت.
- ٧٢- عبد الفتاح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان، ١٩٨٣م.
- ٧٣- عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ط٣.
- ٧٤- _____: الصورة الفنية في النقد الشعري، مكتبة الكتاني، إربد، ١٩٩٥.

٧٥- عبد القاهر الجرجاني؛ أسرار البلاغة، تعليق حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٦- _____: دلائل إعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،

٢٠٠٤، ط ٥.

٧٧- عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر، د.ت.

٧٨- عبد الله جمال الدين (ابن هشام): المغني اللبيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

٢٠٠١م.

٧٩- عبد الله محمد الجبوسي: التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني، دمشق، ٢٠٠٦.

٨٠- عبد الملك مرتاض: النص الأدبي (من أين وإلى أين) ديوان المطبوعات الجامعية،

الجزائر، ١٩٩٩.

٨١- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، دار الكتب الجديدة، بيروت،

٢٠٠٣م.

٨٢- عبد الوهاب (أبو صفية الحارثي): دلالة السياق، دائرة المكتبات والوثائق الوطنية،

عمان، ١٩٨٩م.

٨٣- عبد بن مسلم (الدينوري): تأويل مشكل القرآن، علق عليه إبراهيم شمس الدين، دار

الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

٨٤- عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٥- عزيزة فوال بابني: المعجم المفصل في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م،

ط ٢.

٨٦- ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن: المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق محمد كامل
بركات.

٨٧- أبو عمر بحر بن عثمان (الجاحظ): كتاب الحيوان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٨- علي الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٩- علي بن أبي طالب أحمد الأمدي (سيف الدين): الإحكام في أصول الأحكام، ضبطه
إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٠- علي بن عيسى (الرماني): رسالتان في اللغة، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر،
عمان، ١٩٨٤م.

٩١- علي بن مؤمن الإشبيلي (ابن عصفور): شرح جمل الزجاجي، قدم له فواز الشعار، دار
الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٢- عمرو بن عثمان (سيبويه): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة،
١٩٨٣م، ط٣.

٩٣- بن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن، دار الضياء للنشر، عمان، ٢٠٠٦.

٩٤- فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ٢٠٠٤، ط٣.

٩٥- أبو الفداء إسماعيل (ابن كثير): تفسير ابن كثير، دار المفيد، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

٩٦- ابن جني (أبو الفتح): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العربي،
بيروت، ١٩٥٢.

٩٧- فخر الدين ضياء الدين (الرازي): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، دم،
١٩٨١.

٩٨-الفضل بن الحسن الطبرسي؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي

المحلاتي، وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت.

٩٩-الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.

١٠٠-أبو القاسم جار الله محمود (الزمخشري): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل

في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٠١-أبو القاسم الأنصاري (السجلماسي): المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق

علال الغازي، مكتبة العارف، الرباط، ٢٠٠٦.

١٠٢-قدامة بن جعفر: نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

١٠٣-كريم حسين ناصح الخالدي: الخطاب النفسي في القرآن، دار صفاء للنشر، عمان،

٢٠٠٧.

١٠٤-كمال بشر: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

١٠٥-_____: علم الأصوات، دار غريب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ط١٦.

١٠٦-كمال الدين (ابن الأنباري): أسرار العربية، تحقيق بركات يوسف هبود، دار الأرقم،

بيروت، ١٩٩٩.

١٠٧-لبيد من ربيعة: الديوان، قدم له، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.

١٠٨-مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة

لبنان، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠٩-محب الدين محمد (الزبيدي): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت.

١١٠-محمد بن أحمد الأنصاري (القرطبي): تفسير الجامع لأحكام القرآن، تحقيق محمد

بيومي وعبد الله المنشاوي، مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت.

١١١- محمد بن جرير (الطبري): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف، القاهرة،

١٩٧٢.

١١٢- محمد بن الحسن (ابن دريد): جمهرة اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.

١١٣- محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٧.

١١٤- محمد خير بقاعي: دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب،

١٩٩٨م.

١١٥- محمد رجب البيومي: البيان القرآني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠١.

١١٦- محمد شعبان علوان: من بلاغة القرآن، الدار العربية للنشر، القاهرة، ١٩٨٨م، ط٢.

١١٧- محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢.

١١٨- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، دار الفارس، عمان، ١٩٩٩.

١١٩- _____: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠، ط٤.

١٢٠- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٢١- محمد الغزالي: نظرات في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٥.

١٢٢- محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

١٢٣- محمد أبو موسى، التصوير البياني، دار التضامن للطباعة، القاهرة، ط٢.

١٢٤- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتوير، دار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٧،

د.ت.

١٢٥- محمد أبو نصر (الفارابي): كتاب الحروف، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

١٢٦- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.

١٢٧- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت،

١٩٨٧.

١٢٨- محمد كريم الكواز: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن، دار المكتبة الوطنية،

بنغازي، ١٩٩٧.

١٢٩- محمد بن سهل السراج: الأصول في النحو، تحقيق عبد المحسن الفتلي، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م/ ط٣.

١٣٠- محمد بن عبد الملك (ابن مالك): الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحقيق محمد

حسن عواد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.

١٣١- محمد بن علي (الشوكاني): فتح القدير، ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠٣.

١٣٢- محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود): إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن

الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٣- محمد محمود القاسم: البلاغة القرآنية، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٥م.

١٣٤- محمد موسى حمدان: أدوات التشبيه ودلالاتها واستعمالاتها في القرآن، دار وهبة،

القاهرة، ١٩٩٢م.

١٣٥- محمد بن يزيد (المبرد): المقتضب، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت،

١٩٦٣.

١٣٦- محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي): تفسير البحر المحيط، تحقيق زكريا النوتي

(وآخرين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

١٣٧- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر، تونس، ١٩٩٧، د.ت.

١٣٨- محمد بن الطيب (الباقلاني) إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د.ت، ط٣.

١٣٩- مختار عطية: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

١٤٠- مشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، لبنان، ١٩٨٢م.

١٤١- مصطفى شاهر خلوف: أسلوب الحذف في القرآن وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان.

١٤٢- مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٤٣- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٨.

١٤٤- مهدي صالح السامرائي: المجاز في البلاغة العربية، مكتبة دار الدعوة، سورية، ١٩٧٤م.

١٤٥- موفق الدين يعيش ابن علي النحوي (ابن يعيش): شرح المفصل، دار صادر بيروت، د.ت.

١٤٦- ناصر الدين أحمد بن منير الإسكندري: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، دار المعرفة، بيروت.

١٤٧- ابن نايقا البغدادي: الجمان في تشبيهات القرآن، مصطفى الصاوي الجويني: دار المعارف، الإسكندرية، د.ت.

١٤٨- أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهري): الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٦م.

١٤٩- نصر حامد أبو زيد: النص (السلطة الحقيقية) المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٥م.

١٥٠- نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العربي، د.م.

١٥١- هادي نهر: التراكم اللغوية في العربية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.

١٥٢- هبة الله بن علي حمزة الشجري: الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

١٥٣- ابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، تحقيق، ج. الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

١٥٤- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربي، د.م، ١٩٥٢م.

١٥٥- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م.

١٥٦- يحيى بن حمزة العلوي: كتاب الطراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

الرسائل الجامعية:

١- حليلة عمايرة: جملة النداء بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير، اليرموك ١٩٩٩.

٢- محمد المقبل: بناء الجملة الفعلية في جزء عم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

المجلات:

١- السيد أحمد السوداني: تحولات الخطاب القرآني ودلالاته، مجلة الشريعة، اليمن،

حزرموت، ٢٠٠٤.

المواقع الإلكترونية:

١- توفيق العامر: دلالات الخطاب بالنداء في النص القرآني، موقع مجلة القرآن، نور،

عدد ١، ٢٠٠٨.